



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
مدرسة الدكتوراه التنظيم و الديناميات
الاجتماعية والمجتمع

العنوان:

رمزية المدينة في العلاقات الاجتماعية في الجزائر

دراسة ميدانية للمجال العمراني - بولاية الأغواط

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التنظيم و الديناميات الاجتماعية و المجتمع

- إشراف الدكتور:
محمد المهدي بن عيسى

- إعداد الطالبة:
عويسي خيرة .

السنة الجامعية: 2012/2011



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
مدرسة الدكتوراه التنظيم و الديناميات
الاجتماعية والمجتمع

العنوان:

رمزية المدينة في العلاقات الاجتماعية في الجزائر

دراسة ميدانية للمجال العمراني - بولاية الأغواط

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التنظيم و الديناميات الاجتماعية و المجتمع

- إشراف الدكتور:
محمد المهدي بن عيسى

- إعداد الطالبة:
عويسي خيرة .

السنة الجامعية: 2012/2011

الإهداء

إلى من يصعد إليه الكلم الطيب و الدعاء الخالص و الدمع البريء ، و التجمع الواله
إلى من إذا بارت الحيل و ضاقت السبل و تقطعت الحبال ، و ضاقت الأرض بما حملت
و نفسي بما رحبت ، فيشدو به لساني و يستغيث ، فاهتف باسمه و أنادي:
... يا الله ... لك ربي عملي خالصا لجلال وجهك.

إلى من ربياني و علماني ، و أنارا طريقي ... و جاهدا في سبيل ذلك ، حتى صار
الصعب سهلا ، و العذاب عذبا ، و العلقم شهدا ...

إلى من يفتح قلبي و يلملم جراحي ، إلى المعنيين بأكثر دعائي و خالص تذرعي لله
بالحفظ و العافية ، و جنة الفلاح إلى الوالدين الغاليين رعاهما الله .

إلى أشقائي كل واحد باسمه عز الدين و زوجته و ابنه ، عيسى ، نجاه ، زهيرة .

إلى عبد اللطيف ... إلى كل من ساندني لإتمام هذا البحث المتواضع من بعيد أو من
قريب اهدي ثمرة جهدي ... إلى الأستاذ محمد المهدي بن عيسى...

إلى الذين يكتظ بهم قلبي و لم تسعهم الصفحات ... اهدي عملي هذا ...

خيرة

شكر و عرفان :

الحمد و الشكر لله رب العالمين ... الذي منحنا العقل و العلم لننفع أنفسنا و نمنع غيرنا ، و نميز بين الخطأ و الصواب .

في البداية أتقدم بالشكر الجزيل إلى من كان سندا و عوناً ، و ذو الفضل الكبير لإتمام هذا البحث ، و كان خير أستاذ و خير معين ، بالصبر و الإرشاد ، الأستاذ الدكتور محمد المهدي بن عيسى ، جزاه الله كل خير ، و كتبها في ميزان حسناته ان شاء الله ، فله عظيم الشكر و الامتنان و الثناء .

كما أتقدم بالشكر إلى كل علمي حرفاً ... إلى كل من بذل جهداً... إلى كل من كان لي دعماً و سندا لإتمام هذا البحث .

إلى كافة أساتذة مدرسة الدكتوراه ، جزاهم الله خيراً ...

إلى كل من ساعدني من قريب او من بعيد ...

إلى كل من مد لي يد العون بالقليل أو بالكثير

فهرس المحتويات

الإهداء

الشكر

مقدمة

د

الباب الأول : المعالجة النظرية للدراسة

الفصل الأول : المدخل العام و طرح الإشكالية

01 01 الإشكالية

04 2-فرضيات الدراسة

05 3-بناء نموذج التحليل

05 4-تحديد المفاهيم

19 5- أهمية الدراسة و أسباب اختيار الموضوع

21 6- أهداف الدراسة

الفصل الثاني : تبادل الهدايا شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي

24 مقدمة.

25 اولا :التفاعل الاجتماعي في الواقع المعاش

26 1-التفاعل الاجتماعي

28 2-التفاعل الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية

30	3- خصائص التفاعل الاجتماعي
31	4- أهمية التفاعل الاجتماعي
33	5- اهداف التفاعل الاجتماعي
33	6- مستويات التفاعل الاجتماعي
35	7- أسس و محددات التفاعل الاجتماعي
37	8- العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي
39	ثانيا -العلاقات الاجتماعية و الفعل الاجتماعي
40	1-أنواع العلاقات الاجتماعية
43	2- العلاقات الاجتماعية و التوقعات الاجتماعية
44	3- شبكة العلاقات الاجتماعية
44	4- نظرية الفعل الاجتماعي
46	5- نظرية التفاعل الرمزي
48	5- نظرية التبادل الاجتماعي
51	ثالثا : الهدية كشكل من أشكال التفاعل الاجتماعي
51	1 تعريف الهدية
53	2-وظائف الهدية
55	3-الهدية من المنظور الإسلامي

56	4- المناسبات التي تقدم فيها الهدية
63	خلاصة الفصل
الفصل الثالث: النظريات المفسرة للتفاعل الرمزي	
65	مقدمة
68	اولا :- النظرية التفاعلية الرمزية
69	1-النشأة و التعريف
70	2- أسس و مبادئ النظرية التفاعلية الرمزية
72	*جورج هيرت ميد
74	*ارفنج غوفمان
76	*جورج هيرت بلومر
78	3-تقييم النظرية التفاعلية الرمزية
81	4- الاستنتاج العام من النظرية
83	ثانيا : نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو
84	1-التعريف بمصطلحات النظرية
90	2- نظرية الممارسة العملية و المجال الاجتماعي
90	3- المفاهيم الأساسية للنظرية
97	4- بورديو و إمكانات الفضاء الاجتماعي

100	5- أسس و مبادئ النظرية
107	6- تقييم نظرية الممارسة العملية
107	7- مقارنة دراسة ابن خلدون و بيار بورديو للقبائل الجزائرية
111	8- استنتاج
113	ثالثا :- النظرية النقدية ليولرغن هابرماس
113	1- هابرماس و مفهوم النقدية
116	2- مبادئ النظرية النقدية
119	3- خلاصة الفصل
الفصل الرابع : الدراسات السابقة في التفاعل الرمزي و التهادي	
122	مقدمة
124	اولا :التعريف بالهدية
126	ثانيا :الدراسة الأولى : نظام البوتلاتش لمارسيل موس
141	1-نتائج دراسة مارسيل موس
142	2-تقييم دراسة مارسيل موس
145	-خلاصة عامة
147	ثالثا :- الدراسة الثانية : دراسة برونسلا مالمينوفسكي عن الكولا
151	1-نتائج دراسة برونسلا

152	2-تقييم دراسة برونسلا
153	رابعا : الدراسة الثالثة : دراسة بوهانان عن قبائل التيف
156	1 نتائج دراسة بوهانان
156	2 تقييم دراسة بوهانان
157	خامسا :الدراسة الرابعة : دراسة سوسبري عن قبيلة السيانة
159	1نتائج سوسبري
159	سادسا : الاستنتاج العام من الدراسات السابقة
161	خلاصة الفصل
الباب الثاني : المعالجة الميدانية للدراسة	
الفصل الخامس :الإجراءات المنهجية للدراسة	
مقدمة	
165	
166	أولا : الإطار التحليلي للدراسة
176	ثانيا : الإطار المنهجي للدراسة
176	1 - المنهج المستخدم
185	2 - أدوات جمع البيانات
185	أ/شبكة الملاحظة
189	/ في المجال الحضري

191	/ في المجال شبه الحضري
193	/ في المجال البدوي
194	/ في المجال شبه البدوي
197	ب - المقابلة
200	3 - مجالات الدراسة
200	أ - المجال المكاني
206	ب . المجال البشري
208	/ المعاينة
210	ج - المجال الزمني
212	4- كيفية معالجة البيانات و المعلومات
214	5- صعوبات الدراسة
الفصل السادس : دراسة المجال الاجتماعي و النموذج الثقافي و طبيعة التهادي في المجالات العمرانية	
216	مقدمة
219	أولا : دراسة حالة النموذج الثقافي الحضري (مدينة الاغواط)
238	ثانيا : دراسة حالة النموذج الثقافي شبه الحضري (بلدية تاجموت)
255	ثالثا : دراسة حالة النموذج الثقافي البدوي (منطقة الجقيجقة)

263	رابعاً : دراسة حالة النموذج الثقافي شبه البدوي (بلدية واد مزي)
	الفصل السابع : عرض و تفسير نتائج الدراسة و تحليلها سسيولوجيا
273	أولاً : النموذج الثقافي الحضري و دور الهدية في العلاقة الإستراتيجية
276	1-1 التحليل السوسيولوجي و تحقق الفرضية في المجال الاجتماعي الحضري
279	2-1 التحليل السوسيولوجي و تحقق الفرضية في المجال الاجتماعي شبه الحضري
	ثانياً : النموذج الثقافي البدوي و العلاقة الاجتماعية التواصلية
279	1-1 التحليل السوسيولوجي و تحقق الفرضية في المجال الاجتماعي البدوي
281	2-1 التحليل السوسيولوجي و تحقق الفرضية في المجال الاجتماعي شبه البدوي
	ثالثاً : العلاقة بين المجال الاجتماعي و طبيعة العلاقة الاجتماعية
283	
285	رابعاً : الخلاصة العامة للدراسة
	خاتمة
295	
296	ملخص الدراسة
	قائمة المراجع
298	
310	الملاحق

مقدمة:

إن ما يلفت الانتباه في الحياة الاجتماعية كيفية تحرك المجتمع و انتقاله من مرحلة لأخرى , الأمر الذي طالما دفعني إلى فهم هذا الحراك أو التغيير , فبقيت أطالع كما من النظريات السيسولوجية الكلاسيكية منها و المعاصرة وصولاً إلى النظريات التوليفية , فيبرز لي تارة أن هذا المجتمع عبارة عن أبنية و انساق متفاعلة الواحدة منها تدفع الأخرى نحو التغيير , متأثرة متزامنة مع بعضها البعض و تارة أخرى يتمظهر لي أن هذا الحراك ما هو إلا مجموعة أفعال فردية تتكون في شكل علاقات متفاعلة تقود الكل الإنساني لارتداء ثوب جديد من العلاقات الاجتماعية ، و هذا ما شغلني طول الوقت ، فلاحظت إن العلاقات البسيطة و التي لا يمكن أن نعيرها أي اهتمام كونها عبارة عن رمز مثلا لكن يمكن أن يكون وزنها ثقيل في تغيير مسار العلاقات الاجتماعية ، و منه طبيعة التفاعل الاجتماعي ، و الذي يبرز بدوره في مواقف اجتماعية تحدث في حياتنا اليومية و بصفة متكررة

دون الانتباه منا إنها عجلة التغيير، و أنها أداة لتحليل عملية التفاعل الاجتماعي

ومنه ، فقد تحمست كثيرا في الخوض و التعمق في مجال التفاعل الاجتماعي الرمزي و بحكم تخصصي في مرحلة ليسانس (علم اجتماع الاتصال) ، الأمر الذي زادني نشبتا بهذا الموضوع الذي يتواءم و توجهي العلمي و الفكري حيث إنني وجدت أن هذه العلاقات يحكمها : (الصراع-التنافس -السلطة - الهيمنة الرمزية و الهيمنة الثقافية و الاجتماعية - الاغتراب - المصالح - التضامن - الترابط الاجتماعي) و غيرها من مظاهر العلاقات الاجتماعية و كل ما يخص محركات التغيير بما في ذلك الثقافة و ما تحمله من قيم و أعراف و عادات و تقاليد ، فبقيت ألاحظ ميدانيا هذا النوع من التفاعل الاجتماعي الرمزي ، متخذة في ذلك موضوع الهدية كمثال لدراسة نوع العلاقات بين الناس ، كون الهدية ظاهرة اجتماعية قديمة قدم البشرية نفسها ، فقد ذكرت في القران الكريم ، حيث أن النبي سليمان عليه السلام عندما أرسلت له بلقيس ملكة سبا هدية لتكون بمثابة عربون محبة و صداقة بينهما و بداية تحاورهما فردها عليه السلام : بعد بسم الله الرحمان الرحيم (انتم بهديتكم تفرحون)¹ صدق الله العظيم

¹ سورة النمل، الآية (36)

حينها فهتمت إن موضوع الهدية قديم، لكنه ما يزال موضع التبادل بين الناس إلى يومنا هذا ، و الجدير بالذكر إن للهدية موقع اجتماعي و اقتصادي كبير ، بالرغم من إن الظاهرة قد خضعت كغيرها من الظواهر الاجتماعية للتغير و التطور فأصبحت لها أشكال عديدة و صوراً مختلفة و دلالات متنوعة ، لذا كانت الرغبة ملحة لمعرفة مدى و كيفية إنتاجية هذه العلاقة التفاعلية لعلاقات تفاعلية اجتماعية أخرى و هكذا دواليك ، لذا فقد اعتبرت حجر زاوية في إنتاج و تشكيل أنواع من العلاقات و التفاعل الإنساني و الاجتماعي ومنه فقد طرحت على نفسي التساؤلات التالية :

كيف يمكنني تحديد المجالات الاجتماعية لتحديد نوع التفاعل ضمنها ؟

و كيف يمكنني رؤية الهدية من منظور سوسيولوجي ؟

و ما هي علاقة الهدية بالتفاعل الاجتماعي ؟

و ما هي قيمتها الاجتماعية في توجيه أفعال الأفراد ؟

و للإجابة عن كل هذه الأسئلة فقد ارتأيت تقسيم دراستي هذه على النحو التالي :

أولاً : الإطار المنهجي و النظري للدراسة :

الفصل الأول:

و قد كان هذا الفصل عبارة عن مدخل عام و منهجي للدراسة ففيه قمت بعرض مفصل و

كامل لتوطئه الإشكالية و ختمتها بالسؤال الجوهرى للدراسة ، و بعدها

قمت باستخراج الأسئلة الفرعية منه، محاولة بعد ذلك الإجابة على كل هذا بصياغة

الفرضية العامة للدراسة، و كذا الفرضيات الفرعية التي كانت عبارة عن أجوبة مؤقتة لتلك

التساؤلات الفرعية التي قد كنت قد طرحتها سالفاً.

وبعدها تطرقت إلى تحديد المفاهيم التي وردت في الفرضية و الإشكالية ، حيث عرفت

نظرياً و إجرائياً من خلال ما توصلت إليه ميدانياً ، ثم حاولت عرض أهم الأسباب و

الدوافع التي قادتني لاختيار هذا الموضوع بالذات ، و قسمتها إلى أهداف نظرية و أهداف عملية .

الفصل الثاني:

حيث أنني و في هذا الفصل تطرقت إلى تناول موضوع التفاعل الاجتماعي بصفة عامة فوضحت علاقته بالعلاقة الاجتماعية ، كما عرضت أهم خصائصه و أهميته و أسسه و محدداته ، ثم بعد ذلك انتقلت إلى الحديث عن التفاعل الاجتماعي و الفعل الاجتماعي و التبادل الاجتماعي .

وبعد التعرض إلى التفاعل الاجتماعي في الواقع المعاش و العلاقة الاجتماعية و بعد توضيح الفكرة بشكل جيد للتفاعل ذهبت إلى تناول الهدية كونها شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي . ثم إلى خلاصة الفصل .

الفصل الثالث :

ففي هذا الفصل حاولت عرض بعض النظريات المفسرة للتفاعل الاجتماعي الرمزي ، و كانت البداية بالنظرية التفاعلية الرمزية ، فتطرقت إلى النشأة ، ثم إلى الأسس و المبادئ لدى أهم روادها الاجتماعيين . ثم إلى الانتقادات التي وجهت للنظرية .

أما النظرية الثانية فقد كانت لبيار بورديو و الممارسة العملية ، فعرفت بأهم مصطلحات و المفاهيم الأساسية للنظرية و علاقتها بالمجال الاجتماعي . و بعدها إلى أهم أسس و مبادئ النظرية ، أخيرا إلى أهم الانتقادات الموجهة للنظرية

و بعدها عرضت دراسة مقارنة لدراسة ابن خلدون و بيار بورديو للقبائل الجزائرية

أما ثالث مقاربة فكانت ليور غن هابر ماس و مفهوم النقدية و مبادئ النظرية

و منه إلى خلاصة الفصل .

الفصل الرابع :

و في هذا الفصل قمت بعرض أهم الدراسات السابقة في التفاعل الرمزي و التهادي فعرفت الهدية ، ثم إلى دراسة نظام البوتلاتش لمارسيل موس فعرضت النتائج و تطرقت إلى تقييم دراسة مارسيل موس ، و بعدها إلى الخلاصة العامة أما ثاني دراسة فقد كانت لبر ونسلا مالمينوفسكي و النتائج و التقييم.أما ثالث دراسة فهي لبرهانان عن قبائل التف و النتائج و التقييم ، و بعدها حوصلة عامة بمثابة الاستنتاج العام من الدراسات السابقة ، و أخيرا إلى خلاصة الفصل .

الإطار الميداني للدراسة :

الفصل الخامس :

و فيه تعرضت إلى الإطار التحليلي ، و فيه طرحت أهمية النظرية السسيولوجية في تحليل التفاعل الاجتماعي الرمزي بصفة عامة و الهدية بصفة خاصة باتخاذ النموذج الثقافي ، و توضيح مؤشرات النموذج الثقافي و علاقتها بالتفاعل الاجتماعي و هوية الهدية ، و الهوية الاجتماعية للفاعلين بصفة عامة داخل المجال الاجتماعي و المقسم إلى أربع مجالات تفاعلية ' (بدو – شبه بدو – حضر - شبه حضر) .

و هذا كان وفقا لمؤشرات النموذج الثقافي ، و حاولت ربط العلاقة بين مؤشرات الدراسة (المجال الاجتماعي , النموذج الثقافي , العلاقة الاجتماعية , و هوية الهدية في العلاقة الاجتماعية) .

ثم بعدها وضحت أهم خطوات الإطار المنهجي للدراسة و ذلك من خلال عرض المنهج المستخدم في الدراسة بالاستعانة بالاستكشاف و المغامرة العلمية بالوصف و التصنيف و التفسير و الفهم و التنبؤ للبيانات ، و كذلك أدوات جمع المادة العلمية النظرية و الميدانية ، و وضحت كيف قمت بتصنيف و تحديد المجالات الاجتماعية عن طريق شبكة الملاحظة و بالاستعانة بمؤشرات النموذج الثقافي ، و عرض أهم مميزات كل مجال اجتماعي و نموذج ثقافي على حدا .

و بعدها إلى مجالات الدراسة (المكاني و الزماني و البشري) طريقة سحب العينة و حجمها) و أسباب الاختيار .
و أخيرا إلى كيفية معالجة البيانات بالاعتماد على التحليل الكيفي و الموضوعاتي للبيانات ،
و كذا إلى أهم الصعوبات على الصعيد النظري و الميداني .

أما الفصل السادس :

فقد عرضت فيه دراسة حالة المجال الاجتماعي و النموذج الثقافي و طبيعة التهادي في المجالات العمرانية محل الدراسة ، فعرضت جميع الحالات التي قمت باستجوابها في المجالات الاجتماعية المدروسة

أما الفصل السابع :

ففيه حاولت عرض و تفسير و تحليل نتائج الدراسة تحليليا سسيولوجيا ، و التحقق من صدق الفرضيات المقرونة بالمجالات الاجتماعية التي كانت في بادئ الدراسة
ثم إلى الخلاصة العامة للدراسة ، و التي فيها حللت مفاهيم الدراسة تحليليا سسيولوجيا ،
باتخاذ كل مفهوم كموضوع يجب تحليله في كل مجال اجتماعي وفقا لما وجد في الميدان .
وأخيرا انهينا البحث بخاتمة و كانت فيها أمنياتنا في أن تكون هذه الدراسة نافعة في الحقل
العلمي ، أو تكون عبارة عن دراسة سابقة لدراسات أخرى إنشاء الله مكملة لها ، و
مصححة ربما لأخطاء منهجية أو عملية في هذه الدراسة لان الكمال كان لله عز و جل ،
فان اخطات فمن النفس و من الشيطان ، و ان أصبت فمن الله جل قدره و عظم شأنه .

الفصل الأول

مدخل عام وطرح الإشكالية

1. الإشكالية
2. فرضيات الدراسة
3. بناء نموذج التحليل
- أ - تحديد المفاهيم
4. أهمية الدراسة و أسباب اختيار الموضوع
5. أهداف الدراسة

1 - الإشكالية:

هناك الكثير من يرى أن التفاعل الاجتماعي هو التأثير المتبادل بين سلوك الأفراد و الجماعات من خلال عملية الاتصال، و التصور البسيط لعملية التفاعل الاجتماعي، أي ما ينتج عن الطبيعة البشرية من تأثير متبادل بين القوى الاجتماعية و يطلق بعض الدارسين على التفاعل بين الكائنات البشرية مصطلح التفاعل الرمزي، و هذا لان التفاعل الاجتماعي يستند إلى الاتصال ، غير أن البعض قد يرى أن الذات قد تتفاعل مع نفسها ، فالشخص الذي يجلس مع نفسه و في حجرة خاصة و يفكر في مشكلة معينة ، يمارس ضربا من التفاعل الذاتي¹ و التفاعل الاجتماعي يفسر التكامل الفعلي في مجال اجتماعي و ثقافي معين يهدف إلى تحقيق الصالح العام²

لذا كان الاهتمام كبيرا في دراسة التفاعل الاجتماعي ، وذلك لان المتفاعلين ينزعون في مواقف التفاعل لسلوك معين في ضوء التوجيهات المتعلقة باستعدادات حاجة و تلك المتعلقة بالقيم ،فان موقف الفاعل في هذه العملية تحديد ظرف و موقف التفاعل، و طبيعة العلاقة الاجتماعية و الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من خلال تفاعله في موقف اجتماعي معين ومنه فالقيمة الحقيقية تكمن في تحليل التفاعل الاجتماعي من منظور الفعل لان هناك دائما علاقة بين البناء الاجتماعي و الفعل و هذا ما حاول بيار بورديو إزاحة الستار عليه ،باعتبار أن سلوك الفاعلين يساهم في تحديد البنيات ،و إعادة إنتاجها و كذا إعادة إنتاج السلوك في حد ذاته³

¹ دعبس يسري، المشاركة المجتمعية و التنمية المتواصلة، البيطاش سنتر للنشر و التوزيع ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى، 2008، ص 54:

² مجدي احمد محمد عبد الله، السلوك الاجتماعي و دينامكيته (محاولة تفسيرية) ، دار المعرفة الجامعية ، الازارطية، 2005، ص:114
³ السيد علي شتا، التفاعل الاجتماعي و المنظور الظاهري، المكتبة المصرية ، الطبعة الأولى، 2000، ص: 60

و في هذا الإطار فان الفكرة الخام أو البسيطة للتفاعل تكون ثابتة من خلال البناء الموسع أو في طريقة إعادة إنتاج التركيب الاجتماعي التي لاستطيع أن تدرك عملية استقلال نظام التفاعل ، أي التعبير بشكل جلي عن تنظيم البناء في أي معنى بسيط، إذ يعبر بشكل متقدم بالنظر إلى هذا التنظيم عن البناء الاجتماعي

و يمكن أن يتحدد وفقا للصعيد الثقافي ، أي طقوس التفاعل أو الهوية الثقافية و كل المواقف الاجتماعية يفرزها الوجود الاجتماعي بما تحويه من تصرفات و أفعال في إطار هذا فان الأفراد يرتبطون بالتمثل في المواقف المتباينة لكي يقدموا النفس ، و هذا ما يجعل الفرد يقدم هويته الشخصية أو يقدم هويته الثقافية في إطار عملية التمثيل في حيز زماني و مكاني معين¹

فالثقافة و الهوية رهانات صراعات اجتماعية و ليس لكل المجموعات (السلطة – التماهي) نفسها إذ أنها تتوقف على الموقف المكتسب في نسق العلاقات التي تربط بين المجموعات ، و ليس لكل المجموعات النفوذ نفسه في إطلاق التسمية ، و في تسمية نفسها ، و حدهم أولئك المتمتعون بالنفوذ الشرعي مثلما سرح ذلك ببار بورديو (الهدية و التمثل) فالهوية سواء أكانت رمزا أم وصما تكون أداة تستخدم في العلاقات ما بين المجموعات الاجتماعية

فالهوية لا توجد في ذاتها بمعزل عن استراتيجيات إثبات الهوية التي يتوخاها الفاعلون الاجتماعيون الذين هم في أن واحد²

فالتفاعل الاجتماعي يعد من أكثر المفاهيم انتشارا في علم الاجتماع و علم النفس على السواء و هو الأساس في دراسة علم النفس الاجتماعي الذي يتناول كيفية تفاعل الفرد مع بيئته المحيطة به و ما ينتج عن هذا التفاعل من قيم و عادات و اتجاهات

¹ شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية (من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة) ، مصر العربية للنشر و التوزيع 2009، ص،

127:

² دنس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة منير السعداني ، مركز الدراسات ، الوحدة العربية للنشر ، بيروت ، ط1

ص، 160

إذ يعد التفاعل الاجتماعي بشكل عام نوع من المؤثرات و الاستجابة ، و في العلوم الاجتماعية يشير إلى سلسلة من المؤثرات و الاستجابات ينتج عنها تغيير في الأطراف الداخلة فيما كانت عليه في البداية .

إذ تعددت و اختلفت استخدامات التفاعل الاجتماعي ،فهو مثلا يستخدم كعملية لأنه يتضمن نوعا من النشاط الذي تستثيره حاجات معينة عند الإنسان ، و منها الحاجة إلى الانتماء ، إلى الحب ،إلى التقدير و النجاح

و هو حالة لأنه يستخدم في الإشارة إلى النتيجة النهائية التي يترتب عليها تحقيق الحاجة عند الإنسان

و هو مجموعة من الخصائص التي هي نوع من الاستعدادات الثابتة نسبيا تميز استجابات الفرد في سلوكه الاجتماعي و التي تدعى بالسمات التفاعلية و السمات الأولية للاستجابات الشخصية المتبادلة

و هو سلوك ظاهر لأنه يحوي التعبير اللفظي و الحركات و الإيماءات ، و هو سلوك باطن لأنه يتضمن العمليات العقلية الأساسية كالإدراك و التذكر و التفكير و غيرها.

و التفاعل الاجتماعي يختلف عن التفاعل مثلا في العلوم الطبيعية لأنه يتضمن مفاهيم و معايير و أهدافا ،فالفرد حين يستجيب لموقف إنساني إنما يستجيب لمعنى معين يتضمن هذا الموقف بعناصره المختلفة¹

فهناك وقائع يومية روتينية تعنى بدراسة النشاطات المألوفة أو غير المألوفة لجماعات الأفراد ، و التعرف على ما يتعرضون له من مواقف في حياتهم اليومية و التي تكون لها دلالات سسيولوجية تكون نتاج لعملية تفاعل كما أشار فيلمر²

فهناك أمور يستهان بها لكنها ذات أهمية كبيرة في عملية التفاعل الاجتماعي و خلق علاقات جديدة يمكن للسوسيولوجي مراقبة تلك الأفعال المتمظهرة في لغة أو رمز مادي أو معنوي كالهدية مثلا و وقعها على العلاقات الاجتماعية

¹ عايد سبع السلطاني ،مقالة في التفاعل الاجتماعي ،وزارة التربية و التعليم ، المديرية العامة لتطوير المناهج ، 2009/11/11 ، ص 2
² علي عبد الرزاق حليبي ،اتجاهات أساسية في نظرية علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، ص: 29

فالهدية¹ تعبر عن شيء أو رمز يتصرف اتجاهها الناس على أساس ما تعنيه لهم من معاني، و تحور و تعدل و يتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل الأفراد فبالتعامل مع مثل هذه الإشارات أو الأشياء و منه فقد تبادر لي في طرح الإشكال التالي :

- ❖ كيف تعمل الهدية على إنتاج و إعادة إنتاج علاقات اجتماعية في مجال تفاعلي و مجال زمكاني معين ؟
- ❖ التساؤلات الفرعية :

بما أن الهدية منتج ثقافي لمجال اجتماعي معين ، فكيف تعمل على إنتاج -و إعادة إنتاج نوع معين من العلاقات الاجتماعية داخل هذا المجال ؟ .
و ما هي العوامل المحددة لهويتها داخل كل نموذج ثقافي ؟ .
و ما طبيعة و مضمون العلاقات الاجتماعية التي تختفي وراء تبادل الهدايا داخل كل مجال تفاعلي ؟ .

2 - فرضيات الدراسة :

أ - الفرضية العامة:

لكل مجال اجتماعي نموذج ثقافي يضيف عليه خصوصية معينة ، حيث انه كلما تغير هذا النموذج الثقافي للمجالات الاجتماعية ، و المتواجدة ضمن المجال العمراني محل الدراسة تغيرت هوية الهدية و مضمون العلاقة الاجتماعية حسب كل مجال تفاعلي و المقسم بدوره إلى أربع مجالات اجتماعية (بدو - شبه بدو - شبه حضر - حضر) .

¹ مارسيل موس ، علم الاجتماع و الانثروبولوجيا ، بحث في الهدايا الملزمة ، ترجمة الدكتور محمد طلعت عيسى ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1971، ص301

ب - الفرضيات الجزئية للدراسة :

- ✓ يعمل النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي الحضري على إنتاج و إعادة إنتاج علاقات اجتماعية إستراتيجية في تبادل الهدايا داخل المجال التفاعلي للأفراد
- ✓ تمارس الهدية عملية إنتاج و إعادة إنتاج الواجب الاجتماعي بفعل تأثير النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي شبه الحضري .
- ✓ تكتسب الهدية هويتها الاجتماعية التواصلية من خلال خصوصية النموذج الثقافي البدوي داخل المجال الاجتماعي .
- ✓ يعمل النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي شبه البدو على دعم الهدية في إنتاج و إعادة إنتاج علاقة اجتماعية متماسكة داخل المجال التفاعلي للأفراد

3 - بناء نموذج التحليل :

أ - تحديد المفاهيم :

أن مرحلة تحديد المفاهيم مرحلة جد حاسمة لتوضيح الرؤية و إتاحة إمكانية الفهم للقارئ ، حيث تعتبر مرحلة من مراحل البناء الابستمولوجي للبحث ، حيث تعتبر كدرج ينقل الباحث بعد تحديد الفرضيات إلى ارض الميدان ، فتصاغ النظرية منها لتكون على مستوى التجريد الفكري ، متبوعة بتلك التعاريف الإجرائية و العملية المستوحاة من قلب الحياة الاجتماعية من خلال الملاحظة و باقي التقنيات لجمع البيانات الميدانية و التعرف امبريقيا على مؤشراتها و مجرياتها ، فهي تعتبر مرحلة صعبة من البحث لأنها تنقل الباحث من مستوى التجريد النظري إلى المستوى الموضوعي الملموس ، فمن تلك المفاهيم ما يصدر في الفرضية حيث تستخرج منه أبعاد ومؤشرات يتم اختبارها ميدانيا ، و منها ما يكون مستترا في الفرضية العامة أو الجزئية .

كما انه من البديهي إن موضوع تحديد المفاهيم يشكل احد الانشغالات الأساسية في الفكر الحديث ، و إذا كان المفهوم يلم عناصر و أجزاء تصور ما ، من خلال

عملية تراكم لتصورات تتحصل في الذهن في واقع الممارسة العلمية و الفكرية ،فان المصطلح هو الذي يسمى المفهوم و يخرج به إلى عالم التواصل اللغوي ، في حقل من حقول المعرفة الإنسانية¹

و عموما سنحاول التطرق غالى تعاريف تلك المفاهيم ما ظهر منها و ما بطن تعاريف نظرية اصطلاحية متبوعة إن شاء الله بالإجرائية ، و التي كانت من نتاج نزولي للميدان و دراستي الاستطلاعية ، و بعض المقابلات الميدانية التي قد أجريتها ، إما النظرية فقد كان مصدرها مجموعة من الكتب و المؤلفات في التخصص.

❖ المجال الاجتماعي :

هو الحقل الذي تتم فيه عملية التفاعل بين المعني و محيطه الاجتماعي ، و المجال الاجتماعي يتميز عن المجال العمراني ، لان المنتج العمراني هو منتج للتفاعلات التي تتم في المجال الاجتماعي ثم يصبح بعد ذلك نتاجا لها².

و المجال بالنسبة لبوردو يشير إلى السوق و المواقع و العلاقات الاجتماعية و الأشخاص و المؤسسات و توزيع السلطة و رأس المال و الهيمنة و الخضوع و الصراعات³.

و يطلق بوردو مصطلح المجال على كل حالة صراع بين فاعلين غير متساويين في القوة على رأس المال مهما كان نوعه ، و لذلك يطلق على المجتمع باعتباره علاقة قوة بين الطبقات التي بينها الصراع من اجل التميز الاقتصادي و الثقافي مصطلح المجال الاجتماعي العام .

¹ Heidi Gopher. *Méthodologie des théorisations de la littérature*. In *théorie de la littérature*. picarde. paris 1981 p. 70.

² الدكتور محمد المهدي بن عيسى ، الأستاذة بوسيلة ايناس ، تجاوز الإعاقة الحركية بين آليات الدمج و تشكيل الهوية ، الملتقى الدولي الأول حول الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري ، جامعة ورقلة ، 2011 ، ص :

³ شحاتة صبيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ذكره ، ص : 301.

و يقسم هذا المجال العام إلى مجالات فرعية مثل المجال التعليمي و المجال الاقتصادي و مجال الإنتاج الثقافي و مجال الدين و المجال البيروقراطي و هكذا و قد شبه المجتمع بالكون ، فكل جماعة لها وضع اجتماعي له علاقة بالأوضاع المجاورة التي تشبه المجرات في الفضاء ، و لذلك يطلق بورديو على المجتمع مصطلح الفضاء الاجتماعي ، فالأوضاع النسبية داخل الفضاء هي التي تحدد هوية الفاعلين¹

❖ التعريف الإجرائي للمجال الاجتماعي:

هو ذلك الحيز الاجتماعي الذي يسمح للأفراد بالاحتكاك الثقافي و الاجتماعي مع بعضهم البعض ، مولدا بينهم ما يعرف بالتفاعل الاجتماعي .
و يختلف المجال الاجتماعي باختلاف مكوناته ، كالبنية الثقافية و العمرانية و غيرها من روابط الأطراف المتفاعلة في إطار عملية الممارسات الاجتماعية اليومية كونها لبنة المجال الاجتماعي في حد ذاتها .

❖ تعريف النموذج الثقافي :

يشتمل على التصور الذي اختاره المجتمع من تمثيلات و أفكار و معايير في تفاعله مع هذا الواقع ، و تشمل مستوى القدرة على الخلق² ، أو الطريقة التي يتم بها فهم المجتمع و قدرته على الفعل و الانجاز³ .
فعندما نقارن مفهوم الثقافة بالمنظور الانثروبولوجي ، و مفهوم الثقافة بالمفهوم السوسيولوجي نلاحظ أن هناك قفزة نوعية ، فلم تعد تنظر للثقافة على أنها مجرد طائفة منظمة من الاستجابات المكتسبة يتميز بها مجتمع معين دون غيره كما قال رالف لينتون بل هي القدرة على التأثير و الفعل من إنتاجها كذلك ، كما أن الثقافة ليست عبارة عن بناء من المعتقدات و القيم و المعايير يخضع لها الإنسان و تحدد سلوكاته إزاء الآخرين و لا يمكن أن يتجاوزها ، بل هي قيمة نهائية تتمثل في

¹ ، بيار بورديو أسباب عملية ، ترجمة : انور مغيث ، الدار الجماهيرية للطبع و النشر، طرابلس، 1996، ص : 202 .

³ محمد السويدي ، علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته ، ص 14

مجمل المكونات العقائدية و الفكرية و المادية التي يفهم بها الفاعل سواء كان أفراد أو جماعة عالمه الطبيعي و الاجتماعي و الإمكانيات التي يضعها و يسخرها كوسائل من اجل التأثير في هذا العالم حتى يحقق التقدم و التنمية أي من اجل ملا الزمان و المكان بالعمل و الفعل كما يرى مالك بن نبي و ألان تورين كذلك ألان لكي نفهم العلاقة بين الفعل الاجتماعي و الثقافي ، سنعتمد في ذلك على التمييز الذي وضعه ببراعة ر. لينتون بين الفرد و المجتمع و الثقافة نظرا لتداخل كبير بينهما ، و لكثرة الخلط بين الباحثين و لهذا يقول : (إن كل كلمة من هذه الكلمات الثلاث تملأ اسما لكيان مختلف ، كما أن لكل منها خصائصه المميزة ، و دوره الخاص به في الصور الديناميكية التي تتكون من الكلمات الثلاث)

- 1 -المجتمع هو مجموعة منظمة من الأفراد ، أي هناك تشكل بنائي للأفراد المتواجدين في كيانات و أشكال نوعية و خاصة تفوق وجودهم الفردي
- 2 -الفرد هو كائن له القدرة على الشعور و التقدير و الفعل بذاته .
- 3 -الثقافة كما يعرفها هو ، و كما رأينا سابقا هي مجمل الاستجابات و ردود الأفعال المكتسبة التي يتميز بها مجتمع معين عن غيره¹

❖ التعريف الإجرائي للنموذج الثقافي :

مما تبين لنا من التعريف السابق أن النموذج الثقافي هو مجمل التصورات و التمثلات و القيم و الأفكار التي ابتكرها مجتمع ما في تفاعلاته مع الواقع ، فهذا النموذج يتعلق إذن بالمجتمع بكامله خلال فترة تاريخية معينة . و بالتالي إن الانتقال من حقبة تاريخية إلى أخرى مؤشر على أن هذا النموذج بكل ما يتضمنه قد تغير محتواه.²

أما بالنسبة لنا إن النموذج الثقافي هو مجمل التمثلات و القيم و الأفكار التي أنتجها المجال الاجتماعي و التي تعمل على تاطير أفعال و تفاعلات التمثيلية و التفاعلية

¹ الدكتور بن عيسى محمد المهدي ، ثقافة المؤسسة ، دراسة ميدانية للمؤسسة الاقتصادية العمومية في الجزائر ، حالة بابب غاز ، غرداية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع ، جامع الجزائر ، 2004 ، 2005 ، ص : 69 .
² الأستاذ الدكتور محمد المهدي بن عيسى ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة .

في هذا المجال فتنسب بذلك هوياتهم أو تتشكل وفق خصوصية هذا المضمون الثقافي الذي يعتبر هو في نفس الوقت هذا المجال .

❖ تعريف الهدية :

هي الأفعال أو الخدمات التي يقدمها الشخص لغيره من الناس دون أن يتوقع منهم أن يقدموا له أي مقابل لها¹
الهدية تعتبر رمز أو لغة مشفرة يتم تداولها بين الأطراف المتفاعلة ، حيث تحمل معاني و دلالات لا يفهمها إلا المتفاعلون بين الطرفين².

❖ التعريف الإجرائي للهدية :

هي تبادل رموز مادية و معنوية بين وحدات التفاعل الاجتماعي ، لها دلالات تختلف باختلاف المجال التفاعلي للأفراد المتبادلين ، حيث أن المجال التفاعلي يمثل عدة مجالات فرعية أخرى (كالثقافة و العمران و الزمان) تترك مدلولاتها على تلك الرموز بين المتفاعلين.

❖ تعريف العلاقات الاجتماعية :

هي الروابط و العلاقات المتبادلة بين الأفراد في المجتمع ، وهي تنشأ من طبيعة اجتماعية من تبادل مشاعرهم و احتكاكهم ببعضهم البعض³

¹ أبو زايد احمد ، البناء الاجتماعي المكتب الجامعي الحديث ، المكتب الجامعي الحديث ، الجزء الثان 251

² محاضرة الدكتور محمد المهدي بن عيسى

³ مذكور إبراهيم ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 ، ص : 403

❖ التعريف الإجرائي للعلاقات الاجتماعية :

هي عبارة عن روابط وثيقة بين أفراد المجتمع ، تتمظهر في السلوك التفاعلي لأجل تحقيق الصالح العام و الخاص و لأجل الدفع بالمجتمع نحو التغير ، بدءا من تلك الروابط بين الأفراد .

و قد تكون تلك الروابط سلبية أو ايجابية ، حيث أنها تحمل كل معاني السلوك الإنساني من (تضامن . التزام . قوة . سلطة . صراع . منافسة . تكامل .تغير ... الخ) .من مظاهر العلاقة الإنسانية .

❖ تعريف العلاقات الاقتصادية :

هي ارتباط بين شخصين مادي أو معنوي في محيط التعامل و التبادل الاقتصادي المنظم في عقد يتولى تنفيذ شروطه طرفا العلاقة .

❖ التعريف الإجرائي للعلاقات الاقتصادية :

هي عبارة عن مبادلات يحكمها الفعل الاستراتيجي العقلاني ، كما يحكمها الطابع المادي و المالي بشكل خاص ، حيث تعتمد نظام السوق و المبادلة و البضائع و الربح و الخسارة و المنافسة ، كما تحكمه قوانين التعامل إما بوثائق أو بدون و ثائق ، وهذا الفعل مجرد من الفعل الاجتماعي البحت ، و يكسوه الفعل الاقتصادي النفعي المدروس و المخطط .

❖ تعريف التفاعل الاجتماعي :

إن التفاعل الاجتماعي هو التأثير المتبادل بين سلوك الأفراد و الجماعات من

خلال عملية الاتصال، و التصور البسيط للتفاعل الاجتماعي يقصد به ما ينبع عن الطبيعة البشرية من تأثير متبادل بين القوى الاجتماعية ويطلق بعض الباحثين و الدارسين على التفاعل الاجتماعي، أو التفاعل بين الكائنات البشرية مصطلح التفاعل الرمزي و هذا لان التفاعل الاجتماعي يستند إلى الاتصال، غير أن البعض يرى أن الذات قد تتفاعل مع نفسها، فالشخص الذي يجلس بمفرده في حجرة خاصة يمارس ضربا من التفاعل الذاتي¹

❖ التعريف الإجرائي للتفاعل الاجتماعي :

هو مفعول تلك العلاقات بين الناس في حياتهم اليومية، و في إطار التفاعل الإنساني و الاجتماعي الذي يخلق نوعا من التواصل و الفهم و الانسجام بين الأطراف المتفاعلة في مجال مكاني و زمني معين .

❖ تعريف التفاعل و الفعل الاجتماعي :

يرجع اهتمام وليام توماس بالفعل الاجتماعي لقناعته بان الوقائع الاجتماعية التي على عالم الاجتماع أن يهتم بتفسيرها هي الفعل الاجتماعي في الموقف الاجتماعي مع ضرورة الرجوع إلى المظاهر الفعلية للفاعلين على المسرح الاجتماعي، ذلك إذا ما أردنا تفسير الفعل الإنساني تفسيراً

و قد حدد عناصر الموقف الاجتماعي الذي يتناول الفعل في نطاقه و حصره في ثلاثة عناصر مساندة تتمثل في :

* القواعد الموضوعية الملزمة للسلوك و التي تشير للظروف الموضوعية

*الاتجاهات السابقة لدى الفرد و الجماعة

* تعريف الموقف من نفس الفاعل

¹ يسري دعبس، المشاركة المجتمعية و التنمية المتواصلة، البيطاش سنتر للنشر و التوزيع، العامرية الإسكندرية، ط1، 2008، ص 32.

و توماس بذلك يركز على دراسة سلوك الفرد في الموقف الاجتماعي و يحاول تفسير التغيرات التي تطرأ على الموقف

و قد تأثر بأفكار توماس عن الفعل الاجتماعي تالكوت بارسونز و هو يتناول الفعل الاجتماعي ، باعتباره الموضوع الحقيقي لعلم الاجتماع ، يعتمد تحليله على أساس انه سلوك إرادي يحكمه مخطط الوسائل و الغايات

* فالفعل الاجتماعي نتاج لعملية التفاعل الاجتماعي ، و ذلك لان المتفاعلين ينزعون الحاجة ، و تلك المتعلقة بالقيم ، فان موقف الفاعل في عملية التفاعل بذلك يتحدد بظروف موقف التفاعل ، و طبيعة العلاقات الاجتماعية ، و الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من خلال تفاعله في موقف اجتماعي معين

و من ثم يتحدد نمط الفعل الاجتماعي و طبيعة البناء الدافعي للفاعل ، و من خلال عملية التفاعل المتعلقة بطبيعة مواقف التفاعل و النمط الاجتماعي لتلك الظروف و المواقف ، و عليه يمكن اتخاذ أنماط الفعل الاجتماعي كأدوات تصورية لتحليل عملية التفاعل الاجتماعي و فهمها

و منه يتضح أن القيمة الحقيقية تكمن في تحليل التفاعل الاجتماعي من منظور الفعل الاجتماعي في كون الفاعل يأخذ في اعتباره أفعال الآخرين في موقف التفاعل وذلك لأنه شارك الآخرين في مواقف محددة و يحصل من خلالها على نتائج معينة .

و لما كان الفعل الاجتماعي ينسب بطابع الموقف الاجتماعي للتفاعل ، موقف الفاعل من المتفاعلين معا ، و من ثمة يتحدد نمط فعله و استجابته السلوكية في موقف التفاعل .

وعليه تبرز أهمية التفاعل الاجتماعي كمدخل لمفهوم الأفعال ، سواء كانت في شكل سلوك أو في صورة أبنية و تنظيمات و انساق اجتماعية ، و التي إن كانت ب مثابة شروط التفاعل ، إلا أنها تعد نتائج للتفاعل الاجتماعي ، يتم الكشف عن ملامح الترابط في أجزائها من خلال التفاعل الاجتماعي ، ذلك

التفاعل الذي ترتبط به جميع العمليات الاجتماعية الأخرى مثل : التوازن الاجتماعي، التعاون و التغيير... الخ
ولكن السؤال المطروح هو :
كيف يمكن الاستفادة من الفعل الاجتماعي لمدخل لتحليل عملية التفاعل الاجتماعي؟¹

❖ التعريف الإجرائي للفعل الاجتماعي :

هو ذلك التصرف الذي يصدر من الفرد في موقف معين بغرض تحقيق هدف ما ، يساهم هذا التصرف في إحداث نوع من التغيير في مجرى العلاقات الاجتماعية ، كما يمكن أن يكون ظاهرة اجتماعية إذا ما تكرر حدوثه ، أي خروجه من إطار الحدث الاجتماعي متجها نحو ما يعرف بالظاهرة الاجتماعية الجديرة بالدراسة العلمية لأنه نابع من الإنسان العاقل و الفاعل في الكل الاجتماعي ، كما يعتبر ساس التفاعل الاجتماعي .

❖ تعريف الجماعة :

يطلق لفظ جماعة على أي تجمع يضم فردين أو أكثر من الأفراد ، يحدث بينهم التفاعل الاجتماعي ، يعتمد فيه اأدهم على الآخر ، و يؤدي كل واحد منهم دور معين في تحقيق الصالح العام أو الأحداث المشتركة للجماعة ، و بهذا المعنى تصبح الأسرة ، جماعة الأصدقاء ، رفاق النادي ... الخ بمثابة الجماعات النفسية على فيها وجود أفراد مشبعا لحاجات كل منهم .
و يعرف (نيوكومب) الجماعة أنها شخصان أو أكثر يشاركان في المعايير المتصلة بموضوعات معينة ، و تتشابه أدوارهم الاجتماعية تشابكا وثيقا¹

¹ السيد علي شتا ، التفاعل الاجتماعي و المنظور الظاهري، المكتبة المصرية ، ط1، 2000، ص ص 61، 60

❖ التعريف الإجرائي للجماعة:

هي عبارة عن مجموعة من الأفراد تربطهم مصالح و علاقات معينة قد تكون علاقات عمل أو دراسة أو جماعة رفاق و أصدقاء أو علاقات قرابة أو جيرة كما قد تكون علاقات مصلحة ، حيث تكون لهم نفس البنية الثقافية لآجل حدوث التفاعل بين هؤلاء الأفراد ، كما يجب أن يكون لديهم هدف معين إما مؤقت أو دائم كما إن وجودهم مع بعضهم البعض يشعرهم بوجودهم الاجتماعي ، و خصوصا ما يعرف إحساسهم بالانتماء و تحقيق الذات بعيدا عن مفهومها السيكولوجي .

❖ تعريف التماسك الاجتماعي :

يعبر عن تماسك سلوك الجماعة باعتباره نتيجة للروابط الاجتماعية أو القوى التي تجعل الأعضاء في حالة تفاعل لفترة معينة من الزمن و حينما يتحقق مستوى عالي من التماسك في جماعة ما ، إن أعضائها يشعرون بمشاعر ايجابية قوية نحو جماعتهم ، و تكون لحيهم رغبة في استمرار عضويتهم فيها ، فتتوافر الروح الجماعية العالية ، كما يتضمن التماسك الاجتماعي موافقة الأعضاء على الأهداف المقررة للجماعة و معايير بناء الأدوار بها ، أي توزيع الحقوق و المسؤوليات و يوجد التماسك ذو المستوى العالي و المنخفض في الجماعات الكبرى و الصغرى كما يوجد في الجماعات الرسمية و الغير رسمية² .

¹ مجدي احمد محمد عبد الله، السلوك الاجتماعي و ديناميته، (محاولة تفسيرية) ، دار المعرفة الجامعية ، الازارطية ، 2005 ، ص 114:

² عبد الحميد عطية ، محمد محمود مهدي ، الاتصال الاجتماعي و ممارسة الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، بدون طبعة ، 2004

❖ التعريف الإجرائي للتماسك الاجتماعي :

هو عبارة عن نوع من الصلة الجماعية الايجابية التي تميز علاقة اجتماعية بين أفراد في جماعة معينة ، فيتحقق بينهم ما يعرف بروح الجماعة و التضامن و التعاون و حتى التناسب و الانسجام في الترتيبات الاجتماعية لتحقيق الأهداف العامة لتلك الجماعة .

❖ تعريف السلوك الاجتماعي :

إن السلوك الاجتماعي يمثل سلوك شخص أو مجموعة أشخاص تحدث استجابة لسلوك أشخاص آخرين دون أن يكون لهؤلاء وجود فيزيقي ، و هذا يعني أن الشخص يستجيب في ضوء توقعه في سلوك الآخرين .
إذن فالسلوك الاجتماعي قد لا يشمل الوجود الفيزيقي لأكثر من شخص واحد .
و يمثل السلوك الاجتماعي ركيزة أساسية في تحقيق التفاعل الاجتماعي الايجابي و من ثمة خلق روح العمل الايجابي ، أو روح الفريق أو الأداء الجماعي الذي هو لب المشاركة المجتمعية¹.

❖ التعريف الإجرائي للسلوك الاجتماعي :

هو عبارة عن رد فعل اجتماعي ، يقوم به الفاعل في إطار علاقته الاجتماعية و التبادلية مع ذويه من المجال الاجتماعي الواحد قصد تحقيق الفهم الجمعي في إطار المبادلات الثقافية و الاجتماعية بين الأطراف المتفاعلة .

¹ يسري دعبس، المشاركة المجتمعية و التنمية المتواصلة ، مرجع سابق ذكره ص ص : 20، 28 .

❖ تعريف التنشئة الاجتماعية :

تعرف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي يكتسب الفرد من خلالها الخصائص الأساسية لمجتمعه ، كما تجد هذه الخصائص منا فرها في ضروب معينة من السلوك ، ببطانتها الوجدانية ممثلة في قيم و اتجاهات اجتماعية عامة بمعنى آخر توجيه الفرد من خلال أساليب معينة للتعلم إلى ضروب من السلوك ملائمة من منظور المجتمع الذي يعيش فيه و الناي به عن أخرى غير مرغوبة أو ملائمة و كفها .

هي إذن عملية مقصود بها اكتساب الفرد حساسية المنبهات الاجتماعية (قيم المجتمع و أعرافه) ، و السلوك على غرار ما تقتضي به المنبهات ، فلكل مجتمع من المجتمعات نماذج و أنماط تحدد ما يجب أن يكون عليه سلوك أفرادها ، حيث تتبلور هذه النماذج و الأنماط في قواعد و رموز يورثها كل جيل لاحق . و من الطبيعي إن تتضمن عملية التنشئة الاجتماعية صيغا للتدعيم الإيجابي لسلوك من يتحكم في مواضع المجتمع و معاييرها ، و صيغا للتدعيم السلبي لمن يتحكم في تلافها .

بالإضافة إلى خلق حاجة إلى الأفراد للعمل بما تقتضيه هذه المواضع و من الطبيعي أيضا أن تكمن فلسفة خاصة في عملية التنشئة الاجتماعية ألا و هي إرساء نوع معين من الثبات يمكن الفرد من معرفة الكيفية التي يتصرف بها و هو يواجه المواقف المختلفة، و معرفة الكيفية التي يتصرف بها إذا كان عليه أن يحقق هدفا ينشده .

قوام هذه الفلسفة إذن هو الإقلال من التغير المستمر في البيئة الاجتماعية الذي يحول دون خلق التنبؤات و التوقعات إبان التفاعل الاجتماعي¹ تهدف عملية التطبع أو التنشئة الاجتماعية إلى إكساب الفرد في مختلف مراحل عمره أساليب سلوكية معينة تتفق مع معايير الجماعة و قيم المجتمع حتى يتحقق

¹ محي الدين احمد حسين ،مشكلات التفاعل الاجتماعي بين التثديد و المعالجة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1986 ، ص :164.

لهؤلاء الأفراد التوافق و الاندماج في الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه ، و يلاحظ أن تلك العملية هي التي تكسب الفرد إنسانيته و هنا تبرز أهمية و اثر المجتمع و حضارته و ما تحويه هذه الحضارة من عادات و اتجاهات و قيم على التكوين النفسي للفرد ، فهذا التكوين لا تحدده العوامل الوراثية فقط ، بل يتحدد كذلك بفعل العوامل الحضارية و التي تقوم عملية التنشئة الاجتماعية بالدور الأكبر فيه و كذلك يلاحظ أن عملية التنشئة الاجتماعية تختلف من مجتمع لآخر تبعا لاختلاف اتجاهات و قيم و نظم هذا المجتمع من غيره من المجتمعات .

و هناك عوامل من الملاحظات علي عملية التنشئة الاجتماعية يمكن إيجازها فيما يلي :

إن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم اجتماعي يتاح فيها للفرد فرصة التفاعل الاجتماعي مع الآخرين من خلال ادوار و مواقف معينة و متعددة يكتسب الفرد الخبرات و الاتجاهات النفسية .

إن التنشئة الاجتماعية هي عملية نمو و ارتقاء ، وهذا يبدا و اضحا في عمليات التنشئة الاجتماعية للطفل

التنشئة الاجتماعية عملية ديناميكية لأنها بها حركات و تفاعل مستمر بين الأفراد و بين الأفراد و الجماعات التي يتفاعلون معها، و هي عملية مستمرة إذ لا تتوقف فيها فهي سلسلة متواصلة و متتابعة من التغيرات غير قاصرة على الطفولة، و لكنها سلسلة متصلة و متتابعة من المراحل

الأخرى¹

❖ التعريف الإجرائي للتنشئة الاجتماعية :

هي تلك السمات تلتني تغرس في الذات البشرية لتكون ذاتها اجتماعية لدى الفرد منذ بداية احتكاكه و تفاعله مع شركائه الفاعلين في المجال الاجتماعي ، حيث أن هذه التنشئة تكسب الفرد قابلية تجاوبه و تفاهمه مع العالم الاجتماعي المحيط به ، و

¹ مجدي احمد محمد عبد الله ، السلوك الاجتماعي و دينامكيته ،مرجع سابق ذكره ،ص ص : 282 ، 283.

تمكنه من أن يكون ذاتا فاعلة و مستقلة بخصوصياتها عن باقي الذوات الاجتماعية الأخرى .

❖ تعريف التبادل :

هو عملية اقتصادية، يتم بمقتضاها انتقال السلع و الخدمات بين أفراد المجتمع¹

❖ التعريف الإجرائي للتبادل :

هي تلك العملية التي تحقق المنفعة المتبادلة بالأخذ و الرد ، سواء أكان هذا العطاء أو الرد رموزا ثقافية (كالتهادي مثلا) أو أشياء مادية اقتصادية ، كالمبادلات التجارية و المقايضة ، و غيرها من أمور السوق .
و التبادل يحقق التكامل و التوازن الاقتصادي و الانتشار و الذبوع الثقافي بين المجالات الاجتماعية من خلال المبادلات ، كما يحقق الانسجام بين وحدات و حقول المجال الاجتماعي التفاعلي الواحد .

❖ تعريف الثقافة :

هي طريقة الحياة التي يشترك فيها أعضاء المجتمع أو الجماعة ، و هي تكتسب من خلال اكتساب الأعضاء لعضويته المجتمع و من خلال مشاركتهم في طريقة الحياة و يمكن أن يتم تعلم الثقافة من خلال التفاعل مع الآخرين ، و هي تحتوي على جانبين ، الجانب المادي مثل الاختراعات و الإنتاج ... الخ .
و الجانب المعنوي كالاعتقاد و الاتجاهات و القيم و قواعد السلوك ، وهي أمثلة للجوانب المعنوية للثقافة²

ويعرف سابير الثقافة أنها ما يفعله المجتمع و يفكر فيه ، كما انه يحدد الثقافة بأنها العناصر الموروثة خلال حياة الإنسان سواء كانت هذه الموروثات مادية أو روحية¹

¹أبو زيد احمد ، البناء الاجتماعي ، المكتب الجامعي الحديث ، الجزء الثاني ، 1967 ، ص :205.
²Mustafa .a .f. Ibrahim .a . M .reading in social sciences .2004 .p 329.

و الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتكون من العرف و التقاليد و المعتقدات و القيم و الممارسات ، و كل ما هو لوجود الإنسان من اختراعات و ابتكارات ، إلى غير ذلك².

❖ التعريف الإجرائي للثقافة :

هي تلك المكتسبات الرمزية التي ترسخ في ذات الفرد الاجتماعية من جراء التنشئة الاجتماعية و الثقافية ، حيث أن الثقافة تمكن الفرد من إبراز قدراته التفاعلية مع مشاركيه في الثقافة أو من ذوي الثقافات الأخرى (من خلال تبادل الثقافات) حيث أن الثقافة تضفي على الفرد ملامحه الاجتماعية لأنها تعبر عن عاداته و تقاليده و دينه و القانون و المبدأ و العرف و الأخلاق و الممارسات و الطقوس و كل ما يتعلق بالهوية الثقافية للفرد، كما تمنحه النفوذ الشرعي و السلطة الرمزية داخل المجال الاجتماعي و خارجه ، أي إنها تمنحه هويته الاجتماعية و الثقافية.

4 - أهمية الدراسة و أسباب اختيار الموضوع :

أ - أسباب ذاتية:

❖ درجة الدافعية و الحافز لانجاز هذا البحث ، كوني أحبذ مثل هذه الدراسات لأنني اعتبرها لب الحياة الاجتماعية و هي جديرة بالدراسة و تتطلب عناية سسيولوجية أكثر دقة و رزانة

❖ الرغبة في التأكد ميدانيا و علميا مما هو متعارف عليه في حياتنا الاجتماعية، كون أن العلاقات الاجتماعية أصبحت تحكمها العلاقات المادية أكثر منها اجتماعيا، و الفرد يقيم على حسب ما يملك و ما يقدم للناس

¹Birney. David .theoretical anthropology schoctel.books.n.y.1969.p20.
²فاروق احمد المصطفى ،محمد عباس إبراهيم ، الانثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الازارطية ، 2008 ، ص : 28 .

ب - أسباب موضوعية:

- ❖ نقص الدراسات وخصوصا الجامعية و المكتبات من مثل هذا النوع من البحوث
- ❖ اهتمام معظم الباحثين بالمواضيع التربوية و الهيكلة التنظيمية ،دون المواضيع التي اعتبرها حجر الزاوية للسوسولوجيا الحديثة ،و لعملية التفاعل الإنساني و الاجتماعي كونها سوسولوجيا الحياة اليومية ، كذا الاهتمام بعملية التفاعل الاجتماعي اعتباره له أساس كل العمليات الاجتماعية ،متخذة موضوع الهدية كنموذج منهجي للدراسة و تركيزي في وقعها على العلاقات الاجتماعي
- ❖ الأهمية العلمية و العملية للموضوع كونه لبنة أساسية للتفاعل و التماسك الاجتماعي
- ❖ قابلية الموضوع للدراسة ، وذلك بتوفر المعطيات الواقعية و الامبريقية وكذا إمكانية الوصول للمبحوثين بدون صعوبة و هذا كله لإمكانية قياس مدى صدق الفروض و قياس متغيراتها على وجه الميدان
- ❖ التعرف على طبيعة العلاقة بين المتغيرات و التأكد من صحة ترابطها و تفسيرها لبعضها البعض من خلال الدراسة الميدانية
- ❖ محاولة التوصل إلى إجابة علمية مقنعة تزيل الريبة و الغموض الذي طرحته أثناء الإشكالية و تخرجني من مرحلة التيه محاولة في ذلك وضع قاعدة و خلفية نظرية صلبة تمكنني من اعتبار هذه الدراسة حجر البداية لدراسات قادمة إن شاء الله

5 - أهداف الدراسة :

أ - أهداف نظرية:

- ❖ معرفة تأثير الهدية على العلاقات الاجتماعية
- ❖ الكشف عن الآليات التي تسير ضمنها عملية التفاعل الرمزي من خلال نموذج عملية التهادي .
- ❖ محاولة التعرف على الأطراف المعنية بعملية التهادي باعتبارهم الفاعلون الاجتماعيون و عناصر مهمة في العملية المدروسة
- ❖ إبراز أهم الأشكال و البراديقمات التي تختفي وراء ظاهرة التهادي
- ❖ الوصول إلى الدلالات و القيم الذاتية و الموضوعية الكامنة وراء الأشياء المتبادلة في اطار عملية التهادي.
- التعرف على المناسبات التي تقدم فيها الهدايا لأجل توضيح الميزة العلائقية بين المجال الزماني و الثقافي و العمراني و البشري في إطار المجال الاجتماعي
- ❖ معرفة تأثير العادات و التقاليد و البنية الثقافية بصفة عامة على نوعية و دلالة الهدية باعتبارها منتج ثقافي خاضع لمؤثرات التغيير الاجتماعي
- ❖ معرفة كيفية و توقيت رد الهدية باعتبارها عملية تفاعلية مبنية على الأخذ و العطاء بين الأطراف المعنية
- ❖ الكشف عن الدور الاقتصادي للهدية بين المهدي و المهدي له

ب - أهداف عملية:

- ❖ التدريب و محاولة التعود على إجراء البحوث الاجتماعية وفقا للخطوات العلمية
- ❖ الإجابة على إشكالية الدراسة و تساؤلاتها وصولا إلى نتائج علمية
- ❖ الخروج بتوصيات و مقترحات يستفاد منها في الدراسات القادمة
- ❖ فتح المجال للتعمق و البحث أكثر في الموضوع
- ❖ عرض و لو بصورة موجزة لهذه الظاهرة الاجتماعية و مختلف جوانبها
- ❖ البحث عن الفرق بين المجالات الاجتماعية و طبيعة التفاعل الرمزي ضمنها

الفصل الثاني
تبادل المدايا شكل من أشكال
التفاعل الاجتماعي

. مقدمة

1. التفاعل الاجتماعي في الواقع المعاش
 2. مفهوم الاجتماعي
 3. العلاقات الاجتماعية و الفعل الاجتماعي
 4. الهدية كشكل من أشكال التفاعل الاجتماعي
- . خلاصة الفصل

مقدمة :

يعد التفاعل الاجتماعي من أكثر المفاهيم انتشارا في علم الاجتماع و علم النفس على السواء ، و هو الأساس في دراسة علم النفس الاجتماعي الذي يتناول دراسة كيفية تفاعل الفرد في بيئته و ما ينتج عن هذا التفاعل من قيم و عادات و اتجاهات و هو الأساس في قيام العديد من نظريات الشخصية و نظريات التعلم إذ يعد التفاعل الاجتماعي بشكل عام نوع من المؤثرات و الاستجابة و في العلوم الاجتماعية يشير إلى سلسلة من المؤثرات و الاستجابات ينتج عنها تغيير في الأطراف الداخلة فيما كانت عليه في البداية.

و التفاعل الاجتماعي لا يثر في الأفراد فحسب بل يؤثر كذلك في القائمين على البرامج أنفسهم بحيث يؤدي ذلك إلى طريقة عملهم مع تحسين سلوكهم تبعا للاستجابات التي يستجيب لها الأفراد .

لذا تعددت و تباينت استخدامات التفاعل الاجتماعي ، فهو مثلا يستخدم كعملية ، لأنه يتضمن نوعا من النشاط الذي تستثيره حاجات معينة عند الإنسان ، ومنها الحاجة إلى الانتماء و الحاجة إلى الحب و الحاجة إلى التقدير و النجاح ، و هو حالة لأنه يستخدم في الإشارة إلى النتيجة النهائية التي يترتب عنها تحقيق هذه الحاجات عند الإنسان ، و هو مجموعة من الخصائص التي هي نوع من الاستعدادات الثابتة نسبيا تميز استجابات الفرد في سلوكه الاجتماعي التي تدع بالسمات التفاعلية و السمات الأولية للاستجابات الشخصية المتبادلة .

و هو سلوك ظاهر لأنه يحوي التعبير اللفظي و الحركات و الإيماءات .

و هو سلوك باطن لأنه يتضمن العمليات العقلية الأساسية كالإدراك و التذكر

و التفكير و التخيل و جميع العمليات النفسية الأخرى .

كما أن التفاعل كلمة مستعارة من العلوم الطبيعية و تعني التأثير المتبادل بين عنصرين أو أكثر ، لكل عنصر منها خصائص و تركيب و صفات عديدة و نتيجة للاتصال المباشر و التأثير المتبادل بين هذه العناصر يتم الحصول على نتائج للتفاعل يمثل مركبا له من الخصائص و الصفات ، ما يجعله مختلفا عن العناصر

المتفاعلة لكن التفاعل الاجتماعي يختلف عن التفاعل في العلوم الطبيعية لكونه يتضمن مفاهيم و معايير و أهداف ، فالفرد حين يستجيب لموقف إنساني إنما يستجيب لمعنى معين يتضمنه هذا الموقف بعناصره المختلفة .
و التفاعل الاجتماعي يتضمن مجموعة توقعات من جانب كل من المشتركين فيه و كذلك يتضمن التفاعل الاجتماعي إدراك الفرد الاجتماعي و سلوك الفرد في ضوء المعايير عن طريق اللغة و الرموز و الإشارات و تكون الثقافة للفرد و الجماعة نمط التفاعل الاجتماعي.

و لا يقتصر التفاعل الاجتماعي على ما يدور بين شخص و آخر ، بل قد يكون بين جماعة و أخرى ، كما بينت الدراسات انه إذا تولت عمل واحد جماعتان كل على حده ، و لكل أحدهما ترى الأخرى ، و تعلم بوجودها ، فان ذلك يؤثر على الأداء و الإنتاجية .

أولا : التفاعل الاجتماعي في الواقع المعاش :

إن رصد أشكال التفاعل في البناء الاجتماعي الكبير يتباين عن رصده في إطار العمليات البسيطة .

للمواقف و التفاعلات المختلفة ، حيث يدخل في إطار ما يسمى بالعروض أو المواقف المسرحية ، لان فكرة الخام أو البسيطة للتفاعل تكون ثابتة من خلال البناء الموسع ، أو في طريقة إعادة إنتاج التركيب الاجتماعي التي لا تستطيع أن تدرك عملية استقلال نظام التفاعل .

و التفاعل يعبر بشكل جلي عن تنظيم البناء في أي معنى بسيط ، إذ يعبر بشكل متقدم بالنظر إلى هذا التنظيم عن أن البناء الاجتماعي لا يتحدد وفقا للصعيد الثقافي (طقوس التفاعل) حيث أن الفاعلين يختارون ما هو متاح لهم .

إن مثل هذا الوضع يجعلنا أمام زواج خاسر في ممارسة التفاعل الاجتماعي و في عملية تكوين البنيات الاجتماعية و عملية تكوين الفئات الاجتماعية .
إن عملية التكامل في إطار البنيات الاجتماعية لا تسمح برصد التحولات في القواعد و القوانين ، أو حتى في الأعضاء الذين يختارون الأشياء الخارجية المختلفة التي لا ترتبط بطبيعة التفاعلات الاجتماعية .
كما أن إشاحة النظر عن التحولات الواسعة و الالتجاء إلى التحليلات الضيقة و خاصة لرصد التفاعل الاجتماعي يجعلنا نضع أيدينا على كيفية صياغة الناس لتفاعلاتهم و اتصالاتهم مع الآخرين في مختلف مناحي الحياة ، و في إطار النظام القائم .

إن ذلك سوف يعطي معنى للعالم القائم ، و معنى للوجود الحقيقي لممارسة الأفراد الذين يتعاملون مع الآخرين في إطار المواقف المتباينة .
إن المتأمل فيما سبق سيجد أن مدخل السوسولوجيا الحديثة ترصد الفريد وليس العام الذي انشغلت به السوسولوجيا لوقت طويل¹

1 - التفاعل الاجتماعي :

يشير مفهوم التفاعل بمعناه العام إلى الدور المتبادل ، له طابع ديناميكي كما يشير إلى : علاقة بين متغيرين أو أكثر ، مع العلم أن هذه العلاقة تتطوي على تأثير متبادل بين الأطراف و المتغيرات²
و التفاعل الاجتماعي هو التأثير المتبادل بين سلوك الأفراد و الجماعات من خلال عملية الاتصال و التصور البسيط للتفاعل الاجتماعي .
و يقصد به ما ينبع عن الطبيعة البشرية من تأثير متبادل بين القوى الاجتماعية و الثقافية ذاتها ، و هي إنتاج التفاعل الاجتماعي³ .

¹ شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية (من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة) مصر العربية للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2009 ، ص ص 173 ، 174 .

² معن خليل العمر ، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2006 ، ص 122

³ محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992 ، ص 122 .

كما يعد التفاعل الاجتماعي عدة منبهات اجتماعية متفاعلة تقدمها البيئة الاجتماعية لأبنائها ، و تؤدي هذه المنبهات إلى استثارة استجابات اجتماعية لدى المشاركين في هذا الموقف¹

كما يحدد البعض التفاعل الاجتماعي بأنه السلوك الموجه نحو تحقيق غايات و أهداف محددة ينتج عنها إشباع الدافع إلى السلوك .

و تعتبر التفاعلات و الاستجابات المتبادلة بين الأفراد و الجماعات مع بعضها البعض ، أو بين المنظمات الاجتماعية هي المصدر الأساسي للطاقة التي تحركهم و تؤثر فيهم .

و يقصد بالتفاعل الاجتماعي تلك العملية التي يمكن من خلالها تحقيق الترابط بين الأفراد و الجماعات و المؤسسات و المجتمع سواء أكان ذلك في الوسائل أو في الغايات²

و قد اهتم سوركن (1889- 1986) بمفهوم التفاعل اهتماما بالغا وصل إلى حد اختياره كوحدة للتحليل السسيولوجي ، متفقا مع ذلك مع زيمل في الرأي بأنه ينبغي تحليل الظواهر الاجتماعية إلى وحدة التفاعل تلك و يتحدد مفهوم التفاعل عنده في ثلاثة أبعاد :

✓ الشخصية : باعتبارها موضوع التفاعل ، و باعتبارها مجموعة الوسائل

التي تنشئ المعاني و تجعلها اجتماعية و تقوم بتوصيلها .

✓ المجتمع : باعتباره مجموعة الشخصيات المتفاعلة .

✓ الثقافة : باعتبارها مجموعة المعاني و القيم و المعايير الموجودة لدى

الشخصيات المتفاعلة³ .

¹ عايد عبد السلطاني ، مقالة في التفاعل الاجتماعي ، وزارة التربية و التعليم ، المديرية العامة لتطوير المناهج ، بدون بلد ،

2009/11/11 ، ص 4

² محمد عبد الفتاح ، الاتجاهات النظرية في دراسة المنظمات المجتمعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2008 ، ص : 37

2- التفاعل الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية :

إن من أهم صفات الكائن البشري هو وجود علاقات بينه و بين الآخرين ، و من الأفضل تسميتها بالعلاقات البشرية بغض النظر عن كونها علاقات ايجابية أو سلبية ، و هي بالتالي تختلف عن مفهوم العلاقات الإنسانية و التي أصبح متعارف عليها بالعلاقات الايجابية¹.

و نرى أن الاتصالات المتعددة تقل عنها في القرية عن المدينة ، و يقل نطاق التفاعل في القرية بينما يتسع في المدينة .

و يتم الريف بالاتصالات الأولية و تتم العلاقات بالدوام، بينما تكون فترة التفاعل نسبيا في الحضر

و يأخذ التفاعل صور وأساليب عديدة، فقد يحدث هذا التفاعل بطريق مباشر أو غير مباشر بين عدد محدود من الأفراد أو عدد كبير.

و يكون عن طريق استخدام الإشارة و اللغة و الإيماء في مصنع أو منزل أو بين أشخاص تكون بينهم صلات قرابة أو جوار.

و يأخذ التفاعل أنماطا مختلفة تتمثل في التعاون و التكيف و المنافسة و الصراع و القهر، و حينما تستقر أنماط التفاعل و تأخذ أشكالا منتظمة، فإنها تتحول إلى علاقات اجتماعية كعلاقة الأبوة و الأخوة و الزمالة و السيادة و الخضوع و السيطرة.

و قد جرت العادة بين العلماء على التفرقة بين العلاقات المؤقتة و العلاقات الدائمة من حيث درجة الثبات و الانتظام و الاستقرار ، فيطلقون على الأولى منها إصلاح العمليات الاجتماعية ، و هذا يعني أن العملية الاجتماعية ما هي إلا علاقة اجتماعية في مرحلة التكوين ، فإذا ما استقرت و تبلورت و أخذت شكلا محددًا تحولت إلى علاقة

¹ منسي حسن ، ديناميات الجماعة و التفاعل الوصفي ، دار الكندي ، 1998 ، ص :15 .

اجتماعية ، و بذلك يكون الفرق بين العملية و العلاقة الاجتماعية مجرد فرق في الدرجة وليس في النوع ¹ .

و لقد أشارت الدراسات التحليلية للحياة الاجتماعية إلى أنها تبدأ بفعل اجتماعي يصدر عن شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من شخص آخر و يطلق على التأثير المتبادل بين الشخصين أو بين الفعل و رد الفعل اصطلاح التفاعل ، لذا لا بد أن نفرق بين الفعل الاجتماعي و بين غيره من الأفعال و بين غيره من الأفعال الغير اجتماعية ، لذا لا بد أن نفرق بين الفعل الاجتماعي ، و بين غيره من الأفعال الغير اجتماعية ، فالفعل الاجتماعي وفقا لتعريف ماكس فيبر هو (السلوك الإنساني الذي يحمل معنى خاص يقصد إليه) فاعله بعد أن يفكر في رد الفعل المتوقع من الأشخاص الذين يوجه إليهم سلوكهم هذا المعنى الذي يفكر فيه الفرد و يقصده و هو الذي يجعل الفعل الذي يقوم به اجتماعيا ، فالاصطدام الذي يحدث بدون قصد بين راكبي دراجتين هو ذاته فعل طبيعي و ليس فعل اجتماعي إما محاولة كل منها تفادي الاصطدام بالأخر ، و اللغة التي يستخدمونها بعد الحادثة هو عبارة عن فعل اجتماعي حقيقي ، و التفاعل الاجتماعي يقوم على أساس مجموعة من المعايير التي تحكم هذا التفاعل من خلال وجود نظام معين من التوقعات الاجتماعية في إطار الأدوار و المراكز المقدرة داخل المجتمع و التفاعل الاجتماعي أيضا يؤدي إلى تشكيل الجماعات الإنسانية و إلى ظهور المجتمعات الإنسانية .

و نظرا لان التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال يبين الأفراد و الجماعات فانه بلا شك ينتج عنه مجموعة من التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين .
و منه فالتفاعل الاجتماعي هو عدة منبهات اجتماعية متفاعلة تقدمها البيئة الاجتماعية لأبنائها ، و تؤدي هذه المنبهات إلى استشارة استجابات لدى المشاركين في هذا الموقف ² .

¹ فهمي نهى ، العلاقات القرابية في المجتمع المحلي و الحضري ، دراسة وصفية ، 2001 ، ص : 92 .
² حسين عبد العزيز الدريني ، الجماعات الصغيرة و الإحباط ، كلية التربية ، جامعة قطر ، 1984 ، العدد الثالث .

3 - خصائص التفاعل الاجتماعي:

- ✓ يعد التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال و تفاهم بين أفراد المجموعة فمن غير المعقول أن يتبادل أفراد المجموعة الأفكار من غير ما يحدث تفاعل اجتماعي بين أعضائها .
- ✓ إن لكل فعل مما يؤدي إلى حدوث التفاعل الاجتماعي بين الأفراد .
- ✓ عندما يقوم الفرد داخل المجموعة بسلوكيات و أداء معين فانه يتوقع حدوث استجابة معينة من أفراد المجموعة إما ايجابية أو سلبية .
- ✓ التفاعل بين أفراد المجموعة يؤدي إلى ظهور القيادات و بروز القدرات الفردية .
- ✓ إن تفاعل الجماعة مع بعضها البعض يعطيها حجم اكبر من تفاعل الأعضاء وحدهم دون الجماعة
- ✓ أيضا من خصائص ذلك التفاعل توتر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد المتفاعلين مما يؤدي إلى تقارب القوى بين أفراد الجماعة .
- ✓ باعتبار التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال بين الأفراد و الجماعات فانه بلا شك ينتج عنه مجموعة من التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين و نظرا لان التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال بين الأفراد و الجماعات فانه بلا شك ينتج عنه مجموعة من التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين¹ .

¹ الخولي سناء ، الأسرة و الحياة العائلية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 83

4 - أهمية التفاعل الاجتماعي:

- ✓ يسهم التفاعل الاجتماعي في تكوين سلوك الإنسان ، فمن خلاله يكتسب الوليد البشري خصائصه الإنسانية ، و يتعلم لغة قومه و ثقافة جماعته ، و قيمتها و عاداتها و تقاليدها ، من خلال عملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الثقافية .
- ✓ حيث تعتبر التنشئة الثقافية عملية تتم بشكل شعوري حيناً و لا شعوري أحيانا أخرى ،ذلك أن الطفل يولد و تسيطر عليه دوافع غريزية تجعله غير قابل لمشاركة الآخرين في الحياة المجتمعية ، فيتولاه المجتمع بتلقينه تقاليده و عاداته ، و تمرينه على القيام بذلك ، و تجعل الإنسان ع طريق التعلم و المران حاملا للثقافة التي يعيش فيها .¹
- ✓ فالتفاعل الاجتماعي ضروري لنمو الطفل، فلقد بينت الدراسات أن الطفل الذي لا تتوفر له فرص كافية للتفاعل الاجتماعي يتأخر نموه.
- ✓ يهيئ التفاعل الاجتماعي الفرص للأشخاص لتمييز كل منهم بشخصيته و ذاتيته فيظهر منهم المخططون و المبدعون و كذا العدوانيون ... الخ ، كما يكتسب المرء القدرة على التعبير و المبادرة و المناقشة .²
- ✓ يعد التفاعل الاجتماعي شرطا أساسيا لتكوين الجماعة ، إذ ترى نظرية التفاعل أنها نسق من الأشخاص يتفاعل بعضهم مع بعض ، مما يجعلهم يرتبطون معا في علاقات معينة ، و يكون كل منهم على وعي بعضويته في الجماعة ، و معرفة ببعض أعضائها ، و يكونون تصورا مشتركا لمجموعاتهم
- ✓ يساعد التفاعل الاجتماعي على تحديد الأدوار الاجتماعية أو المسؤوليات التي يجب أن يتقيد بها كل فرد ، ففي جماعات المناقشة مثلا يؤدي التفاعل إلى إبراز ادوار المشاركين و تعميقها .
- ✓ ينشأ التفاعل الاجتماعي ثلاثة أنماط من العلاقات الاجتماعية :

¹ حسن سغفان ، إجلال ثقافي في مجتمع العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 ، ص : 18

² عايد سبع السلطاني ، مرجع سابق ذكره ، ص : 12 .

- ❖ ايجابية متبادلة (علاقة تجاذب)
- ❖ علاقة سلبية متبادلة (علاقة تنافر)
- ❖ علاقة مختلطة .: و هي التي تجتمع بين السلب و الايجابي ، احد طرفيها ايجابي يقبل على الآخر و الطرف الثاني سلبي ينفر من الأول.

و هذا معناه خان التفاعل الاجتماعي يحدد درجة الجاذبية المتبادلة بعضهم مع بعض ، و بينهم و بين الجماعات ، فكلما ازداد معدل التفاعل و الاتصال الثقافي بين الإنسان و الإنسان الآخر ازداد فهما له ، ما يؤثر بالسلب أو الإيجاب في الجاذبية المتبادلة بينهما .

كذلك يمثل تفاعل المرء مع جماعته ودرجة انجذابه إليها ، فالجماعة التي تشعر أعضائها بالاحترام و الهيبة و النجاح و تتيح فرص المشاركة الملائمة لكل منهم يزداد انجذاب الأعضاء نحوها .

لان الاتصال الثقافي يعني تفاعل بين جماعتين لكل منهما ثقافة متميزة ، و يؤدي الاتصال الثقافي إلى تعديل الثقافتين ، و إن كان ليس من المحتم إن يحدث دائما طالما إن درجة التأثير المتبادل تختلف من موقف لآخر .

فقد تتأثر ثقافة تأثيرا عميقا بالثقافة الأخرى ، بينما تمارس الأخرى أثرا طفيفا على الأولى ، أو قد يكون هناك تبادل متعادل للسمات الثقافية بين كليهما¹.

أما التعديل الذي يطرأ على ثقافة معينة نتيجة لاتصالها بالثقافة الأخرى فهو غالبا ما يعتمد على الاتصال بين الأفراد أنفسهم ، و يمكن أن يحدث الاتصال الثقافي من خلال التجارة أو الحرب أو بعثات التبشير .

و يبدو أن الاتصال الثقافي بين الأوروبيين و المجتمعات البدائية كان أهم عوامل تغيير هذه المجتمعات ، و خاصة بعد أن ساد اعتقاد بين علماء الانثروبولوجيا مؤداه أن هذه المجتمعات تحافظ على شكل و مضمون بنائها لفترة طويلة من الزمان .

¹ عبد الرحمان عبد الباقي عمر، دراسات في العلاقات الإنسانية، مكتبة عين الشمس، القاهرة، بدون طبعة، 1996، ص:52

كما يؤدي التفاعل الاجتماعي إلى تمييز شرائح الجماعة ، فتظهر القيادات و عكس ذلك¹.

5. أهداف التفاعل الاجتماعي :

- يحقق التفاعل الاجتماعي بين الأفراد مجموعة من الأهداف منها :
- ✓ ييسر التفاعل الاجتماعي تحقيق أهداف الجماعة و يحدد طرائق إشباع الحاجات.
 - ✓ تعلم الفرد و الجماعة بواسطته أنماط السلوك المتنوعة و الاتجاهات التي تنظم العلاقات بين الأفراد و جماعات المجتمع في إطار القيم السائدة و الثقافة و التقاليد الاجتماعية المتعارف عليها.
 - ✓ يساعد على تقييم الذات و يخفف وطأة الشعور بالضيق ، فكثيرا ما تؤدي العزلة إلى الإصابة بالأمراض النفسية .
 - ✓ يساعد على تقييم الذات و الآخرين بصورة مستمرة .
 - ✓ يساعد التفاعل على التنشئة الاجتماعية للأفراد و غرس الخصائص المشتركة بينهم².

6 - مستويات التفاعل الاجتماعي:

✓ التفاعل بين الأفراد :

إن نوع التفاعل القائم بين الأفراد هو أكثر أنواع التفاعل الاجتماعي شيوعا فالتفاعل الاجتماعي القائم بين الابن و الأب و الزوج و الزوجة و الرئيس و المروؤوس ... الخ . و بيئة التفاعل في هذه الحالة الأفراد اللذين يأخذون سلوك الآخرين في الحسبان ، و من ثمة يؤثر عليهم و على الآخرين و في عملية التطبيع الاجتماعي مثلا نجد أن التفاعل الاجتماعي يأخذ هذا التسلسل : الأم -

¹ منسي حسن ، دينامية الجماعة و التفاعل الصفي ، مرجع سابق ذكره ، ص : 15.

² سلوى عثمان الصديق ، هناء حافظ بدوي ، أبعاد العملية الاتصالية ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1999 ، ص 54 :

الطفل و إخوته -الطفل و أقرانه -الشباب و المدرسة - الشباب و العاملين معه - الشباب و رؤساؤه ... الخ .

و في كل تلك الصلات الاجتماعية نجد أن الشخص جزء من البيئة الاجتماعية للآخرين الذي يستجيب بنفس الطريقة كي يستجيبون له ، كل فرد بالآخرين و من ثمة يتفاعل معهم ¹.

✓ التفاعل بين الجماعات :

إن التفاعل القائم و إتباعه أو المدرس و تلاميذه أو المدير و مجلس الإدارة فالمدرس في مثل هذه الحالة يؤثر في تلاميذه كمجموعة و في نفس الوقت يتأثر بمدى اهتمامهم و الروح المعنوية و الثقة المتبادلة بينهم ، و من ناحية أخرى نجد أن الشخص المتفاعل مع مجموعة معينة من الأشخاص في مرات متكررة ينجم عنه وجود نوع من التوقعات السلوكية من جانب الجماعة أي سلوك معين متعارف عليه

✓ التفاعل بين الأفراد و الثقافة :

المقصود بالثقافة في هذه الحالة العادات و التقاليد و طرائق التفكير و الأفعال و الصلات البيئية السائدة بين أفراد المجتمع و يتبع التفاعل بين الفرد و الثقافة منطقيا اتصال الفرد بالجماعة ، إذ أن الثقافة مماثلة إلى حد كبير للتوقعات السلوكية الشائعة لدى الجماعة ، و كل فرد ينفعل للتوقعات الثقافية بطريقته الخاصة ، و كل فرد يفسر المظاهر الثقافية حسب ما يراه مناسبا لها ، فالثقافة جزء هام من البيئة التي يتفاعل معها الفرد ، فالغايات و التطلعات و المثل و القيم التي تدخل في شخصية الفرد ماهي إلا مكونات رئيسية للثقافة ، كذلك فإن التفاعل الاجتماعي بين الأفراد و الثقافة يأخذ مكانا خلال وسائل الاتصال

¹ محمد علي و آخرون ، قاموس علم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، القاهرة ، بدون طبعة ، ص : 56

الجماهيرية التي لا تتضمن بدورها صلة تبادلية مثل الراديو و التلفزيون و الصحف و السينما¹.

✓ أسس و محددات التفاعل الاجتماعي :

يقوم التفاعل الاجتماعي على لربعة أسس و محددات هي :

❖ الاتصال :

لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون هناك تفاعل بين فردين دون أن يتم اتصال بينهم أو يساعد الاتصال بسبله المتعددة على وحدة الفكر و التواصل إلى السلوك التعاوني . فالالاتصال تعبير عن العلاقات بين الأفراد ، و يعني نقل فكرة معينة أو معنى محدد في ذهن شخص ما غالى ذهن شخص آخر أو مجموعة من الأشخاص ، و عن طريق عملية الاتصال يحدث التفاعل بين الأفراد ، و عملية الاتصال لا يمكن أن تحدث أو تتحقق لذاتها ، لكنها تحدث من حيث هي أساس عملية التفاعل الاجتماعي حيث يستحيل فهم و دراسة عملية التفاعل في أية جماعة دون التعرف على عملية الاتصال بين أفرادها .

❖ التوقع :

هو اتجاه عقلي و استعداد للإجابة لمنبه معين لاستجابات الآخرين كالرفض أو القبول و الثواب أو العقاب ثم يقيم تصرفاته و يكيف سلوكه طبقا لهذه التوقعات ، و إذا كان التوقع هو المحدد للسلوك ، فهو أيضا عامل هام في تقييمه ، ذلك أن تقييم السلوك يتم على أساس التوقع ، فسلوك الفرد في الجماعة يقيمه ذاتيا من خلال ما يتوقعه عن طريق استقبال زملاء له ، سواء أكان هذا السلوك حركيا ام اجتماعيا و يبنى التوقع على الخبرات السابقة أو على القياس بالنسبة إلى أحداث مشابهة ، و يعد وقوع التوقعات امراً لازماً و ضروريا لتنظيم السلوك الاجتماعي في أثناء

¹ عايد سبع السلطاني ، مرجع سابق ذكره ، ص : 08 .

عمليا التفاعل ، كما يؤدي غموضها إلى جعل عملية التلاؤم مع سلوك الآخرين امرأ صعبا يؤدي إلى الشعور بالعجز عن الاستمرار في انجاز السلوك المناسب .

❖ إدراك الدور و تمثيله :

لكل إنسان دور يقوم به و هذا الدور يفسر من خلال السلوك و قيامه بالدور فسلوك الفرد يفسر من خلال قيامه بالأدوار الاجتماعية المختلفة في أثناء تفاعله مع غيره طبقا لخبرته التي اكتسبها و علاقته الاجتماعية ، فالتعامل بين الأفراد يتحدد وفقا للأدوار المختلفة التي يقومون بها .

و لما كانت مواقف التفاعل الاجتماعي التي يلعب الفرد فيها ادوار تتضمن شخصية أو أكثر تلتزم إجابة الفرد لدوره و القدرة على تصور دور الآخرين ، أو القدرة على القيام به في داخل نفسه بالنسبة لدوره مما قد نعبر عنه بالقول الدارج : محاولتنا وضع أنفسنا مكان الغير و يساعد انسجام الجماعة و تماسكها أن يكون لكل فرد في الجماعة دور يؤديه مع قدرته على تمثيل ادوار الآخرين ، داخليا يساعد ذلك على إدراك عملية التوقع .

إذ أن الشخص الذي يقوم بنشاط في الجماعة و يعجز عن توقع أفعال الآخرين لعجزه عن إدراك أدوارهم و علاقة دوره بدورهم لن يتمكن من تعديل سلوكه ليجعله متفقا مع معايير الجماعة .

❖ الرموز ذات الدلالة :

يتم الاتصال و التوقع و لعب الأدوار بفاعلية عن طريق الرموز ذات الدلالات المشتركة لدى أفراد الجماعة كاللغة و تعبيرات الوجه و اليد و ما إلى ذلك ، و تؤدي كل هذه الأساليب إلى إدراك مشترك بين أفراد المجتمع ووحدة الفكر و الأهداف فيسيرون في التفكير و التنفيذ في اتجاه واحد و يشير (يونج) إلى أن الإنسان يعيش

في عالم الرموز ، هي شكل من أشكال التعبير عن الأفكار و المشاعر التي بداخلها و من خلالها نستطيع أن نعبر عن خبراتنا¹.

7 - العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي :

✓ يتأثر التفاعل الاجتماعي بدرجة التشابه بين ثقافة الأشخاص المشاركين فيه فكلما ازداد التشابه الثقافي بين طرفين ، ازداد التشابه الثقافي بين الطرفين ازداد التفاعل بينهما فالتفاعل العربي مثلا مع العربي ، يكون اكبر من تفاعل أبناء الوطن الواحد مع غيرهم (مثلا) و كذلك بالنسبة للأشخاص من ذات المهن أو الوظائف .

✓ -و يتأثر التفاعل بصفات المتفاعلين و خصائصهم ، فكلما اتصف طرف التفاعل بالإخلاص و الصراحة و حسن الخلق و التعاون و التسامح و سعة الأفق ، كان أكثر ما يزيد التفاعل بينهما ، و كلما اتصف بالصفات المغايرة لما ذكر أمعن الطرف الآخر في رفضه ، و كلما اتصف بالانصراف عن التفكير الجماعي و لجا إلى حب العزلة و عدم المشاركة في الاهتمامات و الأخذ بالآراء المغايرة أصبح معزولا عن أطراف التفاعل .

✓ يتضمن التفاعل التوقع فالمدرس يشرح لتلاميذه و يتوقع منهم الانتباه لما يقوله و مناقشته و لكن إذا حدث ما يخالف التوقع يزداد التفاعل أكثر و يأخذ شكلا آخر.

✓ يتضمن التفاعل الاجتماعي إدراك الدور الاجتماعي الذي يؤديه الطرف الآخر في ضوء المعايير الاجتماعي فإذا التبس ذلك الدور أو اختلف اتخذ التفاعل صورة مخالفة ، فمن مكونات الدور الاجتماعي للام رعاية وليدها ، فإذا أعرضت عن ذلك اتسم التفاعل بينهما من ناحية ، و بينها و زوجها بسمة تخالف ما هو متعارف عليه ، في ضوء المعايير الاجتماعية السائدة .

¹ عايد سبع السلطاني ، مرجع سابق ذكره ، ص : 08 .

✓ لكل لمرء منطقة تحيط به ، تعرف بالحيز الشخصي يتكون التفاعل الاجتماعي بناء على هذه المساحة و ذلك الحيز ، المحيط بالمرء و اختراقها أو عدم احترام خصوصيتها في الصف المنتظم إما شباك تذاكر معين أو عند دفع حساب معين ، كل واحد يحرص على حيزه الشخصي ، فإذا حدث خلل إذا قصد المرسل من الطرف الآخر إصلاحه .

من التفاعل الاجتماعي تبادل رسائل لفظية أو غير لفظية بين طرفين ، و إذا حدث خلل في نقلها يختل التفاعل ففي حالة كف البصر أو الصمم يتخذ وجهها مغايرا لما هو متعارف عليه ، كما يختل إذا قصد المرسل معنى معيناً لرسالته فهمه المستقبل فهما مغايرا أو مخالفا للمقصود لعدم وضوح الرسالة لغموضها او لنقص خبرة المستقبل أو لأخطاء في الإدراك .

✓ للتنظيم المكاني أو طريقة الجلوس أثرها في التفاعل الاجتماعي ، فعندما يجلس أعضاء الجماعة على مائدة مستديرة تميل كل فئة منها إلى مخاطبة تلك التي تواجهها ، و ليس الأشخاص المجاورين لها ، و حينما تستخدم المناضد المستطيلة تبين إن يجلسون إلى رأس المائدة تزداد مشاركتهم في قرار الجماعة في الاجتماع .

✓ و للقيادة دور مهم في تكوين التفاعل الاجتماعي فإذا كان القائد مسيطرا ، اتصف التفاعل بالتواكلية ، و عدم الاهتمام و عدم الرضا ، و إذا كان القائد فوضويا ، و إذا كان القائد فوضويا ازداد قلق الأشخاص و توترهم نتيجة لفشلهم في إشباع حاجاتهم في الانجاز و النجاح ، و إذا كان القائد جيدا

(ديمقراطيا) اتسم التفاعل بالاجابية و الحماس و المشاركة و الشعور (بالنحن) إي بالجماعة المتحدة المتماسكة المترابطة ، و بالعقل ، و بالصدقة .تمر الجماعات بمراحل إنمائية معينة ، و يتميز التفاعل الاجتماعي ، في كل مرحلة منها بخصائص محددة ، فيكون في البداية عشوائيا وفي ثنائيات أو جماعات صغيرة ثم يصبح تجريبيا إذ يختبر المتفاعلون أنماطا منه و أساليب معينة كما يكون مضطربا ، ثم يقلل الاضطراب و يزداد التمرکز حول العلم

، عندئذ تصل إلى اعلي إنتاجيتها إذ يمكن توجيه التفاعل بالتحكم في العوامل التي تؤثر فيه¹.

ثانيا : العلاقات الاجتماعية و الفعل الاجتماعي :

هي الروابط و الآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع و هي تنشأ من طبيعة اجتماعهم ، و تبادل مشاعرهم و احتكاكهم ببعض البعض الآخر ، وتفاعلهم في بوتقة المجتمع²

و العلاقات الاجتماعية مختلفة في شكلها ، فقد تكون علاقة اجتماعية مؤقتة أو طويلة الأجل ، و قد تكون محدودة .

و الحياة الاجتماعية تنشأ حينما يتفاعل الأفراد فيما بينهم مكونين علاقات بشرية ينتج عنها مجموعة من العلاقات الاجتماعية و التفاعلات التي تعتبر المحور الأساسي في حياة البشر³

و قد تتأثر العلاقات الاجتماعية بالتطورات الهائلة التي حدثت في المجتمعات نتيجة للتطورات المتتالية التي أوصلت البشرية للثورة الصناعية .

و اليوم نشاهد البشرية بثورة جديدة هي ثورة المعلومات التي ربما ستكون أثارها أكبر بكثير من الثورة الصناعية فالتقدم العلمي الهائل اليوم في مجال العمل و التكنولوجيا ينذر بتغيرات جذرية كثيرة في المجال المادي و المعنوي .

و كذلك تؤثر النظم ببعضها البعض سيؤدي إلى تغيرات كثيرة في مجال الأسرة و القرابة و العلاقات القيم و العادات و التقاليد .

و كذلك قد أدت التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية إلى ضعف هذه العلاقات ، فحين نحدد وضع شخص في الجماعة فإننا نحدد موقفه السلبي بالنسبة لإبعاده من قبل النفوذ و القيادة و الجاذبية⁴.

¹ عابد سبع السلطاني ، مرجع سابق ذكره .

² مذكور إبراهيم ، معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 ، ص : 403 .

³ القصير عبد القادر ، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية ، دار النهضة ، 1999 ، ص : 180 .

⁴ منسي حسن ، ديناميكية الجماعة و التفاعل الصفي ، مرجع سابق ذكره ، ص : 32 .

كما أن العلاقات الاجتماعية و التفاعل الاجتماعي مصطلحان مرتبطان ببعضهما بحيث لا يحدد احدهما دون الآخر ، حتى إنهما أصبحا كمترادفين فعند البعض التفاعل الاجتماعي شكلا من أشكال العلاقات الاجتماعية ، في حين عند البعض الآخر العلاقات الاجتماعية مظاهر لعمليات التفاعل الاجتماعي .
و كلما ازدادت العلاقات الاجتماعية المنتشرة داخل الجماعة ازداد اتصال الأفراد مع بعضهم البعض وزادت ديناميكية التفاعل الاجتماعي ، و لهذا يدل مجموع العلاقات الاجتماعية على مدى التفاعل الاجتماعي¹

1 أنواع العلاقات الاجتماعية :

✓ علاقات اجتماعية وقتية :

حيث أن هذه العلاقة لها وقت معين بحيث تبدأ و تنتهي مع الحدث الذي يحقق هذه العلاقة ، و من امثل هذه العلاقة التحية العابرة في الطريق ، أو العلاقة بين البائع و المشتري .

كما يمكن أن نجد هذا النوع من العلاقات عند ذوي المصالح و الأغراض الشخصية تنتهي العلاقة بينهما بمجرد انتهاء المصلحة ، و هذا النوع من العلاقات موجودة بكثير في حياتنا اليومية .

✓ علاقة اجتماعية طويلة المدى :

و هي نموذج التفاعل المتبادل الذي يستمر فترة معينة من الزمن ، و يؤدي إلى ظهور مجموعة توقعات اجتماعية ثابتة ، و تعتبر علاقة الدور المتبادل بين الزوج و الزوجة مثلا .

¹ عايد سبع السلطاني ، مرجع سابق ذكره ، ص: 10 .

✓ علاقة اجتماعية محدودة :

هي نموذج من التفاعل الاجتماعي يتم بين شخصين أو أكثر ، و يمثل هذا النموذج البسيط وحدة من وحدات التحليل السوسولوجي ، كما انه ينطوي على الاتصال الهادف و المعرفة المسبقة بسلوك الشخص الآخر¹

✓ علاقة اجتماعية جوارية :

يعرفها الأستاذ كوري ديمون : (إنها إقامة السكان بعضهم قرب بعض و هؤلاء السكان غالبا ما يتعاشرون و يتزاورون و يتعاونون فينا بينهم² و يشترك الجيران مع بعضهم البعض في الأفراح و الأحزان ، لذلك اعتبرت علاقة الجار واجبا مقدسا لا سيما عند الشعوب العربية الإسلامية ، من خلال قيام الجار برعاية جاره في حالة غيابه ، و في الوقت الحالي أصبحت علاقة الجوار قليلة جدا فقد لا يشاهد الجار جاره فترة طويلة بسبب الانشغال الدائم و كثرة الالتزامات الاجتماعية سواء بالنسبة للرجل أو المرأة³

✓ العلاقة الاجتماعية الأسرية :

يقصد بها تلك العلاقة التي يقوم بها بين ادوار الزوج و الزوجة و الأبناء و يقصد بها أيضا طبيعة الاتصالات و التفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة الذين يقيمون في منزل واحد ، و من ذلك العلاقة التي تقع بين الزوج و الزوجة ، و بين الأبناء أنفسهم، و تعتبر الأسرة الحضرية أسرة ممتدة و أبوية و تتميز بهيمنة الرجل عن المرأة و كذلك الكبار عن الصغار ، لذا يكون هناك توزيع هرمي للسلطة ، و تكون السلطة في يد الرجل⁴

و تنقسم العلاقات الاجتماعية الأسرية بدورها غالى عدة أنواع و هي :

❖ علاقة الزوج بالزوجة :

¹ غيث محمد عاطف ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992 ، ص : 137 .

² العدلي فاروق ، علم الاجتماع العام ، دار زهران ، ط 2 ، 1994 ، ص : 263 .

³ القصير عبد القادر ، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 181 .

⁴ غيث محمد عاطف ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ذكره ، ص : 347 .

كان الأب في الماضي هو الذي يرأس الأسرة و يصدر القرارات الخاصة بالمنزل و يعمل جاهدا في توفير الحاجيات الأساسية للحياة الأسرية ، كما أن علاقة الزوجة بزوجها علاقة الطاعة و الخضوع ، و يشتمل عمل المرأة على تربية الأطفال و رعايتهم ، و مع التطورات الحاصلة تقطعت تلك الصورة التقليدية بسبب التصنيع و التحضر ، و تبني مدى ذلك التغيير الذي حدث كم حيث :

- ❖ مساعدة الزوج لزوجته في الأعمال المنزلية .
- ❖ تحمل المرأة للمسؤولية في حال غياب الزوج عن المنزل .
- ❖ الخلاف بين الزوج و الزوجة .
- ❖ علاقة الإباء بالأبناء :

إن الإنسان ، خصوصا العربي مازال محبا للأبناء ، فهو يفخر دائما بهم ، و يتباهى بكثرة الإنجاب ، و خاصة إذا كانوا ذكورا ، و إذا لم يرزق الشخص بولد و رزق بنات ، فإنه يظل راغبا في إنجاب الذكر لأنه يعتبر مصدر اعتزاز ، و هذا غالبا ما نجده ينطبق على كمناطق كثيرة سواء أكانت حضرية أم ريفية .

❖ العلاقة الاجتماعية بين الأبناء :

أطفال الأسرة هم مواطنون صغار يعيشون في عالم الصغار ، و فيه يتلقون مجموعة من الخبرات خلال معيشتهم المشتركة ، و تتميز العلاقات بين الإخوة بالإشباع و الشمول ، كما تتسم بالوضوح و الصراحة ، و مما تجدر الإشارة إليه أن مكانة الأبناء تختلف حسب تسلسلهم داخل الأسرة¹.

و لقد أصبحت الأسرة في القطاعات الحضرية تعيش في شبه عزلة عن غيرها من الأسر ، فالأمر الذي يزداد قسوة حين تعيش الأسر في الجوار الواحد لا يعرف الآخر ، و مع ذلك فالعلاقات الاجتماعية ستظل قائمة و ستظل هامة في حياة

¹ القصير عبد القادر ، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العريية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 216 .

الإفراد ، لان الإنسان كائن اجتماعي بطبعه و لاستطيع أن يعيش بدون تكوين علاقات مع الآخرين و المعاشرة فهي سنة الحياة .¹

و إذا كانت العلاقات الاجتماعية الأسرية و القرابية منها من مجتمع لآخر ، فإنها في ذات المجتمع تختلف من بيئة اجتماعية إلى أخرى ، و من جماعة إلى أخرى وفقا لحجم هذه الجماعة و درجة تحضرها و الأساس الاقتصادي الذي يحكمها .

كما لا يمكن إنكار أن الألفة و المودة بين الزوجين تزداد كلما كان هناك وضوح في ادوار أفراد الأسرة و اتفاق في توقعات كل من الزوجين بالنسبة إلى الطرف الآخر بينما ينشأ النزاع الأسري عندما تتناقض وجهة نظر الزوجين عن أهمية أدوارهم الأسرية ، و عند حدوث تغير في أدوارهم نتيجة لظروف طارئة أو أسباب أخرى مثل اشتغال الزوجة أو طفل حديث الولادة أو مرض احد الزوجين .²

2 - العلاقات و التوقعات الاجتماعية :

العلاقات الاجتماعية تؤدي إلى ظهور مجموعة من التوقعات ، فالزوج يتوقع من زوجته أن تبادله العبء و تتعاون معه فيما بشؤون أسرته الصغيرة و لتكوين حياة مستمرة ، و كذلك الزوجة تتوقع من زوجها أن يخلص لها ، و أن يتحمل مسؤولياته في الإنفاق عليها و على أبنائها ، و في حماية و رعاية الأسرة و التي قاما بتأسيسها سويا ، و كذلك البائع يتوقع من المشتري دفع قيمة ما اشتراه و المشتري يتوقع من البائع عدم غشه ، و عدم المبالغة في أثمان السلع التي اشتراها منه .³

و التوقعات الاجتماعية في حقيقتها نتيجة طبيعية و حتمية للعلاقات التي تربط بين الأفراد التي تؤدي في النهاية إلى تكوين شبكة متشعبة من العلاقات الاجتماعية .

¹ فهمي نهى ، العلاقات القرابية في المجتمع المحلي و الحضري ، مرجع سابق ذكره ، ص : 28 .

² حلمي جلال ، علم الاجتماع الأسري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 ، ص : 204 .

³ فهمي نهى ، العلاقات القرابية في المجتمع المحلي و الحضري ، مرجع سابق ذكره ، ص : 30 .

3 - شبكة العلاقات الاجتماعية :-

تعني شبكة العلاقات الاجتماعية مجموعة العلاقات الضرورية الناتجة عن الصلات و العلاقات بين عوالم الأشخاص و الأفكار و الأشياء¹ .
و يشكل الفرد في هذه الشبكة عنصرا اجتماعيا كبيرا له أهداف عامة و ادوار مستقلة و ثقافة فرعية ، كما أن نشاء هذه الشبكة مرتبطة باكتمالها مع الدين الإسلامي لكونها وسيلة من وسائل تكوين الصلات و الروابط بين الأفراد و المجتمعات .

كما أن العلاقات الاجتماعية في مفهوم مالك بن نبي هي التي تشكل هذه الشبكة و لذلك فهي ليست مجرد اثر ناتج عن إضافة أشخاص و أفكار و أشياء إلى مجتمع معين ، و الملاحظ أن أفراد تلك الشبكة دائما يفضلون الإجماع على معايير يتفقون عليها من بعضهم البعض ، و بالتالي يمارسون ضغطا غير رسمي مع بعضهم البعض للامتثال لتلك القواعد و المعايير ، و عندما لا يتفاعل الأفراد مع بعضهم البعض تقل اتصالاتهم إلى الحد الأدنى ، و بالتالي فان شبكة علاقاتهم تكون إلى حد ما ضعيفة و بالتالي تختلف المعايير الاجتماعية ، و يصبح الضبط الاجتماعي و تبادل المساعدة اكسر تفككا و اقل استمرارية² .

4 - نظرية الفعل الاجتماعي :

لقد نظر ماكس فيبر العالم الألماني و الذي عاصر الفترة من سنة (1864 إلى سنة 1920) إلى علم الاجتماع إلى انه العلم الشامل للفعل الاجتماعي ، و هو يركز في البداية على التحديد النظري للمعاني الذاتية التي يتخذها البشر و التي ترتبط بأفعالهم الخاصة في تعاملاتهم مع بعضهم البعض في سياقات اجتماعية محددة

¹ السعد نورة خالد ، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، الدار السعودية للنشر و التوزيع ، ص : 201 .
² الخشاب احمد ، علم الاجتماع الأسري ، دار المعرفة الجامعية ، 1998 ، ص : 71 .

و هو في هذا المجال يميز بين أربعة أنواع من الفعل الاجتماعي :

✓ الفعل المنطقي العقلاني التكنوقراطي :

و هو الفعل الذي يتم فيه اختيار الوسائل اللازمة لتحقيق هدف معين بطريقة منطقية عقلانية تبريرية ، و أعطى مثالا لهذا النوع من الفعل الاجتماعي بالمهندس الذي يقوم ببناء كوبري كأفضل وسيلة لعبور نهر معين

✓ الفعل العقلاني الأخلاقي :

هو الفعل العقلاني المبني في عقلانيته على القيم الأخلاقية ، و فيه يسعى الفرد لتحقيق هدف معين قد لا يكون عقلانيا في حد ذاته ، و لكن يتم الوصول إليه من خلال وسائل منطقية في إطار سياق أخلاقي أو ديني أو حتى قدسي و مثال هذا الفعل يسعى الإنسان للخلاص و الجنة من خلال إتباع تعاليم الرسل .

✓ الفعل العاطفي :

و هو الفعل الذي يعتمد على الحالة العاطفية للشخص و ليس على الموازنة العقلانية للأهداف و الوسائل .

✓ الفعل التقليدي :

و هو الفعل الذي تقوده أو تحكمه العادات المتوارثة للتفكير ، و بمعنى آخر هو الفعل الذي يعتمد على ما اسماه فيبر (بالأمس السرمدى الخالد) .

حيث يرى فيبر أن أفعالنا الاجتماعي تتطور في اتجاهي النوع الأول و هو الفعل المنطقي العقلاني

كما يرى لن ظاهرة الطبقات الاجتماعية عبارة عن نتيجة انتظامية لتباين النفوذ و القوة فيما بين أعضاء المجتمع في جميع المجتمعات الإنسانية إلا انه قام بتركيز نظراته التحليلية على المجتمعات الغربية الصناعية و الرأسمالية بصفة خاصة .

كما تكلم فيبر عن الموضع الاجتماعي باعتباره مجال قوة في المجال الاجتماعي لتثبيت التمايز و التدرج الطبقي ، حيث أن الموضع الاجتماعي اعتبره كأساس يحدد به الطبقات المختلفة في هذا المجال ، فالأعضاء الذين

يملكون مقادير متماثلة من المكانة الاجتماعية و الاحترام و الكرامة ، و الذين يتبعون معايير معينة لتنظيم سلوكهم الاجتماعي و تحديده ينتمون إلى موضع اجتماعي¹.

و على حسب هذا التعريف فالقوة الخاصة بفرد معين في المجال الاجتماعي تتبع من كل من كمية و مدى

(نطاق) كل من الاحترام و التقدير الذي يناله هذا الفرد من الآخرين .

و على ذلك فالموضع الاجتماعي يعتمد على سكان المجتمع الذي يتواجد فيه

الشخص المعين حيث أن الاحترام و التقدير يعتمدان على إحكام هؤلاء السكان

بينما تعتمد الطبقة الاجتماعية على العامل الاقتصادي مادي غير الشخصي .

و مما يجب الإشارة إليه هو أن الموضع الاجتماعي يعتمد على معايير معينة

تختلف باختلاف المجتمعات الإنسانية ، و عادة تتمثل هذه المعايير في أنماط

استهلاكية و أنماط ذوقية و نماط معيشية ، كما أنها تعتمد بالإضافة إلى ذلك

على المحتويات التعليمية و المهنية إي المهنة و الانتماء الأسري .

5 - نظرية التفاعل الرمزي :

و تدخل هذه النظرية ضمن ما يسمى بنظريات التفاعل ، و قبل الحديث عن

نظرية التفاعل الرمزي ربما يحسن البدء بذكر المنطلق الأساسي لنظريات التفاعل

إذ تعتنق النظريات الحديثة اليوم مفترضا أساسيا يسمى (مفترض الاختيار الرشيد

أو العقلاني) حيث بنص هذا المفترض على انه عندما يواجه الناس ببدائل

اختيارية فإنهم يميلون إلى اختيار البديل الأكثر عقلانية أو رشدا على أساس انه

ذلك الاختيار الذي يحقق لهم أكثر و أقصى منفعة بأقل تكاليف ممكنة ، و هو عادة

ما يصاغ بالصورة التالية : (يحاول الناس معظمهم منافع في حدود معارفهم ، و

في حدود البدائل المتاحة لهم ، خاضعين في ذلك لتفصيلاتهم و أدواقهم .)

¹ محمد نبيل جامع ، علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية ، دار الجامعة الجديدة ، الازارطية ، 2009 ، ص : 211 .

و بالتالي فالمعرفة قوة ، و البدائل المتاحة تخضع أيضا لموارد الناس و قدراتهم ولكن يبقى السؤال ، إذا كان الناس يميلون إلى معظمة منافعهم فلماذا لا يتصرفون جميعا بنفس الطريقة طالما الكل يتوجه إلى المعظمة ؟ و الإجابة تتمثل في الاختلافات الثقافية الناتجة عن تباين التفصيلات و الأذواق ، و الاختلاف بقدر ما يرجع إلى عمليات التطبيع و التنشئة الاجتماعية فانه يرجع أيضا إلى فروق فردية لا احد يعرف سببها ، هذا و يجب الإشارة إلى أن الناس لا يتصرفون دائما بطريقة عقلانية ، فكثيرا ما نتصرف بطريقة عصبية أو بتسرع أو بعاطفية شديدة أو بملل أو بغضب¹.

و تهتم نظرية التفاعل الرمزي بصورة خاصة بأدق و اصغر معالم السلوك الإنساني من حيث محاولة فهم كيفية تعلم الناس للعالم الاجتماعي المحيط بهم و التواءم معه و محاولة فهم كيف تتكون النفس الاجتماعية فينا ،إما نظرية التبادل فتركز أكثر على البنيات أكثر مما تركز على الثقافة على عكس نظرية التفاعل الرمزي .

و تدعي نظرية التفاعل الرمزي على أن التفاعل الاجتماعي هو العملية الاجتماعية الأساسية ، و هي العملية التي يتشابك الناس فيها بعلاقات معقدة من التأثير و التأثير و التواءم ، و من الواضح أن التفاعل الاجتماعي يتم من خلال عملية الاتصال من خلال اللغة و الإشارات و الأعمال الموجهة للآخرين ن عكس الاتصال الحيواني . يتميز الاتصال الإنساني باستخدام الرموز ، و هي الأشياء التي ترمز إلى أشياء أو معاني أخرى ، كما يتمثل استخدام الاتصال الرمزي إلى فهم و ترميز الرموز المستخدمة ، فالتفاعل من خلال الرمز هو ما يجعل الناس إنسانيين ، هذا و يتم فهم الرموز من خلال ما يسمى البناء الاجتماعي للمعاني .

و كان هربرت بلومر هو من صك مصطلح التفاعل الرمزي و هو اقوي مؤيدي هذه النظرية بفرضه لكل من المفترضات الثلاثة التالية :

¹ محمد جامع نبيل ، مرجع سابق ذكره ، ص : 213 .

- ✓ يتم الفعل الإنساني للناس ناحية أشياء بما فيها الناس الآخرين تبعاً لمفهوم هذه الأشياء في نظرهم ، و هذا فرض مناقض تماماً للاجتماعيين الذين يرون أن البنية الاجتماعية و الثقافية هي التي تحدد سلوك الناس ، فالتفاعليون الرمزيين لا يرون في البيئة الخارجية مصدراً موحداً مسلماً به و تنمما هو مفهوم الناس لها هو الذي يحدد سلوك الناس ، و من المتحمسين تماماً للنظرية التفاعلية الرمزية تشارلز كولي ، الذي قال أن المجتمع يتواجد بفعل في عقول الناس و كان كولي متطرفاً في نظريته لدرجة أن بلומר نفسه لم يتفق معه كلية و هو يحدد ذلك في مفترضه الثاني .
- ✓ يتحدد معنى الأشياء من خلال التفاعل الاجتماعي ، فالمعاني تتحدد بالناس في جمعيتهم و تفاعلهم .
- ✓ تتغير المعاني و تعدل من خلال عملية فهمية ديناميكية تحدث خلال تعامل الأشخاص مع الأشياء و الأحداث و الناس المحيطين .¹

6 - نظرية التبادل الاجتماعي :

يعكس مصطلح التبادل الأسلوب الأساسي الذي يتبعه الناس انصياعاً لمفترض الاختيار العقلاني لتحقيق معظمة منافعهم من خلال تبادل المكافآت و المنافع بينهم و هنا ندرك أن المنفعة الشخصية تحدد الظروف التي يتم من خلالها التبادل ، و قد عرف ذلك آدم سميث منذ أكثر من مائتي عام عندما ادخل مفترض الاختيار العقلاني في نظريته الاقتصادية حيث كان يقول : إذا حدث التبادل بين شخصين طواعية فلن يحدث التبادل إلا لو كان الشخصان سيحصلان على منفعة منه ، و هنا تتدخل الافضليات و المذاقات في السلوك الإنساني ، و لاستمرار التبادل لابد أن يشعر الطرفان بعدالة التبادل .

و المفترض الثاني لنظرية التبادل يرتبط بالمخاطرة حيث بنص على : (في ظل الظروف الطوعية و عدم وجود الضوابط أو الروادع يسود الغش كسلوك محتمل

¹¹ محمد جامع نبيل ، مرجع سابق ذكره ، ص : 215

بين الطرفين المتبادلين حيث أن الغشاشين يحققون معظمة المنفعة إذا كان الغش ممكنا و دون اكتشاف).

و إذا كان الأمر كذلك فلماذا لانغش جميعا طالما كان ذلك ممكنا ؟ الإجابة على ذلك تكمن في الحروف الثقيلة الأولى من المفترض ، و بالذات في كلمة الضوابط أو الروادع في ثلاث عناصر رئيسية :

✓ الارتباط أو الصلابة الاجتماعية :

عندما يفشل احد الأطراف المندمجة في عملية تبادل في الحصول على مكافأة أو منفعة مناسبة المقابل عطائه للطرف الأخر فانه سوف يشعر بالغضب ، وإذا حدث الرضا المتبادل من الطرفين المتبادلين فأنهما باستمرار التبادل سوف يزيد حبهما لبعضهما البعض (و هذا ما يسمى بقانون هومانز للحب) سوف يزداد ارتباطهما و تعلقهما ببعض ، و كلما زاد هذا الارتباط كلما زادت الصلابة الاجتماعية .

✓ اللامساواة :

هناك حدود لقانون هومانز للحب إذ أن الأنشطة المشتركة تزيد الحب بشرط أن يكون الأطراف المشتركة متشابهة في المكانة الاجتماعية ، فالسلطة أو القوة من جانب احد الأطراف لا تجعل الأنشطة المشتركة مؤدية للحب أو الصداقة فالمدير و الموظف قد يشتركان في أعمال مشتركة و لكن التذكرة بان احدهما يأمر و الأخر ينفذ لا تؤدي إلى الارتباط غير الرسمي و هنا تكمن اللامساواة .

✓ لاتفاق و الموافقة :

عندما يحب الناس ذوي المكانان الاجتماعية بعضهم البعض نرى هناك ظاهرة أخرى اسمها هومانز قانون الاتفاق و الذي ينص على انه كلما أحب أعضاء جماعة ما بعضهم البعض كلما كان الأكثر احتمالا أن يتفقوا مع بعضهم البعض و هكذا كلما كانت الجماعة متحابية مترابطة تسودها المشاعر غير الرسمية كلما زاد الاتفاق في الآراء بينهم ، و العكس صحيح ، الأصدقاء

يعتقدون فيما يعتقد فيه أصدقائهم و خاصة بالنسبة للأمور المتعلقة بالجماعة و كلما زادت درجة صلابة الجماعة كلما زاد الطلب على الاتفاق و الموافقة¹.
فالتفاعل الاجتماعي هو تفاعل ثقافي كون الثقافة تنبع من تلك الممارسات الاجتماعية اليومية المتوارثة عبر الأجيال حيث أن الثقافة تتصف عادة بالثبات النسبي و لهذا يمكن مقارنة الثقافات ببعضها ، و مع هذا فان الثقافة تتغير أيضا و لكنه تغير عادة ما يكون تدريجيا و قلما يكون فجائيا ، و هذا ما يسبب ظاهرة الثبات النسبي لثقافة معينة ، و إن كانت الثقافات تختلف عن بعضها البعض إلا أنها جميعا تتسم بسمات رئيسية عامة هي على حد قول جورد ميردوك :

- ❖ الثقافة يتعلمها الأشخاص و تنتقل من جيل إلى آخر من خلال عمليتي التفاعلي الاجتماعي و التطبيع الاجتماعي .
- ❖ الثقافة لها طبيعة فكرية و إن كان بعضها مادي و تدعمها مجموعة من القيم الثقافية و المعايير الاجتماعية .
- ❖ تشبع الثقافة الحاجات البيولوجية الرئيسية الإنسانية .
- ❖ تتسم الثقافة بالمرونة و التأقلم على الظروف الاجتماعية المتغيرة .
- ❖ تتسم الثقافة بأنها كل مترابط الأجزاء بحيث إذا تغير جزء منها تغير كل من الأجزاء الأخرى تغيرا مماثلا إلا إذا نجحت الأجزاء الأخرى في محاولتها العادة الجزء الذي تغير أولا إلى حالته التي كان عليها قبل تغيره .
- ❖ الثقافة هي السلوك المتعلم .
- ❖ الثقافة رمزية و مستقلة عن الإنسان ، إي أن الإنسان يموت و لكن الثقافة تبقى .
- ❖ الثقافة تراكمية أي أن القاعدة الثقافية تتسع بمرور الزمن لأنها تنتقل من جيل إلى جيل .

¹ محمد جامع نبيل ن مرجع ذكره ، ص 117

- ❖ الثقافة تناقلية لأنها عبارة عن استجابة للظروف الطبيعية التي يجد الإنسان نفسه فيها
- ❖ الثقافة بنية مركب لأنها تمثل سلسلة من الأسس المترابطة التي يتمكن بها الإنسان من ربط نفسه بالعالم الخارجي و الطبيعي .
- ❖ الثقافة تتكون من مجموعة عناصر متباينة مثل الديانة و العائلة و الآلات ... الخ .
- ❖ الثقافة ديناميكية لاستمرار تعديلها من خلال الابتكار و الاختراع و الاكتشاف و تركم المعرفة ، و من خلال النزاع و الاتصال الحضري بالثقافات الخارجية .
- ❖ الثقافة تتكون من معايير و قيم و عادات و ملتزمات و تسمح هذه المكونات بنطاق معين من التباين الفردي .
- ❖ للثقافة جانبان الأول مادي و الآخر معنوي¹.

ثالثا : الهدية كشكل من أشكال التفاعل الاجتماعي :

1- تعريف الهدية :

إن هدايا الناس بعضهم البعض تولد في قلوبهم الوصالا ، و تزرع في الضمير هوى و ودا و تكسبهم إذا حضروا جمالا ، و للهدية اثر مشهود في نفوس و قلوب من نهادهم ، فتزداد المودة و الألفة ، و يعمق الحب و توثق الروابط ، و يتعدى أثرها إلى إزالة الجفوة ، فلها فعل السحر في جلاء الوحشة و الاكدار ، ترى دلائل الشرع تؤيد هذا و تؤكد ، في حديث المصطفى صلى الله عليه و سلم (تهادوا تحابوا) ، و بمرور الوقت و تبعاً للعادات و التقاليد المتوارثة في ضوء الضغوط الاقتصادية التي يعاني منها بعض أفراد المجتمع بدأت جهات النظر المتعلقة بمفهوم الهدية تتفاوت بين من يصر على أهميتها كوسيلة للتواصل و التقارب و بين من يعدها كواجب مفروض و عبئاً مادياً تفرضه العادات بين الناس قيمة معنوية باعتبار الهدية إحدى الوسائل التي تعبر عن مشاعرنا و اهتمامنا بمن حولنا

¹ محمد جامع نبيل ، مرجع سابق ذكره ، ص ص : 220 ، 227

و هي أسهل الطرق لتقريب المسافات لمن تحبهم و تالف قربهم ، و تختلف قيمة الهدية و تبقى طبيعة العلاقات بين المهدي و المهدي له من يحدد قيمة و نوعية الهدية ، أما المعنوية فتكون كالدعوة على العشاء أو الاجتماع أو السفر .

و هناك من يقول أن الهدية تحدد بمعناها الخاص ، و أثرها الطيب في قلوب المتهادين يدوم طويل يدوم طويلا سواء كانت مادية أو معنوية ، و هناك هدايا يستحسن الاحتفاظ بها لسنوات كنوع من الذكرى الطيبة .

فكل مراحل العمر هداياها الخاصة و المؤثرة في النفس ، و في العلاقة بين المقدم و المقدم إليه ، فمثلا الطفل الصغير يفرح بهدية بسيطة و لا ينظر لقيمتها بأهمية أما البالغون من الأبناء فهم يدركون قيمتها ، و تختلف قناعاتهم في تقبل نوعية الهدية ، فالهدية تبني جسورا من الألفة و المحبة بن الأصدقاء و الأقارب و هي ليست بقيمتها بل بمصداقيتها و عنوانها .

و هناك من يقدم هدية بغرض جلب مصلحة شخصية أو الاستفادة من الشخص المهدي إليه ، و من المعروف أنها لا تخلوا من نعانيها النبيلة و المشاعر الصادقة كما أن هناك من يرى أن الهدية لا تتحدد بقيمتها المادية أو ثمنها بل بقيمتها

و معناها و المناسبة التي تقدم فيها هذه الهدية ، حيث أن الهدايا المقدمة من الزوج لزوجته أو العكس تتجلى فيها أرقى معاني الحب ، و تعزز المشاعر الجميلة في توطيدها و تجديدها ، و قد تساعد في حل بعض الخلافات الزوجية ، فالكلمة الطيبة و الهدية البسيطة التي تحمل بداخلها معاني الاحترام و التقدير و المشاركة في الحياة تفعل الكثير و الكثير .

كما أن اختيار الهدية يتوقف على الشخص المراد إهداؤه ، هو رجل أو امرأة ، أي الجنس ، و صلة القرابة ، و هل هي علاقة صداقة أو زمالة و نوع المناسبة فهناك هدايا تصلح لإفراد الأسرة و لا تصلح لغيرهم .

كما يمكن أن تكون الهدية عبئا ثقيليا في بعض الأحيان ، فهناك من يتكلف في تقديم الهدايا الثمينة ، حيث يقال أن مستواه المادي مرتفع ، أو تكون منافسة في البهرجة الخداعة .

كما أن تغليف الهدية بغلاف جميل عليه عبارات التبريك و التهنة و التمنيات الرقيقة، يضيف عليها عنصر المفاجأة و هذا يزيد من قيمتها في نفس الوقت و هذا ما يثمنها و يجعل المتلقي يحتفظ بها لوقت أطول¹.

2- وظائف الهدية :

✓ عناصر لها علاقة بالسمعة و الشرف :

إن الهدية ترتبط في تقديمها و في قبولها بنوع من الشرف و السمعة و ذبوع الصيت ، و ذلك كما في نظام البوتلاتش السائد في عدد من قبائل الهنود الحمر الذي يرتكز في أساسه على أن يقوم الشخص من ذوي المكانة و المركز الاجتماعي بتوزيع نوع من الأغطية على أقاربه الذين لا يلبثون بعد انقضاء فترة من الزمن إن أردوا إليه هذه الأغطية ، بعد أن يضيفوا إليها إعداد أخرى كبيرة قد تصل إلى إضعاف ما أخذوه منه في الأصل . و يهدف ذلك إلى اكتساب المزيد من الشرف و السمعة الطيبة و ذبوع الصيت عن طريق المنح عمل ا عطاء و المبالغة في الرد ، و يلجا الشخص إلى إحراق الكثير من ممتلكاته ، و إحراق هذه الأغطية ذات القيمة الاجتماعية العالية ليدل على استهانته بالأشياء المادية التي تؤلف ثروة الرجل العادي .

و كلما أهدر الشخص .

و كلما أهدر الشخص هذه السلع المادية و قام بإحراقها أو إتلافها كلما ارتفعت مكانته في المجتمع ، و يتضح ذلك أيضا عند مجتمع (التيف) من خلال تبادلهم الهدايا و إزالتها عن طريق استهلاكها بالاستعمال الشخصي أو في إقامة الحفلات بحيث لا تعود تعتبر عنصرا من عناصر التبادل ، فان عملية الإزالة بهذه الطريقة تؤدي إلى رفع مكانة صاحبها².

¹ أبو زيد احمد ، مرجع سابق ذكره ، 203

² أبو زيد احمد ، مرجع سابق ذكره ، ص.ص : 227 ، 228 .

✓ توطيد العلاقات الاجتماعية :

مثلا في مجتمع التيف قد يضطر الفرد أحيانا إلى أن يستبدل بعض السلع ذات الفئة الاجتماعية المنخفضة بسلع ذات قيمة اجتماعية عالية تحت وطأة الخاصة التي يعيش فيها ، و بخاصة فما يتعلق بالتزامه نحو أقاربه أو حاجة هؤلاء الأقارب الماسة إلى تلك السلع رغم أنها لا تتمتع بقيمة مساوية لتلك السلع التي اضطر للنزول عنها ، و أن المجتمع ينظر بعين الاعتبار إلى الشخص الذي يعمل على تحويل ثروته من السلع الدنيا إلى السلع ذات القيمة الاجتماعية ، و مجتمع التيف يحتقرون الشخص الذي تنحصر كل ممتلكاته

و كل ثروته في السلع الخاصة بالقوت و المعيشة ، و السبب في ذلك يرون انه عجز الشخص عن أن يحقق مثل ذلك العمل الذي يقدره المجتمع .1

و يسلك التبادل في نظام الكولا مسلك الأصدقاء إلى أن الحقوق و الواجبات و الالتزامات المفروضة على أطراف التبادل ، تتفاوت تبعا للمسافة التي تفصل الجزر و القرى عن بعضها البعض ، و ذلك تبعا للمركز الذي يشغله الفرد فان الرجل العادي يدخل في علاقات على مقربة منه ، أي مع أقاربه

و أصدقائه ، بينما الرجل الغني تنتشعب علاقاته إلى حد كبير نظرا لمكانته الاجتماعية العالية ، و كل طرف من أطراف التبادل في نظام الكولا الذين يعيشون في جزر متفرقة تفصل بينهما البحار ، يعتبرون حلفاء يناصرون بعضهم البعض في أوقات الشدائد غالى جانب القيام بواجبات الضيافة¹

بالإضافة إلى نمط التبادل نفسه كثيرا ما يكون دليلا على وجود علاقة اجتماعية من نوع معين بالذات ، مثلا في تبادل الهدايا ، و في ذلك يقول مارشيل سالينز (إذا كان الأصدقاء يتبادلون الهدايا ، فان الهدايا هي التي تصنع الأصدقاء) .

✓ أغراض اقتصادية :

إن نظام التبادل الشعائري يتبعه مقايضة لسلع تجارية كنشاط ثانوي ، و يجري التبادل في الكولا بالسلع القيمة و هي العقود و الأساور المصنوعة من المحار

¹ أبو زيد احمد ، مرجع سابق ذكره ، ص ، ص : 240 ، 247 .

بين شركاء الكولا ، و على الرغم من أن هذا النظام يعتبر نظاما شعائري بالدرجة الأولى ، و لا تحصل فيه المساومة و تباع للآخرين ، بحيث يكون الطرفان المتاجران على درجة من الرضا بصفقاتهما¹.

أغراض لها علاقة بالمركز الاجتماعي :

يرتبط تبادل الهدايا بالمركز الاجتماعي في الكثير من المجتمعات ، ففي مجتمع التيف يتبع الأشخاص عدة طرق للمزيد على الحصول من المكانة الاجتماعية فقد يلجئون إلى إزالة السلع و إتلافها أو تحويلها إلى أشكال أخرى ، بحيث لا تصبح سلعا من سلع التبادل ، ففضبان النحاس الأصفر يمكن تحويلها إلى أساور و أنواع أخرى من الحلي ، و الأبقار و الماشية يمكن ذبحها في المناسبات المختلفة ، إما القماش الأبيض الذي يقيم له التيف وزنا كبيرا فيستهلك بالاستعمال الشخصي ، و قد يعتقد بعض العلماء أن الأفراد في المجتمعات البدائية يلجئون إلى تجميع السلع للحصول على المزيد من المكانة الاجتماعية و لكن هذا اعتقاد خاطئ ، فالرجل البدائي يسعى للحصول على السلع و لكنه لا يحتفظ بها لنفسه بل يتخلص منها بعدة طرق كما ذكرنا ، و من هذه الطرق الإزالة و التدمير و التحويل ، و كلما ارتفعت قيمة الهدية المقدمة كلما ارتفعت مكانة الشخص الاجتماعية ، و تزيد أيضا مكانة الشخص الاجتماعية بزيادة كمية الثروة الموزعة في المناسبة و ليس في ادخارها و المحافظة عليها²

3- الهدية من المنظور الإسلامي :

لقد جاء ذكر الهدية في القرآن الكريم ، و السنة النبوية الشريفة و ذلك لما لها اثر في النفوس و استحباب قبولها و لو القليل منها و المكافأة عليها .

¹ الجوهري محمد ، الانثروبولوجيا ، أسس نظرية و تطبيقات علمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص : 189 .

² ابو زيد احمد ، مرجع سابق ذكره ، ص : 238

حيث ندب الدين الإسلامي إلى الهدية ، وحث عليها و اعتبرها عنصرا لتشبيد المحبة و المودة بين القلوب ، حيث قال تعالى : (و إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) صدق الله العظيم ¹.

وقد أجمعت الأمة على جواز اخذ الهدية و رغب الإسلام في إعطائها لما في ذلك من تأليف القلوب و توثيق عرى المحبة و التواصل بين الناس و تنمية العلاقات بينهم و تقريب بعضهم البعض ².

و قد حث النبي صلى الله عليه و سلم على قبول الهدية و لو قلت ، لما فيها من التكاليف و عدم احتقار الشيء القليل فلا يحتقر الإسلام الهدية مهما صغرت ، و قد اكتسب الناس في تبادل الهدايا نوع من التقليد و العادات و الأعراف ، بحيث غدت و كأنها جزء حيوي من حياتنا الاجتماعية ³.

و أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية و لا يقبل الصدقة ، و يثيب على الهدية لأنها تعبير عن الوفاء و الإخلاص للصديق ، كما أنها المفتاح لفتح العلاقات الجديدة و المتينة ، و هي الحل الأمثل للقضاء على العداوات و الأحقاد و الضغينة التي تحمل القلوب على بعضها البعض.

و الهدية لا تقيم بقيمتها المادية و إنما بقيمتها المعنوية ، و بما ترمز إليه من محبة و صفاء نفوس و حسن سريرة ، فالشرعية الإسلامية تطلب كل ما يقرب قلوب الناس و يغرس قيم المحبة ، و يؤكد فيها روابط الأفراد الاجتماعية

4- المناسبات التي تقدم فيها الهدية :

الإنسان بطبيعته اجتماعي كثير الاتصال بمن حوله ، تتولد لديه علاقات و روابط اجتماعية تربطه بمن حوله ، و تجمع بينه و بين الناس في المناسبات المختلفة ، و لكل مجتمع من المجتمعات مجموعة من العادات و التقاليد المختلفة التي تميزه عن

¹ سورة النساء ، آية : 86 .

² الطويل احمد بن عبد الله ، الهدية بين الحلال و الحرام .

³ هادي محمد ، الصداقة و الأصدقاء ، الجزء الثالث ، ص : 91 .

غيرهم ، و من ضمن هذه العادات عادة تبادل الهدايا في المناسبات المختلفة و من هذه الهدايا :

✓هدايا الزواج :

و هي تبدأ أولاً بهدايا الخطوبة ، و هذا النوع تعبير عن طلب المودة و المحبة و توثيق للعلاقات بين الخطيبين و بداية للعلاقة الجديدة بينهما ، و تبقى كنوع من الذكرى لما بعد الزواج ، و تجديد لمودة الزوجين لبعضهما البعض .

و تختلف هدايا الخطوبة تبعاً للاديولوجية السائدة في المجتمع و المستوى الاقتصادي للأفراد ، فمثلاً في بعض المجتمعات يقدم العريس طاقماً من الذهب أو ساعة عالية ، و البعض الآخر يقدم حقيبة مليئة بالأقمشة و العطور و امرر خاصة بالمرأة .¹

و في غرب أسوان في جمهورية مصر العربية يقوم العريس في حفل الخطوبة بتقديم الشبكة و هي عبارة عن دبلة و عدد من الأساور ، هاما أم العريس فتقدم مجموعة من أكواب الشراب ، و مشط و منديلين ، و غيرهما من الهدايا التي تخص العروس .²

و يتم الاتفاق بين أهل العروس و أهل العريس بعد تقديم الخطبة بحضور الشيخ و في هذه الجلسة تحدد الشيلية ، و هي عبارة عن دقيق و قمح و ذبائح و خضروات يرسلها العريس في ليلة الفرح كمساعدة لهم في حفل الزفاف .

و من بعض العادات ابيضا في بعض المجتمعات انه بعد الاتفاق على الخطبة و تقديم هدايا الخطوبة يقوم أهل العريس بإرسال كميات من الفاكهة لبيت العروس ، و يقوم أهل العروس بتوزيع هذه الفاكهة على الأقارب و الجيران ،كنوع من الإعلان عن الخطوبة .

¹ الطويل احمد ، الهدية بين الحلال و الحرام ، ص : 33 .
² الجوهري محمد ، مرجع سابق ذكره ، ص : 422 .

و تبدأ مراسيم الزواج في قبيلة الانكندوا في إفريقيا بتقديم هدية عبارة عن خاتمين نحاسيين من جانب الرجل المتقدم للزواج ، و يعني قبول الطرف الآخر للهدية قبولاً مبدئياً للزواج .

إذا جرت العادات على تقديم الهدايا بين الخطيبين ، و لكن إذا تم الرجوع عن الخطبة قبل عقد القران يجب على أهل العروس إرجاع كل ما كان قائماً ، و كل ما أعطاه العريس للعروس من هدايا و حلي ، و هذا واجب في كل المجتمعات إذا كان التراجع من طرف العروس ، و إذا تمت فترة الخطوبة بدون تراجع احد الطرفين تبدأ مراسم الزواج ، و هي كما اشرنا سابقاً أن هدايا الزواج تختلف باختلاف العادات و التقاليد السائدة في تلك المجتمعات .

و هدية الزواج تكون من الزوج أو أهله إلى الزوجة ، و هي تعبير عن المحبة و السرور و الترحيب و الاستهلاك بالخير ، و تختلف الهدايا باختلاف المجتمعات و غالباً ما تكون في مجتمعاتنا من الذهب ، و تسلم في الغالب ليلة الزفاف إلى الزوجة .

و هناك أيضاً هدايا الصباحية و تكون في صباح اليوم الثاني من ليلة الزفاف و قد تكون مقدمة من الزوج إلى الزوجة ، و في بعض المجتمعات تعتبر هدية الصباحية واجب يقدمه العريس لعروسه و هناك بعض العادات التي تميز أقاليم عن أقاليم أخرى.

فمثلاً في الحجاز توجد عادة الرغد و هي العادات التي كانت سائدة في الحجاز في القرن الربع عشر للهجرة ، و التي تختص بعادات الزواج ، فقد كان الأهل و الأصدقاء يقدمون الوفود لكل من العريسين فكانت هذه الوفود تصل في شكل أكياس من الأرز و السكر و صناديق السمن و الشاي تحملها العربات إلى بيت العريس خاصة قبل الزواج بيوم أو يومين و كان يهيا لها مكان خاص لاستقبالها و شخص لاستلامها و كانت تقيد حتى ترد بمثلها أو أحسن منها في مناسبة مماثلة للمهدي .

و في جمهورية مصر العربية و في غرب أسوان بالتحديد توجد ظاهرة (فلوس الرضوة) و تتلخص في أن العروس ترفض في ليلة زواجها أن يقترب منها زوجها

إلا بعد أن يعطيها مبلغا من المال ، و هو يدفعها عادة من النقود التي يجمعها من ليلة الفرح .

و النقود هي هبة يقدمها الأشخاص للعريس للتعبير عن مشاركتهم أفراده و مساهمة منهم لما يتكبد من مصروفات و نفقات لهذه المناسبة إذ تعتبر النقود نوع من الهدايا التي يتبادلها الأفراد في مناسبات الزواج و هي دلالة كبيرة على المشاركة الجماعية للفرد و تعبير عن الضبط الاجتماعي و الرابطة الأسرية القوية و هذه النقود يقدمها الأقارب و المدعوين أيضا ¹.

إذا المبدأ الحقيقي للنقود إنها وسيلة لإعطاء الرأي بالرجل و استعدادهم للتضحية و المشاركة .

و أيضا من مراسيم الزواج عند قبائل الانكندوا في إفريقيا أن يقوم العريس ووالده و أقاربه بتقديم الهدايا لأهل العروس و أهم هذه الهدايا (المدية) التي يقدمها العريس لوالد العريس ، و التي لا تكون لها أهمية رمزية كبيرة تعني انتقال المسؤولية العرفية من والد العروس إلى العريس بحيث يكون مسؤولا عن كل ما يمكن أن يحدث للعريسين .

و من الهدايا المنتشرة في معظم المجتمعات هي هدايا الوضع إي الولادة ، و هدايا الختان و هدايا زيارة المريض ².

✓ هدايا زيارة المريض :

فهي تعتبر واجب على الأفراد عند زيارة المرضى من اجل مواساتهم و

الاطمئنان عليهم و من اجل أن يحس المريض بأنه موضع الأهمية

¹ الجوهري محمد ، مرجع سابق ذكره ، ص : 250

² مغربي محمد علي ، ملامح الحياة الاجتماعية في القرن الرابع عشر للهجرة ، ص : 52 .

و هي تكون عبارة عن الحلوى أو باقات الورد .

إما عن هدايا الولادة ، فهي تقدم حسب نوع الجنين ، إن كان ذكرا أو أنثى ، و تكون مبالغا فيها إذا كان المولود الأول لهذه الأسرة و هي تقدم من أهل إلام أو الأصدقاء .

✓ هدايا الختان :

يتم الختان وسط مظاهر احتفالية كبيرة و تقام له وليمة ، و في هذا الاحتفال يقوم الناس بتقديم الهدايا و هي تكون عادة مما يستعمله الصبي أو تكون دنانير أو دراهم . و هناك هدايا تقدم كتعبير عن الفرح و السرور بلقاء من أحببت من الأهل و الأصدقاء .

✓ هدايا السفر :

يعطيها القادم من السفر لأهله و أولاده و يعطيها لشخص ليقسمها بين امرأته و أولاده و تختلف قيمة الهدية و نوعها بحسب الحالة الاقتصادية للإفراد ، و هي عادة ما تكون من منتجات البلد الذي كان موجود فيه ، و بعض الناس يحرص على أن تكون الهدية غالية الثمن أو تكون ذات قيمة عالية . و هناك مناسبات أخرى تقدم فيها الهدايا من اجل جلب المحبة و المحافظة عليها ، و لتثبيت الصحبة و العشرة و المروءة بين الناس مثل :

✓ هدايا الوالدين :

و هي أن يهب احد الوالدين احد أبنائه عطية دون إخوته بسبب يره له ، أو لكون الابن الأكبر شارك في تكوين الثروة أو تربية أخواته .

✓ هدية العيد :

(العيدية) فهي شكل من أشكال الهدايا التي تمنح للأطفال من اجل إدخال الفرح و السرور لأنفسهم و لأجل إحداث نوع من البهجة بالعيد و قد تكون هذه الهدايا في شكل ريبالات من الفضة تعطى للأطفال عن زيارتهم لبيوت الأقارب و الاصاهر و الجيران و لقد كان الأهل يحرصون أن لا يزور أبناهم بيوتا حتى لا يخرجون أهلها بمنح أطفالهم للعيديات¹.

✓ هدية النجاح :

هدية النجاح تختلف النظرة إليها بين الناس فهناك من يرى أنها ضرورية و البعض الآخر يرى بأنها غير مهمة إلا في المراحل النهائية ، و كما تقدم للطلاب هدايا بسبب النجاح و تقدم للمدرسين هدايا الغرض منها الحب و التقدير و هي تقدم للمدرس أو معلم القران الكريم بصفة عامة ، و الغرض منها التقرب من المعلم من باب المودة و المحبة و لعلمه و صلاحه . و لقد أشار ديننا الحنيف إلى مناسبات تقدم فيها الهدايا و ذكر لنا هدايا مشروعة مستحبة و تكون من اجل جلب المودة و منها :

✓ الهدية لقضاء الحاجة :

و يقصد بها الإعانة على قضاء الحاجة كما هو الحاصل في القديم عند تقديم مساعدات لوالد العريس للمساعدة في مصاريف الزفاف .

✓ الهدية للمودة و المحبة :

و هي لجلب المحبة و إنشائها و المحافظة عليها ، و تأكيد الإخوة و حسن العشرة و المروءة بين الناس و هي على حالات :

✓ هدية الأعلى النظير :

و هذا النوع إذا كان من الأعلى إلى الأدنى في الجاه و المال ، أو من الكبير للصغير فهي و غالبا ما تكون كالصدقة أو تكون من باب الصلة و البر أو من باب النفع و التوسعة و تأليف القلب إذا أعطيت للعدو .

¹ المغربي محمد علي ، مرجع سابق ذكره ، ص : 42 .

✓ الهدية المكافأة عليها :و ذلك بان يهدي الأدنى للأعلى في الجاه و المنزل أو
الفقير للغني أو الصغير للكبير ، أو النظير لنظيره بغرض إنشاء المودة
و المحبة.¹

¹ الطويل احمد بن احمد ، مرجع سابق ذكره ، ص : 34 .

خلاصة الفصل :

و في الأخير يمكن الخروج بفائدة أن التفاعل الاجتماعي عملية رئيسية للحياة الاجتماعية و لذلك تعتبر دراسة هذه العملية عنصرا أساسيا من المحتويات التي تناولتها دراسة علم الاجتماع ، و التفاعل الذي يخص علم الاجتماع نفسه بدراسته ما هو إلا تفاعل رمزي يعتمد على المعايير الاجتماعية و المراكز الاجتماعية و كون الهدية رمز و تعبير عن ثقافة فهي تخضع لهذه المعايير الاجتماعية و المراكز الاجتماعية و القيم و القيم الاجتماعية التبادلية .

حيث اعتقد الاجتماعيون أن السلوك الإنساني لا يمكن فهمه إلا بعد إدراك أن السلوك الفردي ينبع دائما من سلوك الآخرين ، لان عملية التهادي تبادلية و فعلها نتاج لفعل آخر أي فعل التهادي ينتج فعل و هو نتيجة لفعل آخر في نفس الوقت و بمعنى آخر فان السلوك الفردي ما هو إلا ظاهرة تنتج عن التفاعل المستمر بين النفس الاجتماعية من ناحية ، و بين ما تتوقعه هذه النفس من سلوك الآخرين أو السلوك الفعلي للآخرين من ناحية أخرى ، و لذلك نجد أن الوحدة الدراسية لعلم السيكولوجيا هي الفرد ، نجد أن الوحدة الدراسية لعلم الاجتماع هي الجماعة و الجماعة هي دوران اجتماعيان أو أكثر يؤديهما شخصان أو أكثر ، و يؤثر كل على سلوك الآخر .

الفصل الثالث
النظريات المفسرة للتفاعل
الاجتماعي الرمزي

. مقدمة

1. النظرية التفاعلية الرمزية
2. نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو
3. المجال الاجتماعي بورديو و إمكانات الفضاء

الاجتماعي

4. النظرية النقدية ليولرغن هابرماس

. خلاصة الفصل

مقدمة :

ان دراسة المواضيع الاجتماعية تبدو في اولها و كأنها سهلة المسار بالنسبة للباحث ، الا انه و بعد الشروع فيها ينتابه نوع من الحيرة و القلق و عدم الثبات في تطابق المعلومات و نوع من التيه خصوصا في فترة العملية الاجرائية التي تقود الباحث للسير في نمط سسيولوجي ح يمكنه من الخروج بنتائج علمية يمكن توثيقها و الاستفادة منها في بحوث قادمة .

لذا وجب على الباحث الاجتماعي ان يضع قالباً سسيولوجياً لدراسته و هو اهم و ابرز خطوة في البحث الاجتماعي .

فالمداخل و النظريات السسيولوجية كثيرة و متعددة كل منها يحاول دراسة المجتمع من زاوية محددة ، فمن اعتمد على النسق و الوظيفة و التكامل و التوازن ، و هناك من راي ان المجتمع عبارة عن مجموعة من التفاعلات كالصراع و التنافس و الهيمنة ، و هناك من اراد ان يرى ان هذا الحراك الاجتماعي يتم على مستوى الفعل و البنية الجزئية للمجتمع كونه وحدات تفاعل بين الافراد في اطار المجال او الفضاء الاجتماعي التفاعلي (تحليل ميكرو سوسيولوجي) .

و في حقيقة الامر لقد تعرضت لمثل هذا النوع من التيه في مواءمة و مطابقة الدراسة النظرية و الموضوع الذي انا بصدد دراسته ، فبحكم ان الموضوع المدروس يمس تلك الجوانب الرمزية من التفاعلات التي تحدث في حياتنا اليومية و بصورة مستمرة ، دون اعارتنا لها اي اهتمام ، انها يمكن ان تكون بالغة الاهمية في تحديد مسار ذلك التفاعل بكل انماطه داخل المجال التفاعلي للافراد ، متخذة في ذلك دراسة لظاهرة التهادي نموذجا للتفاعل الرمزي .

و نظرا لامتزاج الموضوع و تداخله بين علم الاجتماع التفاعلي حيث ان عملية تبادل الهدايا في اساسها عبارة عن افعال واعية و مقصودة و استراتيجية لذا وجب عليا لباس الدراسة نظرية سسيولوجية تعالج الفعل الاجتماعي من منظور التفاعل اليومي الذي يولد انماط العلاقة الاجتماعية بين الناس ، هذا من جهة .

و من جهة اخرى فقد رايت ان عملية التهادي تدخل كذلك في حقل الانثروبولوجيا الرمزية كونها تعبر عن ثقافة او الهوية الثقافية و الاجتماعية للأفراد حيث تداولت بين الاجيال تبعا لعادات و تقاليد معينة ، و كونها كذلك تختلف من مجتمع لآخر و من مجال تفاعلي لآخر .

حيث تعد الانثروبولوجيا الرمزية من الاتجاهات الحديثة في علم الانسان في دراسة الثقافة ، و من اهم رواد النثروبولوجيا الذين اهتموا بهذا الاتجاه (جيرترز) الذي يؤكد

ان السلوك الانساني هو سلوك رمزي ، و له معنى لهؤلاء الذين يشتركون في هذا السلوك ، و يعتقد ان الانسان هو سلوك رمزي له معنى لهؤلاء الذين يشتركون في هذا السلوك ، و يعتقد ان الانسان هو المخلوق الذي يرتبط بنسيج المعاني ، و الذي يقوم هو شخصيا بنسجها ، و نسيج المعاني هو نسق المعاني ، يسميه جيرترز بالثقافة ، فالثقافة من وجهة نظره هي نسق المعاني و ان مهمة الانثروبولوجي فهم المعاني و اراء الافعال الثقافية ، او الانماط الثقافية ، كما فعل ذلك مارسيل موس و مالفينوفسكي ، و غيرهم .

ومن ثمة فان التركيز في الانثروبولوجيا الرمزية يكون على المعنى العام و الطبيعي و من ثمة فان على الثقافة التي تتكون من : اما سلوك مجرد يمكن ملاحظته ، او بنية عقلية التي ليس من الضروري ملاحظتها في افعال ، كما و ان الثقافة تتكون من ابنية اجتماعية عامة يمكن فهمها و افعال عامة يمكن ملاحظتها في السلوك ، و تتضمن البنية الخاصة بالمعني ، مصطلحات تربط الناس بها في الفعل الاجتماعي .

فمن الضروري ملاحظة السلوك لانه من خلال تدفق السلوك كنوع من الفعل الاجتماعي فالانثروبولوجيا الرمزية تهتم بكيفية ان الكلام العام يمكن ان يكون وراء السلوك في مناطق مختلفة ، فالشعائر و القانون و الفنون و الاديبولوجيا ، او كيفية الحدوث الثقافي¹ لذا فقد كنت امام ثلاثة اتجاهات فكرية تتناول الفعل الاجتماعي و كذا الثقافة و التواصل و التفاعل ، لان عملية التهادي تشمل كل هذه المعايير ، حيث ان المقاربة النظرية و السوسيولوجية لهذه الدراسة كانت كالآتي :

¹ فيليب لابورت ، تولرا جان بيار فارنييه ، انثولوجيا ، انثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص : 254

✓ النظرية التفاعلية الرمزية : اعتبار ان عملية التهادي نتاج افعال فردية و جمعية و كذا ان الهدية عبارة عن رمز مشفر يتم تداوله بين المتفاعلين في المجال الاجتماعي حيث لها دلالات و معاني لا يفهمها المتفاعلون من الطرفين¹

✓ نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو : فهذه النظرية تسلط الضوء على الفعل الاجتماعي اليومي باعتباره ممارسة تتداول بين الاطراف بشكل مستمر ، و هذه الممارسة تولد انماطا مختلفة و متنوعة من العلاقات الاجتماعية (كالصراع و السلطة و التضامن و الهيمنة و العنف و التواصل ... الخ) .

لذا ارتايت ان عملية التهادي هي ممارسة تحدث بشكل يومي و مستمر ، و هي جديرة بالدراسة من هذه الزاوية السسيولوجية .

✓ النظرية النقدية التواصلية ليورغن هابرماس : حيث ان هذه النظرية تدرس الفعل الاجتماعي من منظور تفاعلي تواصلية و غرضي ، متخذة في ذلك عامل اللغة و الثقافة و الرمز و المعنى و الدلالة و الفهم المشترك كمفاهيم اساسية في تناولها لمفهوم الفعل ، و باعتبار ان الهدية يمكن تصنيف مفاهيمها الاساسية في ضوء الثقافة المعنى و الرمز ... الخ .

لذا فانا ارى انها مناسبة كمقاربة سسيولوجية للدراسة. كما سحاول في هذا الفصل التطرق و بصورة موسعة لاهم مفاهيم و تصورات هذه التيارات الفكرية السسيولوجية المعاصرة ، و كيف تناولت كل واحدة منهم اهم المفاهيم التي تخدم موضوعي مرفقة كل واحدة بتفسيرات و تحليلات و مناقشات و دمج بين هذه التيارات و استنتاجي الخاص من زاوية موضوع التهادي .

¹¹ الاستاذ محمد المهدي بن عيسى

اولا : النظرية التفاعلية الرمزية

1 - نشأة التفاعلية الرمزية و عوامل ظهورها

نشا الفكر التفاعلي و ترعرع في الولايات المتحدة الامريكية في عشرينيات القرن الماضي على اثر ازدياد مشاكل مجعنا ، كالهجرة و الجريمة و جنوح الاحداث من طلاق و امراض نفسية و عقلية ، فظهرت حاجة عند العلوم الاجتماعية الى بلورة فكر نمهج جديد يساعدها على حل مثل هذه المشاكل الاجتماعية ، الامر الذي ادى الى ظهور علماء و منظرين اسسوا مدارس تهتم بالبنية الاجتماعية و محاولة فهم المعاني و الرموز و نجد ان التفاعلية الرمزية تطورت في جامعة شيكاغو ، و من ابرز مؤسسي هذه المدرسة : بلومر . جورج هربرت ميد ، ارفنغ قوفمان و روبرت بارك و وليام اسحاق توماس و مانفرد كون ميلتز و هيرمان و جلاسر و غيرهم .¹

✓ الفكر البرقماتي الذي يتصف بالخبرة العدية كمنع للمعرفة ، اي انها تاثرت بالاتجاه النفعي الذي يدعى بان الحقيقة في صميم التجربة الانسانية .

✓ تاثرت بالتفسير الاجتماعي للايكولوجيا ، اي العلم الذي يدرس العلاقة بين الكائن و البيئة .

✓ اعتمدت على مناهج الدراسة الميدانية التي طورها الانثروبولوجيين و التي تعترف بمنهجية الملاحظة بالمشاركة

✓ اعتمدت التفاعلية الرمزية على المعاني و الرموز و على مستوى وحدة الفعل الصغرى، على خلاف بارسونز الذي دمج بين الانساق الاجتماعية و الادوار²

2 - مفهوم التفاعلية الرمزية :

اولا سنتطرق الى مفهوم الرموز و مفهوم التفاعل حسب جورج هربرت ميد :

تعريف الرموز :

هي عبارة عن اشارات مميزة للدلالة على موضع معين مادي او معنوي ، و يكون لكل رمز معنى يحدد من قبل المجتمع ، و يشير الى وظيفة اجتماعية تشبع حاجة الفرد

¹ معن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر (دراسة تحليلية و نقدية) ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط2 ، 1991 ، ص : 173 .
² علي عربي ، علم الاجتماع و الثنائيات النظرية التقليدية ، مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث و الترجمة ، جامعة منتوري ، قسنطينة (الجزائر) 2007 ، ص : 228 .

و تساعده على التفاعل مع بقية افراد المجتمع

تعريف التفاعل :

هو سلسلة متبادلة و مستمرة من الاتصالات بين الافراد ، أي بين فرد و فرد و جماعة او فيما بين الجماعات¹.

✓ تعريف التفاعلية الرمزية :

هي عملية التفاعل الاجتماعي التي تكون فيها الفرد على علاقة و اتصال بعقول الاخرين و حاجاتهم و رغباتهم الكامنة ، و تعبر التفاعلية الرمزية عن ذلك التفاعل الذي يحدث بين مختلف العقول التي تميز المجتمعات الانسانية²

و تعتبر التفاعلية الرمزية من المحور الاساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الانساق الاجتماعية و هي تبدأ بمحتوى الوحدة الصغرى منطلقة منها لفهم الوحدات الكبرى ، بمعنى انها تبدأ بالافراد و سلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي فافعال الافراد تصبح ثابتة لتشكل بنية من الادوار ، و يمكن النظر الى هذه الادوار من حيث توقعات البسر بعضهم تجاه بعضهم من حيث المعاني و الرموز ، و هنا يصبح التركيز اما على بنى الادوار و الانساق الاجتماعية ، او على سلوك الدور و الفعل الاجتماعي .

و مع انها ترى ان البنى الاجتماعية ضمنا ، باعتبارها بنى لادوار بنفس طريقة بارسونز ، الا انها لا تشغل نفسها بالتحليل على مستوى الانساق ، بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المشكل عبر اللغة و المعاني و الصور الذهنية ، استنادا الى حقيقة مهمة ، هي الفرد ان يستوعب ادوار الاخرين .

ان اصحاب النظرية التفاعلية الرمزية يبدؤون بدراستهم للنظام التعليمي من الفصل الدراسي (مكان حدوث الفعل الاجتماعي) فالعلاقة في الفصل الدراسي و التلاميذ المعلم، هي علاقة حاسمة ، لانه يمكن التفاوض حول الحقيقة داخل الصف ، اذ يدرك

¹ علي عبد الرزاق حلبي ، نظرية علم الاجتماع (الاتجاهات الحديثة و المعاصرة) ، مرجع سابق ذكره
² السيد عبد العاطي ، نظرية علم الاجتماع ، الاتجاهات الحديثة و المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، 2004 ، ص : 44 .

التلاميذ حقيقة كونهم ماهرين او اغبياء او كسالى ، و في ضوء هذه المقولات يتفاعل التلاميذ و المدرسون بعضهم مع بعض ، حيث يحققون نجاحا او فشلا تعليميا¹

3- أسس و مبادئ التفاعلية الرمزية :

تهتم التفاعلية الرمزية بوحدة التحليل (التفاعل) .

تعتمد على الرموز و المعاني ، أي ان العلاقات الاجتماعية ما بين الافراد في المجتمع هي نتاج للرموز و المعاني .

و حسب جورج هربرت بلومر (تلميذ ميد) تقوم التفاعلية الرمزية على ثلاث فرضيات:

✓ يتصرف البشر اتجاه الاشياء على اساس ما تعنيه لهم تلك الاشياء ، فيمكن ان

يكون الرمز واحدا لكن معناه يختلف من جماعة افراد لآخرى .

✓ تعتبر هذه المعاني نتاج التفاعل الاجتماعي في المجتمع الانساني

✓ هذه المعاني تحور و تعدل و يتم تداولها عبر عملية تاويل يستخدمها كل فرد في

التعامل مع الاشارات التي يوجهها

و قد ظهرت في اعمال ميد و بلومر و كولي واخرون حيث اهتم هذا التيار بالاهتمام

بالذات الاجتماعية و خاصة في اعمال جورج هربرت ميد ، الذي ربط فكرة الذات

الفاعلة بعالم الرموز و اضعا الاساس النظري للتفاعلية الرمزية ، و طذا اتجه بعض

الباحثين الى التراث الفينومينولوجي ، كما اتجه بعضهم الاخر الى اعمال كولي ، حيث

تطورت هذه الاعمال فيما يعرف الان بالتفاعلية الرمزية . حيث يذهب انصار هذا الاتجاه

الى ان الذات هي الموضوع الاساسي ، او الوحدة الجوهرية للتفاعل ، غالذات تحمل في

طياتها كما هائلا من التفسيرات المختلفة و المعاني المختلفة للموضوعات .

فالموضوعات الخارجية كما يذهب بلومر لا تحمل معاني داخلية خاصة بها ، انها

كيانات مستقلة بذاتها لها خصائص داخلية ، و انما هي توجد فقط في المعاني التي

يضيفها الافراد عليها ، و الموضوع هذا هو ، اي شئ يقع خارج نطاق الذات .

و يتجه نحو التفاعل سواء اكان فيزيقيا (كالكراسي) او تخيليا (كالشبح) او طبيعيا

(كالسحاب) او مجردا (كمفهوم الحرية) او متصلا بشخص معين .

¹ زايد احمد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية و النقدية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1984 ، ص : 54

وهذه المعاني التي يضيفها الافراد على الموضوعات تظهر بصورة تلقائية اثناء عملية التفاعل ، و لا شك ان الرموز كما تتمثل في اللغة تلعب دورا اساسيا في خلق و اضافة معاني معينة على الموضوعات الخارجية ، و انها وسيلة الذات في التعرف على العالم .
✓ و يتم تطبع الذات على مجموعة الرموز و المعاني السائدة في المجتمع ، و يتحدث التفاعليون الرمزيون من خلال ترجمة الذات او جزء منها الى ذوات و ذكريات و مخيلات الاخرين ، و يعني ذلك ان عملية ايواء الذات تتيح للفرد ان يخلق ضربا من التوافق بين ذاته و ذوات الاخرين ، او بين ذاته و مجموعة المعاني التي يتفق عليها كل الافراد داخل المجتمع ، و بذلك يتجاوز الفرد رغباته و عواطفه ، و يوجد بين ذاته و ذوات الاخرين ، حيث لا يتعارض سلوكه مع سلوكهم في هذه الحالة فان مجموعة من العادات و التقاليد لا بد ان تنشأ لتحكم سلوك الافراد ، ما دام قد خضع كل منهم لعملية ايواء الذات .
هذا و يصبح السلوك اجتماعيا اكبر و اشمل من السلوك القائم على الدوافع الفردية ، هنا يتحول السلوك الفردي الى سلوك جماعي او افعال مشتركة .
و يستخدم بلومر هذا المصطلح الاخير بدلا من مصطلح هربرت ميد (السلوك الاجتماعي) ، و تعني الافعال ذات الصيغة الجمعية للفعل الذي يتكون من جميع خطوط السلوك الفردية جنبا الى جنب ، و من نماذج الافعال المشتركة المعاملات التجارية و الولائم العائلية و طقوس الزواج و حملات الدعاية و الالعاب و الحروب و كل الافعال المشتركة¹ .
بذلك تتراوح بين التعاون البسيط بين فردين الى اعقد النظم و التنظيمات ، و يتضح هنا ان المجتمع ما هو في النهاية الا جماع لافعال الافراد التي تاخذ صورتها الجماعية من خلال المعاني الجمعية التي يضيفها الافراد على الموضوعات المحيطة بهم بما فيها الاخرون انفسهم ، و ما تلعبه الرموز من دور في هذه العملية و سعي الافراد الدائب نحو ايواء ذواتهم داخل المجتمع .

¹ زايد احمد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات النقدية و الكلاسيكية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 85

و السؤال هنا : هل تفقد الذات هويتها في هذا النمط من المجتمع الذي يتصور انصار اتجاه التفاعلية الرمزية ؟

المحقق ان المجال هذا مفتوح للسلوك الطوعي و الواعي ، برغم ان المحصلة النهائية لعلاقة الفرد بالمجتمع ، في ضوء نظريته التفاعل الرمزي ، هي علاقة قهرية من جانب المجتمع ، فالتفاعليون الرمزيون يفرقون بين نوعين من السلوك

❖ السلوك الذي يستخدم الرموز ، و يخضع لها بطريقة روتينية بحتة قائمة على العادات تقريبا .

❖ السلوك الواعي الموجه نحو تحقيق هدف معين

و يمثل هاذان النوعان من السلوك قطبين لنمطين شائعين من التفاعل يتحرك بينهما على اية حال و يعكس هاذان المستويان من السلوك مستويين للذات ،

فهناك جانب روتيني للذات مرتبطة بدرجة تحديد الرموز بشكل جمعي خلال التفاعل الروتيني . و هناك جانب اخر للذات اكثر ابداعا و اكثر عرضة للتغير مادام هنا كجوانب يعينها من السلوك يتم توجيهها بوعي ، فضلا عن هذا فان هذين النوعين من السلوك يعبران عن ان هناك في اي مجتمع اتجاهات نحو اثبات العلاقات و استقرارها و اتجاها اخر نحو تغييرها و تعديلها

رواد التفاعلية الرمزية

اولا : جورج هربرت ميد : 1869/ 1931

استطاع جورج ميد في محاضراته التي كان يلقيها في جامعة شيكاغو على طول الفترة من (1894/ 1931) ان يبور على نحو متقن الافكار الاساسية لهذه النظرية ، وقد جمع له تلاميذه كتابا بعد وفاته ، يحتوي على معظم افكاره التي كانوا يدونونها في محاضراته و يرى جورج هربرت مي ان الرموز التي تحقق الرابطة بين ذوات الافراد من حيث انها هي التي تكسب عناصر التفاعل ، و من ثمة التفاعل نفسه معنى معين ، و يفرق ميد بين نوعين من التفاعل غير الرمزي و التفاعل الرمزي ، الاول هو مجرد استجابة لافعال الاخرين دون اضافة اي معنى عليها (دون فهمها) ، اما الثاني فانه يشير الى

فهم طرفي التفاعل للمعاني الكامنة خلف ضروب الفعل و السلوك ، فالرموز او اللغة اذن هي الوسيلة التي من خلالها يفهم الفرد العالم المحيط و يضيف عليه معاني معينة ، و بالتالي هي وسيلة الى الارتقاء بذاته ارقى مراحل نموها و هي في النهاية الوسيلة التي تحقق الترابط البشري¹ .

و الفكرة الاساسية وراء هذه الرؤية لعلاقة الذات بالعالم ، و الدور الرمزي مؤداه ان دراسة المجتمع يجب ان لا تنفصل عن المجتمع نفسه ، بل ان دراسة المجتمع يجب ان تتم من وجهة نظر الافراد انفسهم دون ان تكون شيئا مفروضا عليهم من الخارج ، و يعد ذلك موضوعا اساسيا في اعادة احياء الفينومينولوجيا² .

✓ مفهوم العقل و الذات و المجتمع :

❖ العقل : هو خزان للرموز و المعاني التي يدرك و يفهم بها الفرد محيطه و ذاته و يتعرف عليها ، و كلما تطورت المعاني تطور الخزان ، اي انه خزان ديناميكي .

❖ الذات : يرى مي دانها المحور الاساسي في عمليات التفاعل ، فهو ينظر للذات على انها الاساس الذي يتحول بموجبه الفرد الى فاعل اجتماعي له ارتباط بالآخرين ، اذ من خلال الذات يكون الانسان صورة لنفسه و صورة للآخرين ، بوصفها موضوعات اساسية للتفاعل الاجتماعي .

● الذات الداخلية : هي الجزء الاول للذات ، و هي فهم الرموز و المعاني التي يحملها العقل ، فعندما يقوم العقل بادراك و فهم هذه الرموز و المعاني التي يحملها هذا العقل عن نفسه نقو بان الفرد تشكلت لديه ذات .

● الذات الخارجية : هي الجزء الثاني للذات ، و هي فهم العقل للرموز و المعاني التي يحملها عقل الآخرين عن ذاته ، اي كيف يفهم الفرد ذاته من

¹ عبد العاطي السيد و اخرون ، نظرية علم الاجتماع الاتجاهات الحديثة و المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، بيروت ، 2004 ، ص : 65
² احمد زايد ، علم اجتماع النظريات الكلاسيكية و النقدية ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 ، 2006 ، ص ص : 381 ، 382 ، 361

• خلال نظرة الاخرين لذاته ، فالذات الخرجية هي التي توجه و ترشد السلوك الاجتماعي ، اي انها الذات الاجتماعية (التفاعلية) التي تقوم بارسال الرموز التي تعبر عن معنى ما في وقت ما .¹

❖ المجتمع : هي حصة الة العلاقات المتفاعلة بين العقل و الذات و الاخرين ، فلا وجود لكلاهما خارج المجتمع سواء اكانت هذه العلاقات على المستوى الفردي او على مستوى الجماعات او النظم من خلال الاتصال الفعال حيث يستطيع الفرد افراد المجتمع في فعالهم و افكارهم²

ثانيا : الاستعارات المسرحية لارفع غوفمان (1922/ 1982)

لقد استعار من المسرح مواقف يوضح فيها طبيعة التفاعل وفقا للدوار التي تؤدي على خشبة المسرح ، و في اطار هذه الاستعارة ، فقد استند الى تقويم النفس في الحياة اليومية

ان تشبيه الحياة بالمناخ المسرحي جعله يخضع للتشبيه ، اذ ميز الاماكن العامة في الحياة الاجتماعية بخشبة المسرح ، ان هذا التشبيه جعله يرى ان الناس يبدو انطباعا على خشبة المسرح يتباين عما يبدو في الكواليس - ان الادوار تتباين وفق هذا الوضع ، كما ان التحول في الادوار و التباين جعله يرى ان الافراد على خشبة المسرح خادعين و مضللين في اطار ادوارهم بينما يكونون على العكس من ذلك عقب انتهاء ادوارهم

ان اراء الادوار تفرضه طبيعة الموقف الاجتماعي الذي يكون بازائه الافراد³ ان اداء مثل هذه الادوار يتطلب نوع من الغموض لمعظم العمليات الاساسية ، و هو ما يشير اليه غوفمان في تصرفات الافراد في اطار تفاعلاتهم ، و اخرى بنا ان نشير هنا الى اطار الاستعارات المسرحية

ان غوفمان قد اولى اهتماما خاصا بالمستوى الثقافي ، اذ يشدد بصورة متعاضمة على كيفية تحليل صياغة الافراد و تعبيراتهم ، و كيف يلعبون الادوار وفقا للموافق المختلفة .

¹ محاضرة للاستاذ الدكتور محمد المهدي بن عيسى

² ياس خضير البياتي ، النظرية الاجتماعية ، (جذورها التاريخية و روادها) ، الجامعة المفتوحة ، طرابلس ، ط 1 ، ص 45 .

³³ شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ، مصر العربية للنشر و التوزيع ، ط 1 ، ص 174 .

ان اهتمام غوفمان بالمواقف المتباينة جعله يهتم بمسألة الحيز المكاني و الحركات الجسمية المناسبة في الغرض منها .

ويعد مفهوم النفس او الذات في الحياة اليومية لدى غوفمان اول الاعمال التفسيرية التي قدمت من اجل رسم نظريته المسرحية

ان الخطوط الرئيسية التي ناقشها تتمثل في الكشف عن التصرفات التي يصدرها الافراد دون الالتفات اليها ، و التي يمكن ملاحظتها خلال استجاباتهم او سلوكياتهم ، و التي من خلالها يمكن فهم او وضع معنى لها ، فضلا عن تعيين المواقف التي دفعت بهم الى هذا السلوك .

ان الوجود الاجتماعي هو الذي يفرز المواقف الحقيقية للتصرفات و الافعال ، و في اطار هذا الموقف فان الافراد يرتبطون بالتمثيل في المواقف المتباينة لكي يقدموا النفس وهذا ما يجعل الفرد يقدم هويته و خصائصه الشخصية في اطار عملية التمثيل

ان عملية التمثيل تفرضها طبيعة المواقع الامامية التي تفرض على الجسم مواقع و استخدامات و انطباعات معينة ، تلك التي تباين عما يحدث في اطار المواقع الخلفية التي لا تتطلب تدعيما مثلما يحدث في المواقع الامامية .

انه بشكل عام يمكن القول ان القواعد التي يقدمها الافراد تتوقف على طبيعة المواقع او الحيز المكاني ، تلك التي تستخدم في موضع التداعيات المناسبة و الحركات و المواقف الاجتماعية التي يمكن من خلالها قراءة مختلف النشاطات الاجتماعية ، و المجهودات التي تفرض خلق و تاسيس الادوار وفقا لطبيعة الموقف او الحيز الاجتماعي¹.

ركز على التفاعل البسيط بين انا و انا .

كما يرى ان الديكور ملازم للفرد .

ان الفرد يجب ان يراقب حالة تفاعله مع الاخرين عند اعطائه لنفسه هوية ما ، اي ان الواجهة تستعمل بطريقة قصدية او غير قصدية و النكونة من :

الواجهة الشخصية: الملتصقة بالمثل.

الواجهة المثالية : في احسن صورة .

¹ شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ذكره ، ص : 175 .

اخفاء التناقض و الحقيقة الكلية¹.

و منه فقد وجه غوفمان اهتمامه تطوير مدخل التفاعلية الرمزية لتحليل الانساق الاجتماعية، مؤكدا على ان التفاعل - و خاصة النمط المعياري و الاخلاقي - ما هو الا الانطباع الذهني الارادي الذي يتم في نطاق المواجهة ، كما ان المعلومات تسهم في تعريف الموقف و توضيح توقعات الدور².

ثالثا : هيربرت بلومر (1900/ 1986)

يتفق مع جورج هيربرت ميد على ان التفاعل الرمزي هو السمة المميزة للتفاعل البشري و ان تلك السمة الخاصة تنطوي على ترجمة رموز و احداث الافراد و افعالهم المتبادلة ، و قد اوجز فرضياته في النقاط التالية :

ان البشر يتصرفون حيال الاشياء على اساس ما تعنيه لهم تلك الاشياء .

هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي الانساني .

الافراد يصنعون المجتمع كل يوم .

اصغر وحدة لدراسة المجتمع هي المحادثة بين شخصين بتبادل الدلالات و المحادثات

و تبادل الرموز بطريقة ملموسة .

تفاعل الانسان يحضر الغائب ، عكس الغائب في اطار نسق الرمز .

المجتمع الحقيقي مبني على براديقم التفاعل ، عكس التصور الكلاسيكي .

اطى اولوية للفاعل الاجتماعي عن طريق المشاركة .

النسق يعد بناؤه عن طريق فاعلين ، و الباحث يبحث عليه ان يمثل الدراما اي :

(الملاحظة بالمشاركة)³.

رابعا : تشارلز كولي : (المرأة العاكسة للذات) : كانت اهم افكاره ما يلي :

✓ تؤكد نظرية النفس المرآة ، او الذات المنعكسة على البعد الاجتماعي لنمو الذات

(الشخصية) تشير الى ان الانسان ابن مجتمعه يتأثر بكل ما يجري فيه ، و يعكس في

سلوكه توقعات المجتمع منه كعضو له ادوار مختلفة في هذا المجتمع

¹ محاضرة للدكتور عبد الرحمان بو زيدة .

² ثنا علي السيد ، نظرية علم الاجتماع ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1993 ، ص : 124

³ محاضرة للاستاذ الدكتور عبد الرحمان بو زيدة

العامل النفسي هو الجوهر الاساسي في عملية العلاقات الاجتماعية ، او قيام المجتمع
✓ الجماعات الاولية هي التي تقوم ايضا بتشكيل الذات و تكوين خبرات الفرد المبكرة
✓ و تدعم المثاليات الاجتماعية ، كما انها تعتبر ظاهرة عامة في كافة التنظيمات
الاجتماعية .¹

✓ كما يشير الى ان الذات في جوهرها اجتماعية ، و هي تتأسس نتيجة تفاعل الفرد مع
الآخرين ، و خاصة اعضاء الجماعات الاولية ، نتيجة هذا التفاعل يمكن للفرد ان يرى
نفسه في الآخرين لمعرفة نفسه ، كما يرى ايضا ان الجماعات الاولية (الاسرة -جماعة
اللعب -الجوار ... الخ) هي التي تقوم بتشكيل الذات ، و تكوين خبرات الفرد المبكرة
و تدعيم المثاليات الاجتماعية العامة .

✓ كما ان هناك عددا كبيرا من العلماء الذين لم تناقش اعمالهم بشكل واسع ، مع عنهم اعلام
و مؤسسي النظرية التفاعلية الرمزية ، و منهم :

❖ روبرت بارك (1864/ 1944) . ووليام اشحاق توماس (1863 / 1947) . و من رواد
مدرسة (ايوا) للتفاعلية الرمزية .

❖ مانفرد كون (1911 / 1963) و هو عالم اجتماع امريكي . و هيرمان . و جلاسر . و
ستراوس . و غيرهم

-مصطلحات النظرية :

✓ التفاعل : و هو سلسلة متبادلة و مستمرة من الاتصالات بين فرد و فرد ، او فرد
مع جماعة ، او جماعة مع جماعة .

✓ المرونة : و يقصد بها استطاعة الانسان ان يتصرف في مجموعة ظروف
بطريقة واحدة في وقت واحد ، و بطريقة مختلفة في وقت اخر ، و بطريقة
متباينة في فرصة تالثة .

✓ الرموز : و هي مجموعة من الاشارات المصطنعة ، يستخدمها الناس فيما
بينهم لتسهيل عملية التواصل ، و هي سمة خاصة في الانسان ، و تشمل عند

¹¹¹ معن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، (دراسة تحليلية و نقدية) دار الافاق الجديدة ، ط 2 ، بيروت ، 1991 ، ص : 94 .

جورج ميد اللغة ، و عند بلومر المعاني ، و عند غوفمان الانطباعات و الصور
الذهنية .

✓ الوعي الذاتي :و هو مقدرة الانسان على تمثيل الدور ، فالتوقعات التي تكون
لدى الاخرين عن سلوكنا في ظروف معينة ، و هي بمثابة نصوص يجب ان
نعلمها حتى نمثلها ، على حد تعبير غوفمان¹

6-تقييم النظرية التفاعلية الرمزية :

- ✓ اهتمامها بدراسة الوحدات الاجتماعية الصغرى .
- ✓ صعوبة التعامل مع الجوانب التنظيمية الكبيرة الحجم داخل المجتمع .
- ✓ صعوبة التعامل مع العلاقات بين المجتمعات ، و ذلك لان الرموز ليست موحدة
المعاني .
- ✓ عدم اسهال التفاعلية في فهم عملية التغير الاجتماعي على النحو الذي اسهم به
الماركسيون و غيرهم .اي ليس الانطلاق من عوامل اقتصادية و انما الانطلاق
من الرموز و المعاني القصدية .
- ✓ التفاعلية الرمزية جعلت من الذات محور دراستها و استبعدت النظم الاجتماعية
و السياسية و الاقتصادية في مجال الدراسة . فالتفاعل الاجتماعي الذي يكمن في
العلاقة التواصلية بين الذوات من اجل نقل الرموز و المعاني فيما بينها عن
الموضوعات في مواقف معينة .
- ✓ جعلت التفاعلية الرمزية التغير ينحصر في نطاق التغير الذاتي للأفراد ، اي
التغير على مستوى الوحدات الصغرى دون الالتفات لتغير الوحدات الكبرى² .
- ✓ ان النظرية التفاعلية الرمزية ، لا تقدم مفهوما شاملا للشخصية ، فاصحاب
النظرية و على راسهم بلومر يقرون بان هذه النظرية يجب الا تشغل نفسها
بموضوع الشخصية كما ينشغل بها علم النفس ، و هذا سبب واضح و مبرر

¹ شتا علي السيد ، نظرية علم الاجتماع ، مرجع سابق ذكره ، ص : 125

² الأستاذ الدكتور محمد المهدي بن عيسى

جوهر يعلى قلة الاستفادة من هذه النظرية في الميدان التربوي ، على الرغم من وجود بعض الابحاث القليلة المنشورة هنا و هناك .

✓ كما ان التفاعلية الرمزية اغفلت الجوانب الواسعة للبنية الاجتماعية ، لذلك نجدها لا تستطيع قول اي شئ عن ظواهر اجتماعية كالقوة و الصراع و التغيير ، و ان صياغتها النظرية مغرقة في الغموض ، و انها تقدم صورة ناقصة عن الفرد¹.

✓ غموض الرموز و الاشارات في عملية الاتصال و التبادل ، و عدم الوضوح و التفسير بين عملية اللغة و الكلام ، و وظيفتهما في عملية التفاعل الاجتماعي .

✓ وجود العمومية في التفسير و التحليل خاصة في مسالة العلاقات بين الفرد و المجتمع ، و النسق الشمولي ، كنا ان عملية تطور المجتمع تبدو عامة و غير واضحة .

✓ كما ان نظرية كولي حول الطبيعة الاجتماعية للذات مثالية ، لانها وضعت من خلال حسابات تصورية منظمة ، و هذا لا يمكن ان يحدث دائما للفرد و لا يستطيع ان يقوم به بشكل منسق كما صورها كولي .

✓ كما تنطوي فكرة كولي على تحديد كيان المجتمع و نموه على شئ من الغموض ذلك لانه لم يعزل وحدة بعينها من المجتمع في التحليل الاجتماعي سوى الجماعات الاولية .

✓ يعاب على كولي انه لم يحصر اهتمامه في نمو العملية التاريخية الشاملة الخاصة بتطور الكائن الفردي الاجتماعي او الذات الاجتماعية ، حيث لم تتحقق النزعة التطورية بالمعنى التقليدي للمصطلح في اعماله بهذا الخصوص .

✓ كما تحاول نظرية غوفمان الاجتماعية ان تهتم بالفرد و موقفه مع الاخرين و كيفية تقديم نفسه و افعاله لهم من خلال التفاعل ، فالمعلومات هي الركيزة الاساسية في عملية التفاعل الاجتماعي بينما السلوك الاجتماعي قائم على قيام الفرد بدوره (مسرحي) مخادع او متصنع من اجل رضا الاخرين و التحكم بانطباعاتهم .

¹ البياتي ياسر خضير ، النظرية الاجتماعية جذورها التاريخية و روادها ، جامعة الفتح ، طرابلس ، 2002 ، ص : 154

✓ و يعتقد ايضا غوفمان ان بعض المؤسسات الاجتماعية تعيق مبدا العلاقات الاجتماعية بين الافراد بسبب نظام القهر و السلطة و الاذلال التي تمارس ضدهم كما في نزلاء السجون و مستشفى الامراض العقلية ، فيعاب عليها انها لم تاخذ بعين الاعتبار خبرات الاخرين الشخصية و اثرها على نوع ودرجة تفاعلهم مع الفرد ، فقد تكون خبرات الاخرين اعمق و انضج من خبرات الفرد.¹

كما قد وجهت عدة تساؤلات لغوفمان نقدية مشروعة ابرزها : الى اي حد يصف اطار العمل المسرحي التفاعل الاجتماعي و يفسره ؟ و اذا كان التفاعل يرى غوفمان هو الذي يتحكم في الانطباعات ، فما الذي يمكننا ان نعرفه عن الذات الحقيقية للفرد اذا ما استخدم هذا الاطار ؟

كما ان نظرية التفاعل الرمزي لم توضح من اين يتكون البناء الاجتماعي؟ و ما هي عناصره ؟

و اهميته للسلوك الاجتماعي او المجتمع نفسه ؟ لهذا كان التصور للبناء غامضا و مبهما يحتاج لكثير من التحليل و التفسير المنطقي .

✓ كما ان مفاهيم هذه النظرية تشير الى دراسة الظواهر الاجتماعية القريبة الامد مثل (الذات و الانا و العقل و الدور) و لم تدرس المفاهيم البعيدة المدى (كالنظام و النسق الاجتماعي و الحضارة)

✓ كما انه من الصعوبة دراسة النفس البشرية من خلال التعاريف الاجرائية النفس متطورة و متغيرة كما اننا نجهل كيف استطاعت النظرية التفاعلية الرمزية من دراسة النفس البشرية و الدور الاجتماعي من خلال دراستها لنشاط التفاعل اليومي.²

¹ عمر معن خليل ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط 2 ، 1991 ، ص : 145
² ابراهيم عيسى عثمان ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، ط 1 ، عمان ، الاردن ، 2008 ، ص : 154

7- الاستنتاج العام من النظرية :

و في الاخير يمكننا ان نخرج من هذه النظرية ووفقا لموضوع الدراسة بالنتائج التالية :
ان الرموز بانواعها كما يرى اصحاب هذه النظرية اداة اساسية للتفاهم و الاتصال بين
الناس ، و نقل المعاني و الرسائل و الدلالات ، فالهدية باعتبارها رمز يتم تداوله و تبادلته
بطريقة تشفيرية تحمل المعاني و الدلالات التي لا يتم فهمها الا من طرف المتفاعلين
انفسهم¹ ، لانها رمز اجتماعي على موضوع يحدد من قبل المجتمع طبقا لعاداته و
تقاليد و ثقافته العامة و السائدة .

كما ان هذا النوع من التفاعل يشبع حاجات الفرد مع بقية افراد المجتمع و ذويه من
المجال الاجتماعي التفاعلي المشترك ، وهذه المعاني التي تتركها الهدية في ذوات
المتفاعلين ما هي الا نتائج اجتماعية مخلوقة من المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية
و الثقافية لتحديد انماط سلوك المتفاعلين و توضيح عملية تفاعلهم .

فالهدية عند تبادلها بين متفاعليها من قبل افراد المجتمع تعمل على تماثلهم في ذلك النمط
السلوكي ، و يستخدمونها عندما يريدون التعبير عن مضامينها ، لان الهدية يختلف
مضمونها باختلاف المواقف الاجتماعية ، لان اثرها يبدو واضحا على ذوات الافراد
الاجتماعية ، لانها اكتسبت من تلك الخبرات الاجتماعية عبر الزمن ، حيث انها قديمة
و تداولت بين الافراد تبعا لمنظور العادات ، و كذا نجد انها تعبر عن الانا الاجتماعي،
في ردها يعمل الفرد على اتباع الثقافة السائدة التي يعيش فيها ، كما تسمح للفرد بالتكيف
مع مجتمعه لان الفرد هو الذي فرض نوعية و مناسبة تقديم الهدية و كذا قيمتها و جعلها
ذات معاني اجتماعية و سلوكية . حيث تبين و من خلال مبادئ النظرية ، و نظرا لراي
جورج هربرت ميد انه يمكن بواسطة الهدية يمكن للافراد ان يتفاهموا و ان يتواصلوا
و ذلك

¹ الاستاذ الدكتور محمد المهدي بن عيسى .

نظرا للاثر الكبير الذي تتركه الهدية في النفوس لانها تذهب الضغائن و تزيل الاحقاد و تطيب العلاقات بين الناس .

و كذا توضح لي توضح لي ان عملية التهادي في منظور النظرية ليست عملية فردية خالصة

ولا جمعية خالصة لانها مزج بينهما ،كونها تشمل ادوات ونظم وعلاقات اجتماعية، و لها الدور في تحديد نوع تلك العلاقة كونها تتبع من الذات و تصيب الذات و لاتوجد الا في علاقات مع جماعات اجتماعية لان الفرد نفسه تنتمي الى مجال تفاعلي تتم فيه هذه العملية التفاعلية بطريقة واعية يحكمها العقل ، لذلك صارت فعل اجتماعي ، و لم تصبح سلوكا بالمفهوم السيكولوجي ، تسمح بتطور و تغير العلاقات الاجتماعية كون ان المجال الاجتماعي التفاعلي هو وحدة ديناميكية متطورة تولد بشكل مستمر انماطا جديدة للعلاقات الاجتماعية .

كما ان الهدية تعتبر عامل جوهري في مفهوم النظرية لانها تسهل الاتصال و التواصل بين الناس ، و هي تعكس الحاجات و الرغبات الفردية من خلال تقديمها في مناسبات معينة هي التي تحدها من خلال اثرها ووظيفتها الاجتماعية في ارساء مفهوم التفاعل داخل المجال الاجتماعي دون ان انسى اهمية العامل النفسي في العلاقات الاجتماعية و التي تحكمها عملية التهادي ، لان مبادئ هذه العملية تترسخ في ذات الفرد من خلال التنشئة الاجتماعية و الثقافية و من خلال الجماعات الاولية التي تشكل في الفرد ذاته الاجتماعية التواصلية ، و تدعم فيه تلك المثاليات العالية ، لانها تعتبر ظاهرة عامة في جميع الامكنة و الازمنة ، هذا من جهة .

اما من جهة اخرى فان النظرية لاترى ان كل الافعال واضحة و صريحة ، فهناك افعال مستترة ، فعملية التهادي يمكن ان تكون كدور يؤديه المهدي لكي ينال اعجاب الناس و رضاهم ، اي انه متصنع و لس نابع من الرغبة الحقيقية للتواصل ، بل من اجل التحكم في انطباعات و ردود فعل الاخرين .

وخلاصة القول ان التفاعلية الرمزية اذن نظرية لدراسة الافراد ، نظرية خاصة بالفعل الاجتماعي ولا تحاول في اوضح اشكالها ان تصبح نظرية للمجتمع ، و تفسيرها للفعل و هو جزؤها النظري بسيط للغاية ، و لكن يمكن ان يرى ذلك ، كاختيار مقصود لمصلحة استيعاب بعض تعقيدات موافق الحياة الفعلية ، و المهمة التي تشير اليها هي تطوير تفسير نظري اكثر دقة و شمولاً ، يستوعب اكبر جانب من افعال البشر دون ان يفقد ذلك التفسير تعقيدات العالم الفعلي¹

ثانيا : نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو :

يعد بيار بورديو (1930 2002) عالم الاجتماع الفرنسي الشهير و احد ابرز الاعلام الفكرية في القرن العشرين ، يحتل مكانة مميزة في حقل الدراسات الانسانية ، شهد علم الاجتماع على يده ابداعا علميا رائعا ، و تجددا فكريا حقيقيا في المصطلحات و المضامين و الدور و الاهداف فقد احدث الرجل في تحليله للظواهر السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الابحاث الاجتماعية النقدية ، و في مفهوم علم الاجتماع نفسه . لقد هال الجميع انتاجه الفكري الغزير و المتميز ، و اطلاقه الواسع ، و ارادته القوية و الشجاعة في تطبيق الافكار و المبادئ التي نادى بها في اعماله الفكرية و تصميمه الحاسم على ترجمتها الى سلوك و مواقف و ممارسات عملية ، من خلال مشاركاته و مداخلته الشخصية في المظاهرات و الحركات الاجتماعية و السياسية .

ان بورديو مفكرا فذا ، عالمي الثقافة ، و انساني التوجه و من ابرز المثقفين و المناضلين في تاريخ النضال الاجتماعي و السياسي و الثقافي في القرن العشرين .

درس بورديو الفلسفة في مدرسة المعلمين العليا في باريس و نال فيها شهادة الاستاذية في الفلسفة عام 1954 و كان جاك دريدا الفيلسوف الفرنسي الشهير من الذين تخرجوا في نفس الدورة و بعد تجربة قصيرة له كاستاذ في احدى الثانويات ، دعي من قبل المكتب النفسي للجيش في مدينة فرساي و لكن لاسباب تاديبية ارسل بسرعة الى الجزائر في اطار احلال السلام ، حيث ادى هناك القسم الاساسي من خدمته العسكرية و

¹ ايان كريب ، النظرية الاجتماعية ، من بارسونز الى هابرماس ، ترجمة : محمد حسين غلوم ، عالم المعرفة ، الكويت بدون طبعة ، بدون سنة ، ص 128 .

من عام 1958 الى 1960 تمنى ان يتابع دراساته عن الجزائر ، فدرس في كلية الاداب في الجزائر و اهتم بالدراسات الانثروبولوجية و الاجتماعية ، و كتب بعد عودته الى فرنسا كتابا بعنوان (سسيولوجيا الجزائر) ثم اصدر كتابا اخر بعنوان (ازمة الزراعة التقليدية في الجزائر)

و بدا يدرس الفلسفة في السربون ، ثم اصبح مديرا لقسم الدراسات في مدرسة الدراسات العليا ، ثم مديرا لمعهد علم الاجتماع الاوروبي .

كما انتخب عام 1982 لكرسي علم الاجتماع في (الكوليج دو فرانس) و هي اعلى هيئة علمية في فرنسا ، و ظل يدرس و يحاضر فيها الى غاية 2001.¹

و من المفاهيم التي استخدمها بيار يورديو في تحليله : (اعادة الانتاج -الحقل - راس المال الرمزي - العنف الرمزي - العرف - الانعكاسية ...الح .)

و قد اصدر مجموعة اخرى من المؤلفات نذكر منها : (بؤس العالم -علل عملية في نظرية الفعل - عن التلفزيون -تاملات باسكالية - السيطرة الذكورية - البنيات

الاجتماعية للاقتصاد - علم العلم و الانعكاسية -تدخلات العلم الاجتماعي و العمل السياسي - توطئة لتحليل ذاتي - سسيولوجيا الجزائر - الوراثة الثقافية و الطلبة - اعادة

الانتاج -الحس العلمي -درس في درس -بؤس العالم - الانسان الاكاديمي ...الخ)

1- التعريف بمصطلحات النظرية :

✓ تعريف العنف الرمزي :

تحدث بورديو عن العنف الرمزي الذي هو عنف غير فيزيائي ، يتم اساسا عبر وسائل التربية و تلقين المعرفة و الايدولوجيا ، و هو شكل لطيف و غير محسوس من العنف ، و هو غير مرئي بالنسبة للضحايا انفسهم .

حيث ينتقد بورديو الفكر الماركسي على الرغم من تاثره به ، الا انه يرى ان الماركسية لم تولي اهتماما كبيرا للاشكال المختلفة للعنف الرمزي .

¹ العطري عبد الرحيم ، نظرية العنف الرمزي عند بورديو ، افكار مغربية ، 2009 ، ص : 3

كما اشار بورديو كذلك الى ان العنف الرمزي يمارس تاثيره كذلك حتى في المجال الاقتصادي نفسه ، كما انه فعال و يحقق نتائج اكثر من تلك التي يمكن ان يحققها العنف المادي و البوليسي .

و غني عن البيان ان العنف الرمزي يمارس على الفاعلين الاجتماعيين بموافقتهم و توأطئهم ، و لذلك فهم غالبا ما لا يعترفون به كعنف ، بحيث انهم يستدمجونه كبديهيات او مسلمات من خلال وسائل التربية و التنشئة الاجتماعية و اشكال التواصل داخل المجتمع.

و من هذه الزاوية يمكن حسب بورديو فهم الاساس الحقيقي الذي تستند اليه السلطة السياسية في بسط سيطرتها و هيمنتها ، فهي تستغل بذكاء التقنيات و الاليت التي يمرر من خلالها العنف الرمزي ، و التي تسهل عليها تحقيق اهدافها باقل تكلفة و بفاعلية اكثر خصوصا و ان هناك توافقا بين البنيات الموضوعية السائدة على ارض الواقع و بين البنيات الذهنية الحاصلة على مستوى الفكر .

و هكذا يتبين ان الفكر يتخذ شكلين رئيسيين ، الاول هو العنف المادي و مظاهره مختلفة و الثاني هو العنف الرمزي الذي بين بورديو بعض وسائله ومدى فاعليته في تثبيت دعائم الدولة و السلطة السياسية ، من هنا يبدوانه من المستحيل الحديث عن جتمعات انسانية خالية من العنف فهو ظاهرة اكيدة في تاريخ المجتمعات البشرية¹. هذا العنف (الخفي) لكن المتكرر ، المزمن و احيانا اليومي ، الذي يصيب نفسية الانسان ليست جسده بالارهاق الشديد والالم الذي يعاني منه غالبا بصمت و الذي يقوده بالتالي الى الانكماش و الانكفاء نحو الذات ، قاتلا فيه افضل طاقاته و ابداعاته مما يؤدي به الى الانسحاب في التعامل مع محيطه الصغير او الكبير ، و الى عدم التحسب بردود افعاله و التي تتسم غالبا بسمات الطيش و التهور ، و بالتالي تؤدي به الى دوامة التطرف و العنف .

¹ بيار بورديو ، السلطة و الرمز ، ترجمة : عيد السلام بنعبد العالي ، ط2 ، الدار البيضاء ، دار توبقال ، 1990 ، ص : 80

فيرى بورديو وان العنف الرمزي هو عنف هادئ ، غير مرئي و مقنع (لكونه غير معروف بهذخ الصفات ، فقد نختاره بقدر ما نعانيه) ، هكذا فهو يميز فرص التراتيبات في المعارف المشروعة و الاذواق الفنية ، و اصول اللياقة ، الخ .

و لقد عمل بورديو على انتقاد تغاضي الماركسية عن العوامل غير الاقتصادية ، اذ ان الفاعلين الغالبين في نظره بإمكانهم فرض منتجاتهم الثقافية (مثلا ذوقهم الفني) او الرمزية (مثلا طريقة جلوسهم او ضحكهم او ما الى ذلك) فالعنف الرمزي يعني قدرة الغالبين على الحجب عن تعسف هذه المنتجات الرمزية و بالتالي على اظهارها على انها شرعية)¹.

ومع ترسبات العنف الرمزي يؤدي الى نشوء صراعات و توترات ، و هذا الصراع ينبغي النظر اليه بعيدا عن المحتوى الماركسي التقليدي للصراع الطبقي ، بل بمحتوى احد المفاهيم المركزية في البنيوية التكوينية . و هو الهابيتوس بوصفه منهجية ذات محتوى ثقافي ، و بالتالي فالراسمال الثقافي وظيفته اعادة انتاج الصراع ، بل و تكوينه عبر المحتوى الثقافي و بالتالي يؤدي الى عنف رمزي ، و الذي سعى طذلا الى تكريس التمايز و اعادة انتاج الحقول اليا .

كما يوجد نوعان من الصراع داخلي ة خارجي ، بين الحقول (كالحقل السياسي و الديني) و داخلي بين المهيمنون و المهيمن عليهم ، او القدمة و الجدد ، فالقدماء لهم لاسمال خاص ، يميلون الى المحافظة و المقاومة ليكونوا كما هم ، و يصبحوا كما ينبغي ان يكونوا ن اي يحتكرون السلطة الرمزية في الحقل و منافع الحقل .

اما الجدد بحكم عددهم و نوعهم الاجتماعي بما يحملونه من قيم التجديد و الابتكار و الابداع ، يحاولون التمرد و القلب للمبادئ التي يقوم عليها الحقل ، للانقاص من الراسمال الذي يمتلكه المهيمنون (الا ان الصراع الداخلي هنا لا ينتج بتوارث جزئية قادرة على تحطيم التراتب القائم ، دون ان يقضي على الحقل ، لان شرط الدخول الى الحقل هو الاعتراف باللعبة لذا ينبغي عدم تجاوزها ، و الا فقد عرض المفوض نفسه

¹¹ بيار بورديو ، السلطة و الرمز ، مرجع سابق ذكره ، ص : 81 .

الى الاقصاء خارج اللعبة¹ ، وهذا الصراع بين المؤخرة و الطليعة ، بين المحافظة و الابداع ، بين موفقة الاصول و الخروج عنها تعارض باستمرار من محتوى مادته و لكن يظل هو هو في بنيته التشكيلية².

✓ تعريف الهابيتوس :

تنقسم التعريفات التي قدمها بورديو لهذا المفهوم الى نمطين : يعرض الاول مكونات الهابيتوس و بنيته الداخلية ، و يعرض الثاني من خلال توضيح وظيفته و دوره ، فيشير النمط الاول الى ان الهابيتوس يتكون من الميول و التصورات و الادراكات و رؤية العالم او مبادئ التصنيف ، و في مواضع اخرى يقتصر الهابيتوس على انه الميول بينما في النمط الثاني فان الهابيتوس هو المبدأ الذي يولد و ينتج الممارسات التي تميل لاعادة انتاج الشروط الموضوعية التي كانت ملازمة لانتاج الهابيتوس نفسه و هذا ما عرف عنده بالانتاج و اعادة الانتاج³

و يوضح كذلك بورديو ذلك في موضع اخر ، حيث يقول ان الهابيتوس الذي يتشكل و يكتسب في الاسرة يعتبر اساس عملية بناء الخبرات التعليمية ، كما يشكل الهابيتوس الذي تصوغه المدرسة - فيما بعد - اساس عملية بناء الخبرات التالية مثل استقبال استعاب كل الرسائل الخاصة بالثقافة او الصناعة او بخبرات العمل⁴

كما يعتبر مجموعة من الاستعدادات الدائمة و قابلة للتناقل ، حيث انها تكتسب اجتماعيا عن طريق التنشئة الاجتماعية ، كما انها تختلف باختلاف الحقول الذي هو طرف فيها او باختلاف الموقع الذي يحتله المفوض في الحقل ، حيث انها اكتسبت اجتماعيا و تجدرت في الذات عميقا و تشمل على الاقل ثلاث ابعاد اساسية : 1 البعد النفسي الوجداني (الاختيارات . الميول . الاذواق)

❖ البعد العقلي المنطقي (الافكار . مبادئ الفهم و التفسير)

❖ البعد الاخلاقي العملي (الافعال . القيم ... الخ)

حيث يعتبر مؤشر الاصل الاجتماعي .

¹ بيار بورديو ، مقال بعنوان الخياطة الرفيعة و الثقافة الرفيعة ،

² دفيد هارقي ، حالة ما بعد الحداثة ، بحث في اصول التغيير الثقافي ، ترجمة محمد شيا ، ط 1 بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص : 254 .

³ انصاربيار ، العلوم الاجتماعية المعاصرة ترجمة : نخلة فريفر ، ط 1 ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، 1992 ، ص : 164 .

⁴ ثنا السيد علي ، المدرسة الظاهرية و المدرسة الاجتماعية المعاصرة ، المكتبة العربية للطباعة ، الاسكندرية ، 2004 ، ص : 58

- ومن اهم وظائف مفهوم الهابيتوس الاساسية هي التخلص من منزلقين متكاملين :
- النزعة الالية : (mikanism) : و التي تعتبر ان الفعل هو نتيجة الية لاکراهات خارجية .
 - النزعة الغائية : (le finalisme) : التي تعتبر خصوصا مع نظرية الفعل العقلاني ان المفوض يتصرف بشكل حر و واعي .
- كما يعتبر موجه للسلوك ، اعتمادا على مرجعية معينة تقع في البنية الذهنية ، اضافة الى انه منتج الممارسات و اصل الادراكات و عمليات التقويم و الاعمال او مجموعة قواعد مولدة للممارسات¹
- كما يرى كذلك ان الهابيتوس هو علاقة الفرد بمكانه الذي يبرز من خلال عمليات التمايز في الفضاء الاجتماعي ، و هو نسق ترسيمات لانتاج ممارسات معينة ، تتعلق بالادراك الحسي و الادراك الاستيطاني²
- و بذلك نستطيع ان نلخص خصائص الهابيتوس في النقاط التالية :
- ❖ هو مجموعة من الاستعدادات .
 - ❖ دائمة
 - ❖ قابل للتناقل .
 - ❖ تكتسب اجتماعيا .
 - ❖ تختلف باختلاف الحقل و الذي هو طرف فيها و باختلاف الموقع الذي يحتله المفوض في الحقل .
 - ❖ هو موجه لسلوك الفرد اعتمادا على مرجعية معينة تقع في البنية الذهنية .
 - ❖ يعطي الشرعية على الترتيبات (الصراع في المستويات الاجتماعية) و التمايز (العنف الرمزي) و الراسمال الثقافي ، و يعبر عن الهابيسوس كل من المهيمنون و المهيمن عليهم .

¹ بيار بورديو ، السلطة و الرمز ، مرجع سابق ذكره : ص : 100
² جون ليتشه ، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا ص 106.107

❖ يعتبر منتج الممارسات ، و اصل الادراكات ، و عمليات التقويم و الاعمال ، او مجموعة قواعد مولدة للممارسات ¹.

✓ تعريف الراسمال الرمزي :

اختلف طرحه عن المفهوم التقليدي للراسمال الماركسي ، حيث يرى انه كل طاقة اجتماعية يمتلكها الفرد و يعتمد عليها في التميز و المنافسة (ملكية القوة) ، و اشار الى ان كل حقل له شكل خاص من راس المال رمزي ، باعتباره علاقة اجتماعية داخل نسق من التبادل يشمل جميع السلع مادية و رمزية دون تمييز .

و يتمكن بورديو من التعريف الواسع لراس المال (اعتباره داخل نسق من التبادل) من استخدامه في دراسة المجتمعات القبلية السابقة عن الراسمالية بمعناها الاقتصادي . كما يرى التعليم هو من يقوم بالدور الاساسي لتكوين الراسمال الرمزي و هو بدوره يستطيع ان يعيدانتاج العلاقات الاجتماعية السائدة ، و علاقات القوة و السيطرة ².

✓ تعريف السلطة الرمزية

قد تحول مفهوم السلطة في الفكر الغربي في بعده الحدائي ، الطرح التقليدي البسيط الذي يعتمد على ما هو اقتصادي و سياسي و اداري ... الخ ، حيث ارتقى الى الطرح النهجي المعرفي العميق ، لمحاولة ربطه ربطا محكما بكل تجليات و مظهرات بنية المجتمع .

حيث يقول بورديو في كتابه (الرمز و السلطة) : (ان السلطة الرمزية هي سلطة لا مرئية ، و لا يمكن ان تمارس الا بتواطئ اولئك الذين يابون الاعتراف بانهم يخضعون لها بل و يمارسونها ³

✓ مفهوم الحقل :

فهي التحليل السسيواوجي عند بورديو هو بنمطية تقنية اجرائية دقيقة للتفكير بصيغة العلاقات ، اي التفكير على نحو علائقي جدلي ، بدل التفكير بالطريقة البنيوية ، التي كانت سائدة و مهيمنة في بداية اشغال بورديو . كما ان الحقل هو جملة علاقات

¹ اكرم حجازي ، الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية و المعاصرة ، مجلة علوم سياسية ، العدد الثاني ، 2005 .

² شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحدائنة ، مرجع سابق ذكره ، ص : 181

³ محمد بقوح ، نظرية السلطة الرمزية ، مقالة عن بيار بورديو ، رابطة جدل الثقافة

موضوعية (سيطرة - تبعية - تطابق) بين مجموعة من الاوضاع¹. حيث تتحدد في وجودها بمحتليها ، و هؤلاء المحتلون لتلك الاوضاع هم المفوضون (افراد - مؤسسات) حسب موقعهم الحالي في البنية ، حيث تتوزع مختلف انواع السلطة ، و التي يتطلب امتلاكها او احتلالها راسمال رمزي² .

و يرتبط الحقل براس المال ارتباطا وثيقا ، حيث قسم بورديو الراسمال الى اصناف راسمال اقتصادي و ثقافي (رمزي) و اجتماعي .

و قد ركز على الثقافة كراسمال رمزي ، و كانساق رمزية في اي مجتمع هي ادوات للسيطرة الاجتماعية و السياسية في المجتمع الديمقراطي ، فراس المال الثقافي (الهابيتوس) و يترجم في العربية بالتطبع ،³

ومنه فان بولاديو قد ادخل الفاعل مرة اخرى في الاعتبار بعدما طردته الوضعية و البنيوية (شتراوي و التويسر) من جنتها ، و جعلت منه مجرد ظاهرة اجتماعية مصاحبة للبنية .

و لقد راي بورديو وان الفاعل ليس هو الذات ، فباعتبار انه ليس الا ترسا ذاتي الحركة في ساعة ن فانه يعد من اشد الالعب تعقيدا ، ان الاستعدادات المكتسبة تجعل منه مولدا للخبرة، و هو ما يطلق عليه مفهوم الهابيتوس⁴ .

2- نظرية الممارسة العملية و المجال الاجتماعي :

أ - المفاهيم الاساسية للنظرية :

تهتم نظرية الممارسة باعادة الاعتبار للفاعل الاجتماعي ، باعتبارها رد فعل على النظرية البنيوية التي اهلكت النظر الى الانسان و جعلته خاضعا للبناء الاجتماعي و نتاجا له ، فالبنيوية تؤكد على ازاحة الفاعلين من مركز البنية ، على نحو يغدو معه كما لو كان البناء يعمل بشكل الي يتجاوز ارادة ووعي الافراد ، و قد طرح مفهوم الممارسة قبل بورديو ، في اطار النظرية الماركسية ، باعتبارها عملية جدلية تهدف

¹ الزاهد مصطفى ، عبد الهادي يحيوي ، بورديو و اعادة الانتاج ، مقالة ، جامعة قاضي عياض ، مراكش .

² بورديو ، ما هو الحقل ، مقالة ، منتدى الفلسفة و العلوم الاجتماعية ، ترجمة حسين حجيج

³ حسين المامون ، نحو سبيلولوجيا الكشف عن الهيمنة ، مرجع سابق ذكره

⁴ شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ، مصر العربية للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2009 ، ص ص : 288، 287 .

لتغيير العالم من خلال النشاطات الخلاقة للإنسان. و لكن مفهوم الممارسة عند بورديو يركز على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي ، و هي العلاقة التي تنتهي بان يقوم الفاعلون باعادة انتاج هذا البناء ، و لا يستبعد بورديو قدرة الفاعلين على تحويل و تغيير البناء و لكن ذلك يستلزم شروط بنيوية .

في ضوء ذلك يعني بورديو بالممارسة ذلك الفعل الاجتماعي الذي يقوم فيه الفاعلون بالمشاركة في انتاج البناء الاجتماعي ، و ليس مجرد اداء ادوار بداخله ، حيث يقول بورديو :

(انه من الممكن الاستبعاد ا ذات من تراث فلسفة الوعي دون القضاء عليه لصالح البنية ، فعلى الرغم من ان الفاعلين نتاج البنية ، الا انهم صنعوا و يصنعون البنية باستمرار ، فعملية اعادة انتاج البنية هذه بعيدا عن كونها نتاج سيرورة الية لا تتحقق بدون تعاون الفاعلين الذين استدمجوا ضرورة البنية في شكل هابيتوس ، حيث ينتجون و يعيدون الانتاج ، سواء كانوا واعين بتعاونهم ام لا¹ ، و بذلك يقوم علم دراسة الممارسة على تجاوز التعارض بين الموضوعية و الذاتية ، حيث يرى بورديو انه ليس سوى تعارض زائف ، يساهم في تعميم الحقيقة الانسانية للممارسة البشرية .

و يتحدد انتاج الممارسات عند بورديو على الوضع الذي يحتله الفاعل في الفضاء الاجتماعي ، و ايضا في المجال الذي تتم فيه هذه الممارسات ، و يعبر عن ذلك على النحو التالي : (الهابيتوس × راس المال) + المجال = الممارسة

و تتنوع هذه الممارسات بتنوع البنى داخل المجتمع و تنوع البنى العقلية (الهابيتوس) و ينظر بورديو لانماط المجتمعات تبعا لتنوع الممارسات ، فهناك مجتمعات قديمة لا يوجد فيها تنوع في الممارسات ، حيث تتسم البنى الموضوعية بالانسجام و الثبات الدائم ، و يتم اعادة انتاج البنى العقلية على نحو كامل ، و تفرض نفسها باعتبارها صحيحة و شرعية ، و هذا الانسجام بين البنى الموضوعية و العقلية يسمى بالعقيدة السائدة² .

¹ بيار بورديو ، اسباب عملية ، ترجمة : انور مغيث ، الدار الجماهيرية للطبع و النشر ، طرابلس ، 1966 ، ص ، ص : 202 ، 203 .
² خالد عبد الفاتح ، نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو ، مقالة نشرت في 2010/10/16 ، ساحة النقاش .

و في المقابل هناك مجتمعات متقدمة (صناعية) تتسم بالتنوع في الممارسات ، حيث تتنوع البنى الموضوعية ، و كذلك البنى العقلية ، و تتصف عملية اعادة انتاج الممارسات في هذه المجتمعات بالتعقيد الشديد ، و تساهم فيها النظم الاجتماعية المختلفة و يستخدم بورديو مفهوما اخر ليعمق الفهم بالفاعلين و طبيعة ممارساتهم ، و ايضا ليؤكد اختلافه عن النظرية البنيوية ، و هو مفهوم الاستراتيجية ، و يعرفه بورديو بالمفهوم المضاد له في النظرية البنيوية و ه من جانب الفاعلين و القواعد ، فيرى بورديو وان ممارسات الفاعلين لا يوجهها قواعد محددة مفروضة عليهم ، و انما خطط و استراتيجيات .

و لا يعني بذلك بورديو بذلك ان الممارسات تتم على اساس رشيد او واع ، كما لا يعني ان توجيه الممارسات هو توجيه محسوب او يتم بشكل ميكانيكي ، فالاستراتيجية توجيه غير قصدي و غير غائي من جانب الفاعلين .¹

و يصنف بورديو الاستراتيجيات الى نمطين : استراتيجيات اعادة الانتاج ، واستراتيجيات اعادة التحويل .

تهدف الاولى الى الحفاظ على الوضع الاجتماعي او تحسينه، و تعتمد على حجم راس المال و حالة ادوات (ميكانيزمات) اعادة الانتاج ، مثل قوانين الارث ، و سوق العمل ، و النظام التعليمي ، و ترتبط حالة هذه الادوات بحالة علاقات القوة بيت

الطبقات ، بينما يعد النمط الثاني من الاستراتيجيات هو المسؤول عن الحركات داخل الفضاء الاجتماعي ، مثل اعادة تحويل راي المال الاقتصادي الى راسمال تعليمي و هي العملية التي تتيح للاغنياء الاحتفاظ باوضاعهم المتميزة بشكل مشروع . و يؤكد بورديو على ان كل ممارسات الفاعلين تحددها مصالحهم او منفعتهم ، و بذلك ينفي وجود افعال مجانية او بلا غرض ، و لا يقصد بورديو بالمصلحة المفهوم الاقتصادي الضيق ، و لكنه يقصد المصلحة بمفهومها الواسع ، و الذي يشمل المصلحة الرمزية ز الربح الرمزي . و قد مكنت هذه الفكرة

¹ خالد عبد الفاتح ، نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو ، مرجع سابق ذكره ،

بورديو لمن تحليل مجالات تتناقض فيها الافعال مع المصلحة الاقتصادية مثل الادب و الفن و المثقفين¹.

✓ المجال الاجتماعي

يطلق بورديو مصطلح المجال الاجتماعي على كل حالة صراع بين المتفاعلين غير متساوين في، القوة على راس المال مهما كان نوعه ، لذلك يطلق على المجتمع باعتباره علاقة قوة بين الطبقات التي بينها الصراع من اجل التميز الاقتصادي و الثقافي مصطلح المجال الاجتماعي العام و يقسم هذا المجال العام الى مجالات فرعية مثل الجانب التعليمي و المجال الاقتصادي و مجال الانتاج الثقافي و المجال البيروقراطي و هكذا .

و المجال الاجتماعي لدى بورديو يشير الى السوق و المواقع و العلاقات و الاشخاص و المؤسسات و توزيع السلطة و راس المال و الهيمنة و الخضوع و الصراعات² و شبه بورديو المجتمع بالكون ، فكل جماعة لها وضع اجتماعي له علاقة بالاوضاع المجاورة التي تشبه المجرات في الفضاء ، و لذلك يطلق بورديو على المجتمع مصطلح الفضاء الاجتماعي، فالاوضاع النسبية داخل هذا الفضاء هي التي تحدد هوية الفاعلين و الجماعات الاجتماعية المختلفة ، و الفضاء هو مجال قوى ، اي مجموعة من علاقات القوة الموضوعية التي تفرض نفسها على كل كم يدخل المجال .

و يحلل بورديو المجالات و اوضاع الفاعلين داخلها على اساس مبادئ للتفرقة بين الفاعلين ، و يفترض ان هذه المبادئ تنحصر في مبدئين ، الاول هو الحجم الكلي من راس المال ، و الثاني هو تركيبة هذا الحجم من راس المال ، و بذلك يحلل بورديو المجال على اساس محورين :

محور راسي يقيس الحجم الكلي لراس المال ، و محور افقي يحدد تركيبته او مكوناته و يفترض ان اكثر انواع راس المال تائيرا في البلدان الصناعية هما بلا شك راس المال الاقتصادي و راس المال الثقافي ، و على هذا فان الفاعلين تجمعهم اشياء

¹ بورديو و فاكونت ، اسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاسي ، ترجمة عبد الجليل الكور ، ط 1 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 1997 ، ص : 72 .
² شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ذكره ، ص : 301 .

(ممارسات) مشتركة (في اساليب العيش و المميزات الاجتماعية) كلما كانوا يحتلون اوضاعا متقاربة داخل المجال و العكس صحيح .

و يتصور بوردي وان هناك خصائص عامة لكل المجالات ، و يسميها قوانين المجالات و هي :

✓ ان المجالات تتشكل حول علاقة القوة بين العناصر الفاعلة و المتصارعة في نفس الوقت ، اي انها تتشكل حول توزيع راس المال النوعي .

✓ ان المحكرين لراس المال النوعي في مجال ما يميلون الى استراتيجيات المحافظة على الوضع لما لهم فيها من مصالح ، بينما يميل المجردون من راس المال الى

✓ استراتيجيات من شأنها تدمير البنية القائمة و القضاء عليها ، او مقاومة علاقات القوة السائدة داخل المجال .

✓ ان كل المنتمين لمجال ما تجمعهم مصلحة مشتركة و هي المحافظة على بقاء و استمرار المجال في حد ذاته ، و اجماعهم على ان ما يتصارعون بشانه داخل هذا

المجال هو بالفعل يستحق الصراع من اجله¹.

وتتدخل الدولة في تنظيم عمل المجالات المختلفة ، و لا يقتصر التنظيم على الفاعلين

فقط . و ترجع قوة الدولة على القيام بهذا التنظيم الى انه تتركز في يدها كل الثروات

الاقتصادية و الرمزية ، فاما ان يكون هذا التنظيم عن طريق التدخل المالي ،(مثل

قيامها بالمساعدة العامة للاستثمار في المجال الاقتصادي ، او تحدد نوع التعليم الملائم

في المجال الثقافي) او يكون التنظيم عن طريق التدخل القانوني (مثل وضع قوانين و

قواعد من شأنها ان تنظم عمل المؤسسات او الافراد) .

و يرى بورديو انه لكي نفهم مجالا فلا بد من معرفة وضعه في مجال السلطة ثم بناء

الايضاح التي يحتلها الفاعلون ، و العلاقات بين هذه الاوضاع ، و اخيرا يتوجب

تحليل البنى العقلية (الهتابيتوس) لهؤلاء الفاعلين .

يفرق بورديو في نظريته اشكال راس المال حيث يعتبر ان كل طاقة تستخدم كاداة في

عملية التنافس الاجتماعي تعد راسمال ، و لذلك فمفهومه لراس المال يتسع ليشمل كل

¹ بورديو و فاكونت ، اسئلة علم الاجتماع ، مرجع سابق ذكره ، ص : 73 .

انواع الممتلكات التي يستخدمها الفاعلون في ممارساتهم ، فبالإضافة الى راس المال الاقتصادي هناك :

راسمال ثقافي : و يقسمه بوردي والى نوعين احدهما موروث و هو كل مكايئاله الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، مثل عناصر البنية العقلية و مفردات اللغة ، و الاخر مكتسب ، و هو كل ما يكتسبه الفرد من مؤهلات تعليمية

و يدعونا بورديو في التفكير في راس المال الثقافي بنفس الطريقة التي نفكر بها في راس المال الاقتصادي ، و خاصة فيما يتعلق بتراكم راس المال .

و هناك نوع اخر ايضا من راس المال و هو راس المال الاجتماعي ، و يقصد به الصلات او العلاقات الاجتماعية للفاعلين ،

اما النوع الهام بالنسبة لبورديو هو الراس المال الرمزي و الذي هو عبارة عن الشرعية التي ينالها الافراد او الاشياء او الموضوعات نتيجة اعتراف الاخرين بهم و تتأسس هذه الشرعية على الاعتقاد و الثقة .

ففي حالة الفروق الفردية الموضوعية توجد في الثروات و ما تدره من فوائد الى امتيازات لها شرعية و معترف بها في تصورات الناس ، و في هذه الحالة فان كل اختلاف و فرق معترف به باعتباره فرقا شرعيا ، يعمل كل راسمال رمزي يخول فضل و حق الامتياز ، و ليس معنى ذلك ان كل الاختلافات و الفروق لا توجد الا لان الناس يعتقدون انها توجد¹.

و يعتمد الراسمال السياسي ، باعتباره احد انواع الراس المال الرمزي ، على العمليات التي لا تحصي من الثقة من خلالها يمنح الفاعلون لشخص (او لموضوع) السلطات اتلتي يعترفون بها ، و يفسر ذلك غموض العقائد الايمانية ، باعتبارها قدرة موضوعية يمكن ان يتم وضعها في اشياء (و بخاصة الاشياء التي تمثل رموز السلطة ، مثل الصولجان ، الملكية ، التاج) ، فالسلطة الرمزية هي السلطة التي يخاعها من يخضع لها على ذلك الذي يمارسها اعتقاد ايماني ، او رصيد يقرضه له ، او سلطة يمنحه اياها واضعا ثقة فيه .

¹ بيار بورديو، السلطة الرمزية ، مرجع سابق ذكره : 154 .

و يوضح ذلك اهمية هذا المفهوم باعتباره اداة هامة في تحليل المجتمعات التي تتشكل على اساس الممارسات الرمزية ، و تحكمها قواعد الشرف .

ففي هذه المجتمعات ،يعتبر تراكم النفوذ ، سواء عن طريق علاقات القربي و العلاقات الاجتماعية ،او عن طريق زياد مساحات امتلاك الارض ، جزءا من اجزاء العلاقات الاقتصادية . فالشخص الذي يتمتع بمركز ممتاز مصحوب بالاحترام و الشرف فانه يتمتع بحظوة يمكن ان يستخدمها في عقد الاتفاقيات الاقتصادية داخل جماعة¹

3- بورديو فضاء الممكنات الثقافية :

لقد اختار بورديو ان يتخذ موقفا علائقيا يركب بين الموضوع و الذات و العلاقة و المعنى و المعرفة و التجربة .

فقد بحث في عن مستوى الكشف عن اليات تكون الفضاء الاجتماعي ،و تشكله، و الوظائف التي يقوم بها و القيمة التي يكتسبها في الممارسات ، و المعنى الذي يكتسبه لدى الافراد اللذين تتخذ ذواتهم بموافقتهم في علاقات قوة هي اشبه ما تكون بعلاقات حرب صامته سرية تنبني في ساحتها الخطابات و الاجساد و الممارسات و تتخرب و تتفكك في الان نفسه .

و البنية لدى بورديو تبدو في صيغة لا شعور تاريخي ثاو في نظام الاجساد و الافعال (بما فيها الخطاب كفعل اجتماعي) و مهكل ،و بان له و لا يوجد في الان نفسه الا من خلاله (فهو بهذا المعنى باني و مبني) .

و سرعان ما اقتنع بيار بورديو و هو ينجز دراسته الميدانية عن الزواج القبائلي (بالجزائر) باهمية ادخال استراتيجيات ووجهات نظر الفاعلين في تفسير الظواهر و الممارسات الاجتماعية و الثقافية المختلفة وفق رؤية سسيولوجية انعكاسية تنمحي فيها الحدود بين الموضوع و الذات ، و الخارج و الداخل ، و البنية و الفاعل و العلاقة و التاريخ ، و قد صرح بورديو في مناسبات متعددة انه استفاد من مكير لوبونتتي و فيبير و ماركس في الجمع داخل سسيولوجيا الانعكاسية بين وجهتي نظر

¹بيار بورديو ، السلطة الرمزية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 155

الموضوع و الذات متجاوزا بذلك البديل الذي كان يجعل الباحثين يختارون في فضاء
الممكنات الثقافية لفترة الخمسينات و الستينيات من القرن الماضي .
اما الانحياز الى وجهة نظر الموضوع (البنيوية الصورية الوضعية او الموضوعية) او
الانحياز الى وجهة نظر الذات (الفلسفة الفينومينولوجية) سارتر او التفاعلية الرمزية
لدى غوفمان¹ .

الفضاء الاجتماعي لدى بورديو :

ان النموذج النظري الذي يبنى انطلاقا من حالة خاصة لن يكون بحسب عبارة بورديو
الا (تاريخا مقارنا مطبقا على الحاضر ، او انه انثروبولوجيا مقارنة منشدة الى مناخ
ثقافي خاص ، وهي تتغيا ادراك الثابت و البنية في المتحول و المتغير²
بيد ان التاريخ المقارن الذي شرط امكان بناء هذا نموذج نظري سعى الى ان يكون ذا
صلاحية كونية ، لا يفضي الى بناء هذا النموذج ، الا اذا كف الباحث :

اولا: عن ان يؤدي لعبة الهاوي ، الاشياء الغريبة ، اللاهث وراء الخصوصيات
الظاهرة ، و الاصالات و الاختلافات التي قد تقود الى العنصرية و النزاعات المركزية
العرقية ، و سعى على العكس من ذلك .
ثانيا : الى ادراك البيات و الاليات التي تغيب لاسباب مختلفة عن العين الاهلية و العين
الاجنبية في الان ذاته كنبادئ بناء الفضاء الاجتماعي او الفضاء الثقافي ا واليات اعادة
انتاج هذا الفضاء ، بغض النظر عن تجلياته المختلفة و تمظهراته التاريخية الخاصة .
و يرى بورديو انه لا يوجد اي فضاء اجتماعي الا بوصفه اختلافا و تميزا من وجهة
والا بوصفه من جهة اخرى فضاء تفاعل في المواقع و المكانات ، اي فضاء سلطة
و سيطرة ، و فضاء مقاومة و صراعات مضادة ينخرط فيها الناس معبرين عن ارادة
القوة التي تعبر عن نفسها في نمط من الليبدو الاجتماعي - على حد تعبير بورديو -

¹ عبد السلام حيمر ، في سسيولوجيا الخطاب (من سسيولوجيا التمثلات الى سسيولوجيا الفعل) الشبكة العربية للابحاث و النشر ، لبنان ، ط
1 ، 2008 ، ص : 359 .

² . p 17 . (1994 .seuil .paris) .de l action Sur la theorie .maisons pratiques .Piere bourdieu

يدفعهم في اطار علاقاتهم الاجتماعية الى الصراع اما من اجل المحافظة على مواقعهم الاجتماعية ، او تغييرها و تحسينها .¹

كما يرى بورديو وان الفضاء الاجتماعي عبارة عن نظام من المواقع المتميزة من جهة و اليات اعادة الانتاج من جهة اخرى ، ذلك التميز و الاختلاف ، اي اليات اعادة انتاج نظام الفضاء الاجتماعي بوصفه كون اختلاف و تميز من جهة اخرى .

و العلاقات الاجتماعية لدى بورديو هي علاقات قوة ' اي علاقات انتاج و علاقات سيطرة و سلطة) غير متكافئة بالضرورة مادامت القوة ليست اعدل الاشياء في ما بين البشر ،الذين يقضون حياتهم كلها في طلب المزيد منها ، و تغيير موقعهم في نسبتها القابلة لان تتغير باستمرار .

فالانسان لدى بورديو ما هو الا علاقة اجتماعية يستمد هويته منها ، و هذه العلاقة الاجتماعية كذلك هي علاقة اقتصادية و ثقافية و رمزية ناقلة لارث ثقافي و اقتصادي و تاريخي ، و لقوة رمزية معنوية .

و بعبارة اخرى هي علاقة قوة و علاقة معنى في الان نفسه ، مثلها في ذلك مثل الاشكال الاكثر تعقيدا من العلاقات الاجتماعية التي يتكون من نسيجها النشاط الاجتماعي و النظام الاجتماعي .

و في اطار العلاقات الاجتماعية اذا يكتسب كل فرد القوة الاجتماعية التي تمكنه من التفاعل و التبادل و التأثير و الاعتماد المتبادل ، مع غيره متحولا بفضلها الى مجرد ذات طبيعية (بيولوجية - سيكولوجية) الى ذات ثقافية و اجتماعية و تاريخية فاعلة ، اي الى فاعل اجتماعي له قيمة ما ، و موقع ما في الفضاء الاجتماعي .

و لما كانت هذه القوة تراثا يكتسبه كل فاعل في بيئته الاجتماعية تراثا ينتقل من السلف الى الخلف بواسطة التنشئة الاجتماعية و التربية و التعليم و هذا ما قد سماه بورديو براس المال او كما يقول بورديو علاقة اجتماعية اي طاقة اجتماعية .²

¹ عبد السلام حيمر ، في سيكولوجيا الخطاب ، مرجع سابق ذكره ، ص : 363 .

Piere bourdieu .esquisse d une theorie de la pratique precede de tudes dethnologie.kabyl .paris .suel 2001 .p 263²

التطبع لدى بورديو :

يعرفه في كتابه : le sens pratique : بقوله (ان الاشتراطات المضافة لصنف خاص من شروط الوجود تنتج تطبعات ، انساق من الاستعدادات الدائمة و المنقولة ، بنيات مينية مهينة لان تشغل كبنيات بانية

اي اعتبارها مبدا توليد (و تكوين) و تنظيم للافعال و الممارسات و التمثلات الي قد تكون موضوعيا منسجمة مع اهدافها من دون افتراض لاي مرامى واع لاهداف او تحكم فوري في العمليات الضرورية لبلوغها

انها (مقودة) موضوعيا من دون ان تكون مجرد نتائج للخضوع لقواعد ، و لانها ذلك كله فانها في مجموعها منسقة بطريقة اوركسترالية من دون ان تكون نتاجا لفعل تنظيمي لاي رئيس جوقه) .

و يرى بورديو وان السلوكات البشرية العاب اجتماعية ياخذ المشاركون فيها ماخذ الجد بعد ان اخذتهم بسحرها فانستهم انها العاب و ان الهابيتوس كتعرف على اهمية اللعب الاجتماعي و اعتراف بجديته و جدو بذل الجهد و استثمار الطاقات في سبيل المشاركة فيه ، و تحقيق رهانات ، و يقوم على اساس علاقة تواطؤ انطولوجي بين البنيات الذهنية للفاعلين المنخرطين في اللعب الاجتماعي من جهة ، و البنيات الموضوعية للفضاء الاجتماعي (فضاء اللعب من جهة اخرى) .

ذلك ان الاعتقاد باهمية لعب اجتماعي ما و المساهمة فيه ، مشروط بتطبع الفاعلين و استعدادهم لاهمية ادراك اهميته ، و هو استعداد ناجم عن تمثلهم لذلك اللعب الاجتماعي الموضوعي تمثلا جسديا بواسطة التنشئة الاجتماعية ، و من ثمة لاهمية لعب اجتماعي و اعتراف بجديته و جدوى المشاركة فيه ، الا بوجود لاعبين مستعدين بحكم تطبعهم الاجتماعي لادراك قيمته و الاعتراف باهميته ، و من دون ذلك التطبع يبقى الفاعل لا مباليا امام عدد من السلوكات و الافعال (و من انماط اللعب الاجتماعي) عاجزا عن ادراك اهميتها لا تحرك فيه ساكنا ، تمر عليه فيعمى عليه لانها تبدو له تافهة ، و اذا

راى غيره من الفاعلين يتصارعون و يتنافسون من اجلها لا يتساءلون حتى عن مجرد قيمتها و فائدتها (لانها تبدو لهم بديهية) .

و ليس التطبع في نظر بورديو بنيات مبنية مكتسبة فحسب و استدخالاً رمزيا في غمرة النشاط العملي . للخارجي و طبيعة ثانية (اجتماعية ثقافية و تاريخية) دائمة و قابلة للتناقل من مجال اجتماعي الى اخر فحسب ، بل انه فضلا عن ذلك كله بنيات منتجات فاعلة في العالم الخارجي يتم بها ادراك العالم و تقسيم امتداده و تصنيف عناصره و مكوناته فتصبح دالة و ذات معنى ، انها بعبارة اخرى بنيات معرفية ذهنية رمزية تورث القدرة لصاحبها على تقسيم العالم و رؤيته وفق خطاطات و مقولات للادراك و الحكم و الفعل¹ .

4- اسس و مبادئ نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو

في اطار الدراسة الاثنوغرافية حدد بورديو اطارا للمعرفة النظرية و تتالف من ثلاث مستويات ، حيث ان المستوى الاكثر انعكاسية في عملية تصنيف المصنفات يستخدم في النهاية لتصنيف المصنفات و يوضع الذات او الفاعل الذي يقوم بعملية الموضعة و اصدار الحكم على حكم الذوق انفسهم .

✓العنصر الاول في هذا الاطار : هو الخبرة او التجربة الاساسية ، او ما يسميه بورديو المستوى الظواهري (الفينومينولوجي) ، و هذا المستوى معروف لدى الباحثين في الحقل كافة ، لانه مصدر بياناتهم الوصفية الاساسية التي تتعلق بالعالم اليومي المألوف ، اما في مجتمعهم او في مجتمع اخر .

✓ العنصر الثاني و هو مألوف ايضا و هو مستوى (النموذج) او المعرفة الموضوعية

✓ و هنا تقوم المعرفة ببناء او تشييد العلاقات الموضوعية

(مثل الاقتصادية و اللغوية) التي تبني الممارسات و ما تمثله هذه الممارسات فمثلا على المستوى الاساسي قد يلاحظ الباحث انه في كل عرس من الاعراس او

¹ جون ليتشه ، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا ، من البنيوية الى ما بعد الحداثة ، ترجمة فاتن البستاني ، ص : 106

عيد ميلاد فردي ، او عيد ميلاد المجيد يقوم الناس بتبادل الهدايا على المستوى الموضوعي (الذي يهتم به صاحب النزعة الموضوعية) يمكن للباحث ان ينظر قائلًا ، انه على الرغم مما يشير اليه ، الحس المشترك فان تبادل الهدايا هو وسيلة للمحافظة على المكانة المرموقة و العز و الجاه و تأكيد الهرمية الاجتماعية و ربما ايضا هو مثال للتبادل بحد ذاته ، انما هو طريقة للحفاظ على التماسك الاجتماعي و النقطة التي يؤكد عليها بورديو بخصوص هذا النوع من المعرفة المتتائية من المراقب المحايد غير المتحيز ، و هو منهمك بتطوير نظريته عن الممارسة العملية حيث تتضمنها البيانات الاولية ، و لكن عندما تاتي لدراسة او تبادل الهدايا على وجه الخصوص فان معرفة المنظر او (المراقب) الحيادي تصبح محدودة و بشكل ملحوظ و من الواضح انه اذا جرت دراسة اللغة من طرف المستمع (و كثيرا ما يكون طرف الحياد) و ليس من طرف المتكلم ايضا ، فاننا نحصل على شكل ناقص و مبتور من اشكال المعرفة ، لذا يحتاج بورديو وان اي نظرية مناسبة عن الممارسة العملية، يجب ان تصحبها نظرية مصاحبة حول العيب الرئيسي و النقص الكبير في توجه اصحاب النزعة الموضوعية عند تناولهم مسألة التطبيق ، الا و هو كونها بحد ذاتها شديدة الانقطاع عن الممارسة العملية ، لذا فهي تخفق في تفسير عناصر اساسية بالنسبة للممارسة العملية ، مثلا الاسلوب الانيق و الذوق و اللباقة و البراعة و المهارة (يدوية او عقلية) و على الخصوص الارتجال ، و على نحو مشابه عند بناء نموذج لممارسة عملية مثلا تبادل الهدايا ، فان المعرفة الموضوعانية لا تستطيع ان تجد تفسيراً للاخطاء او (الاستراتيجيات) التي يمكن ان تقوض عالمية النموذج ، و بعبارة اخرى يترك الزمان خارج النموذج و كذلك فكرة (الاستراتيجية) يقول بورديو : (الاستراتيجية تسمح للفرد بالتدخل ضد النموذج) هذا ما فشل بالقيام به ذلك الموفق البنيوي الذي اعلته ليفي سترأوس ، و للتاكيد فان العلاقة هي التي تميز الحياة الاجتماعية و الثقافية ، وليس ظواهر الاشياء كما اظهرت للباحثين نظرية سوسور في اللغة ، لكن البقاء في هذا المستوى ، كما كان يميل الرعيل الاول من اصحاب المدرسة البنيوية على حد زعم بورديو ، معناه المكوث في مستوى النموذج او المعرفة الموضوعانية .

و يقول بورديو اذا : (ان نظرية في المعرفة الموضوعانية ستكون في الوقت نفسه اكثر صرامة و دقة و توضيحا بوصفها نظرية عن الممارسة العملية) و يدعي انه بالامكان انجاز تقديم نظرية صارمة فعلا عن الممارسة العملية اذا اتخذنا موقف (تحقيق) الممارسة العملية، و من موقف النظرية الواردة في مقالاته الانفة الذكر ' عرض موجز الممارسات العملية)¹

و تركز اعمال بورديو على كيفية وضع التحول الاجتماعي و الثقافي للافراد و المجموعات داخل تراتبات وضعية تنافسية ، و كيف ان مجالات الصراع المستقلة سبب تحصر الافراد و المجموعات في التنازل على الموارد القيمة ، و كيف ان مثل هذه النزاعات الاجتماعية يعاد تقسيمها بتصنيفات رمزية ، و كيف يتبع الفاعلون استراتيجيات لتحقيق مصالحهم داخل هذه المجالات ، و من ثمة لا تخلو الثقافة من محتوى سياسي ن لكنها تعبر عنه ايضا .

كما يرى بورديو في نظريته (الممارسة العملية) ان معظم الافعال الانسانية تتبع من شعور عملي بالاشياء و يسترشد في ذلك بمفهومه الرئيسي حول العادات و خاصة الراسخة منها و الناجمة او المنقولة عن تاثيرات تحول اجتماعي سابق ، تكون ايضا مؤدية الى عمل و تنظيم ممارسات و هو ما يعطي العمل صفة استراتيجية ، لانه يتحقق في ظروف مضطربة خلال الزمان و المكان بالاستراتيجية .

ان الفعل لا يتم احتسابه بوعي على نطاق كبير ، و لا يكون محكوما بقواعد مشددة ، بل هو ارتجال مبني بشعور عملي و ليس حسابا معقولا .

و تتم الممارسات في مجالات من الصراع تسمى (المجالات) و يربط هذا المفهوم المحوري في علم اجتماع بورديو العادات ببنائية السلطة في المجتمع الحديث ، و هي صياغة مفهومية للمجتمع الحديث ، باعتباره مجموعة من الوحدات المستقلة نسبيا لكنها تتكامل فيما بينهما ممارسات من الا في مجالات انتاج و تدوير واستهلاك اشكال عديدة من

¹ جون ليتشه ، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا ، مرجع سابق ذكره ، ص.ص: 104.

الموارد الثقافية و المادية ، و تشتق الممارسات من التقاطع بين العادات و المجالات و من ثمة فان المجالات تتوسط العلاقة بين البناء الاجتماعي و الممارسة الثقافية .¹ كما يرى بيار بوردي وان التشفير يكتسح كل الفضاءات الاجتماعية و مستوياتها ، بل انها تتغلغل حق في الوعي ، فيعرض الشكل مشروعا ، و كان الخيط الفارق الذي يفصل عالمي العدم و الوجود ، ان نفوذه يترعرع لافي حضوره الثقيل في كل شيء ن انما في اعطاء الوجود قدرته على ان يكون ما لم يكن ، انه بوابة الوعي الذي ندرك به العالم اذ نحن لا نسكن العالم الا بقدر ما نسكن تصورا له مشكلا و مرزما .

فنظام العالم لا يبني الاشكال بل على النقيض تماما ، هي الاشكال تبني هذا النظام و تؤسسه².

كما يرى بورديوان علاقات المعنى التي تنتجها الاشكال و تؤسسها تتجاوز فعل الفرد و ضيق لستراتيجية ، فمطلق الشكالية وان يعلو السياق و الوضعية ، و بالتالي المصلحة الانية .

كما يرى ان السلطة الرمزية تمنح شرعيتها للشخص الشرعي بفعل هذا المنح و الشخص الذي يشر عنها مستثمرا في ذلك منزلته في علاقات القوى و رؤوس اموال المتناحية من هذا الموقع فيستأثر بحظوظ التمكّن و الهيمنة على اولئك الذي اقصو من فضاءات الشرعية و حرموا منها .

ويرى كذلك انه اذا تعمقنا في محمول التواطؤ نلقاه يتخطى كونه اعترافا بشرعية المنتفذ و شرعية الاشكال الطقوسية التي يستثمرها لممارسة العنف الرمزي ، و تأثير سلطته الى كونه تواطؤا مع الية شرعية . السلطة القائمة على التشيؤ ، هذه الالية هي القدرة على تصور مبدا ما مخالف للواقع يترتب عليه حكم معترف به من دون افتراض المعرفة بهذا الافتراض ، انها تقنية الحيلة و التي بها تنشيا السلطة و يزكى السائد و تطهره رموزه من رجس العنف الممارس³ .

¹ جون سكوت ، خمسون عالما اجتماعيا اساسيا ، (المنظرون المعاصرون) ، ترجمة : محمود محمد علي ، الشبكة العربية للابحاث و النشر ، بيروت ، 2009 ، ص ص : 116 ، 117 .

² بيار بورديو ، جان كلود ياسرون ، اعادة الانتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم ، ترجمة ماهر تريمش بدعم من مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم ، مركز الدراسات ، الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2007 ، ص : 60 .

³ بيار بورديو ، جان كلود ياسرون ، اعادة الانتاج ، مرجع سابق ذكره ، ص 78 .

كما يرى بوردي وان وجود الناس الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم ، بشرط ان تكون العلاقات الاجتماعية مستقلة عن ارادتهم ، و هو امر يبين ان الهيمنة تمارس عبر التشيؤ ذاته .

اما شرط ان تكون العلاقات الاجتماعية مستقلة عن ارادتهم و هو امر يبني ان الهيمنة تمارس عبر التشيؤ او هي التشيؤ ذاته .

اما شرط تجاوز التشيؤ فهو القرض هذا الشكل المشتغل بيد ان هذه العلاقات الاجتماعية بما هي المجال الحيوي ، الذي تتشكل فيه و به الصراعات هي الشروط التي ينتج الناس فيها ، و يعيدون انتاج شروط وجودهم و هي حقيقة مفارقة لحقيقة الممارسات .

فالهيمنة تشترط التواطؤ مع شرعيتها و احتياف ادواتها التي بها تمارس و تشحن وظائفها لدخول حلبة الحقل التي يدار التنافس حول حظوظ التمكّن فيه الا ان اعتبارية الهيمنة

و تعسفها يجعلانها و تحت وقع قعقعة الصراع ، مرغمة على تعميق هيمنتها و تكثيف

رموزها و تجسيدها بزرع اشكال جديدة مرزمة معقدة مقننة و مؤسسة طقوسها حتى لا

تنفلت مسلمات الهيمنة الهشة ، و تدركها قوى النقص ، فتطفو الى السطح وينحل ما كان

معقودا و ينفك ما كان مترابطا ، فاذا السلطة حطام ، و النظام فوضى و الهيمنة عبث

هذا الاخصاب المتواصل للهيمنة يخلص الى تفتق و عي مشيا يحصد ذهنية مسودية

تتعري في سلوك و موافق امثالية تصبغ الشرعية على الهيمنة و تحول دون فكها .

كما يرى ان سلطة عنف رمزي ، اي كل سلطة تطال فرض دلالاتو نظام فرضها على

انها شرعية ان توارى علاقات القوة ، التي منها مقام الاس لقوتها ، انما تزيد الى

علاقات القوة تلك تلك قوتها المختصة بها ، اي تحديدا قوتها الرمزية . كما يؤكد بورديو

ان نجاعة السطة الرمزية تكمن في قدرتها على فرض سلمي و هادئ لتعريفات شرعية

لطقوس بها تكرر المؤسسات اختلافات حقيقية او مفترضية ، و تبني ترتيبات اجتماعية

ان ما جعل هذه الطقوس ناجعة اضافة الى الشروط الشكلية لتحقيقها هو وجود معنى لدى

من تتجه اليهم استعدادات للاعتراف بالطقوس¹ .

¹ بيار بورديو ، جان كلود ياسرون ، اعادة الانتاج ، مرجع سابق ذكره ، ص : 87 .

ومنه نصل الى ان بورديو قد قدم مفهومه عن تاسيس العلاقات الاجتماعية و التي اعطاها كلا نهائيا في كتابه (الحس التطبيقي) 1980 ، و هو يرتكز الى معطياته عن منطقة القبائل ليبرهن ان الاحداث هي نتاج الحس التطبيقي فالبشر المعنيون يتمتعون بطباع خاصة ، انساق ادراك و تقييم و تصرف ، هي نتاج لتمثل البنى حيث تتيح لهم وضع خطط و تصورات .

ان هذه النظرية المطبقة في مجالات القرابة و اقتصاد الهبة تدل على قطيعة مع التفسيرات التي تشدد على نظام قواعد يمكن ان يكون في اساس الممارسات التطبيقية¹ . و يرى بورديو وان تبادل الهدايا يعتبر مولدا للعنف الرمزي ، كما يرى انه النمط الاكثر اقتصادا للهيمنة .

و يرى كذلك ان تبادل الهدايا يولد تراكم الراس مال الاجتماعي ، و ذلك من خلال المكانة و السلطة الرمزية و الالتزامات التي تتولد عن التبادل ، و ذلك من خلال الافعال الاستراتيجية المولدة عن هذه العملية ، تؤدي في النهاية ما يعرف بالعنف الرمزي كما يرى بورديو انه لا يوجد اي مجتمع خالي من مظاهر السلطة و العنف الرمزي ، بما في ذلك مجتمعات السكان الاصليين .

و منه فان تبادل الهدايا يدخل في اطار الممارسات الروحية و كذا المتعلقة بارادة الهياطل الاجتماعية ن حيث ان الاولى اجتماعية محظ ، اما الثانية فانه يرى انها تتعلق بالممارسات العملية و التبادلات الاقتصادية لغرض الهيمنة و السلطات² .

و منه فقد توصل بورديو الى ان المفوضين بامكانهم فرض منتجاتهم الثقافية و الرمزية كعنف رمزي داخل الجماعة³ .

حيث ان مفعولية الهيمنة تزداد كلما ازداد الجهل بالياتها الرمزية و الخفية ، و تستمد قوتها من اختفائها و تواريها ، و من ثمة تظل حقيقتها غائبة ، و هنا تتحدد الوظيفة الاساسية لعلم الاجتماع⁴ .

وفي الاخير يمكن ان نلخص اهم افكار هذا العملاق و السسيولوجي في النقاط التالية :

¹ ابراهيم عيسى عثمان ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،، مقالة حول نظرية السلطة الرمزية عند بيار بورديو عمان ، الاردن ، ط 1 ،

² PEIRE BOURDIEU, SLECTION FROM THE LOGIC OF PRATIC THE LOGIC OF THE GIFT

.TOWORD AND ETHIC. LONDON. P P 130.230.

³ محمد بقوح ، رابطة جدل الثقافة .

⁴ بيار بورديو ، مقالة حول الراس المال الثقافي ،

- حيث انه ينتمي الى التيار التحليلي النقدي و ركز على :
- ✓ اصلاح احوال التعليم لاجل تحقيق العدالة .
 - ✓ اعتمد القطيعة الابستومولوجية ، و حاول التوفيق بين علم الاجتماع الفهمي و علم الاجتماع الوضعي ، بوضع قوانين الملكة السسيولوجية او (الهابيتوس)
 - ✓ اعتمد المدى الاجتماعي كنوع من الصراعات الاجتماعية الطبقيية بعيدا عن المحتوى الماركسي ، بل من خلال الهابيتوس و اعادة الانتاج و العنف الرمزي او الراس مال الثقافي.
 - ✓ ركز على سلوك الفاعلين ، لانهم معيدي انتاج البنية .
 - ✓ ركز على تعليم النسق ، وذلك بالكشف على تفاعلاته الداخلية و الخارجية (العمليات الرمزية و الايديولوجية و السلوكات الفردية التي يحددها النسق .
 - ✓ يعرف الهابيتوس انه مجموعة من الاستعدادات المكتسبة و تصورات الادراك و التقييم التي طبعها المحيط في الفرد ، حيث ان الفرد من خلالها يحاول معرفة مستواه الاجتماعي .
 - ✓ يرى ان الهابيتوس هو موجه للسلوكات الفردية في البنية الذهنية ، فهو يضفي الشرعية على الترتيبات (الصراع الطبقي - التمايز - العنف - الرمز الثقافي)¹.
 - ✓ درس عملية اعادة الانتاج من خلال دراسته للنسق (المدرسة) .
 - ✓ اعطى اهتماما كبيرا لمفهوم الراس مال الثقافي ، حيث يرى انه اشدت عمقا و رسوخا من الصراع المادي ، فهو يضفي التمايز داخل طبقة واحدة (السلطة الرمزية) .
 - ✓ درس الحقل ، و يرى ان هناك صراع داخل الحقل و بين الحقول ، و داخل هذه الحقول هناك ما يسمى بالسلطة الرمزية بين المفوضين.
 - ✓ اعتبر المجتمع عبارة عن حقول مستقلة بعضها عن بعض نسبيا ، و كل حقل له وظائفه و الياته و طرق اشتغاله ، لانه جملة من العلاقات الموضوعية (سلطة - تبعية - تطابق) بين مجموعة من الاوضاع بفعل المفوضين .
 - ✓ العنف يصيب نفسية الانسان و تقتل فيه روح الابداع (التدهور . الطيش ... الخ)

¹ علي عبد الرزاق حلي ، اتجاهات اساسية في نظرية علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ص 125

و هنا يعاد انتاج الحقول اليا بفعل الصراع .

✓ كما يرى ضرورة قيام الباحث الاجتماعي بتحليل عمله و نشاطه تحليلا انعكاسيا (ذاتيا) ، و هذا التحليل يجعل الباحث يستعمل الاكتشافات المترتبة عن ممارسة العملية ليغربل دوره ، و ليكشف العوامل الناتجة عن تاريخه الشخصي .

✓ اشتغل بيار بورديو بالعمل الامبريقي (مقارنة بجدنز) المنتظم و التنظير النقدي و قال مقولته الشهيرة (النظرية بدون بحث امبريقي خواء ، و البحث الامبريقي بدون نظرية هراء .) .

✓ قدم بورديو اسهاما ملموسا في الجدل الدائر حول علاقة بين البناء و الفعل .¹

4 - تقييم نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو:

ان الاحتكاك الثقافي لبورديو بالمجتمع الجزائري كانت له نتيجة ايجابية متمثلة في توضيح مجال اهتمامه بالدراسات الاجتماعية للمجتمع و بذلك اثراء الفكر الاجتماعي فيما يخص مفاهيم جديدة كالتطبع و الحقل و راس المال الرمزي و الاجتماعي بالاضافة الى تطوير ادوات البحث الاجتماعي

- ما يلفت الانتباه ان بورديو كانت دراساته الاولى في الجزائر تتشابه و دراسات ابن خلدون ، اذ سبق له و ان درس نفس المنطقة في مقدمته ، كما ان موضوع الدراسة كان واحد ، و هو حول القبائل في شمال القرة الافريقية . ومنه نتوصل الى اجراء مقارنة بين الباحثين :

مقارنة دراسة ابن خلدون وبيار بورديو للقبائل الجزائرية :

*² ابن خلدون يرى ان الدعوة الدينية راس مال رمزي و ذلك في قوله : (ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او بولاية او اثر عظيم من الدين) ، كما اهتم بورديو كذلك بموضوع الجاه او الهبة في الحياة القبلية باعتباره راس مال رمزي . كما استطاع بورديو عبر ابحاثه و دراساته الميدانية ان يتجاوز الثنائية التقليدية التي سيطرت على النظرية الاجتماعية لوقت طويل و هي ثنائية الذات و الموضوع من خلال مفاهيمه

¹ السيد عبد العاطي و اخرون ، نظرية علم الاجتماع (الاتجاهات الحديثة و المعاصرة) ، دار المعرفة الجامعية ، 2004 ، ص: 148

² شحاتة صبيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ذكره ، ص: 181

الاساسية في فهم الواقع الاجتماعي ، كما سعى الى انتاج معرفة سسيولوجية تتمازج فيها المعرفة النظرية مع البحث الامبريقي .

ان استلهم او قل استعارة بورديو اطره المعرفية سواء من الفكر الماركسي او البيموي و حتى من الفكر الفيبري جعله يرتكز في اعماله على كيفية تجدد البنيات ، و كيفية اعادة انتاجها .

فضلا عن التركيز على سلوك الفاعلين باعتبارهم مسؤولين عن اعادة انتاج اوضاعهم و حيث ان سبق يكشف عن استعارة بورديو من اطروحة الفينومينولوجيا الخاصة بفهم قصد الفاعلين و اطروحات البنيوية في كشف العلاقات بين البنيات المختلفة ، وفي فهم الذات فان ذلك جعله يضع ثلاثة مفاهيم رئيسية : هي نسق المواقف ، الهابيتوس و اعادة الانتاج الاجتماعي فان صياغة مثل هذه المفاهيم جعلت بورديو يهتم بالكشف عن طبيعة نسق العلاقات التي تنظم الموضوع قيد البحث ، اذ من خلالها يتم الوقوف على العلاقات الداخلية الجديدة التي عن طريقها يمكن الوصول الى تحليل و تفسير وظائفها عن طريق ما يسميه بعملية الاسقاط و التعليم و التطوير .

كما وضع بين ايدينا النتائج العملية و الرمزية للنسق بشكل كلي من خلال الواقع الممارس – او من خلال المواقف التي تشكل اوضاعهم ومن ثمة فهم لا يدركون انهم مقهورين .

لذا نجدهم يتعرفون بعيدا عن هذا الادراك ، الامر الذي يجعلهم يمثلون ادوارا هم غير مسؤولين عن صياغتها ، انهم في ذلك يتصورون انهم يصنعون تاريخهم بينما العكس هو الصحيح ، اذا ان تاريخهم تتم صناعته بعيدا عنهم او من خلف ضهورهم .

و الجدير بالتوضيح ان بورديو من خلال ما يطرحه يسعى الى تحليل النسق باعتباره جزءا ، و هو في ذلك يرى ان بنية النسق هي الاكثر واقعية وان التحليل تبعا لذلك يمثل مرحلة تمهيدية لتحليل كل نتائج النسق العام و كذلك يرى ان ثمة مرحلة اخرى تعمل على تحديد كل الحلقات المترابطة مثل العملية الرمزية و الايديولوجية و كل السلوكيات الفردية ، فانه في هذا الصدد يرى ان البحث ما هو الا عملية تشكيل جديدة ، او هي

عملية بناء تسعى الى تعيين مجموعة من العلاقات و الادراكات و الوسط الذي يفرز هذه الادراكات و الموافق الهابيتوس المسؤولة عن انتاج تصرفات .

و في اطار ايمان بورديو بان السمات او العادة الثقافية هي التي تشكل دوافع و اهتمامات و سلوكيات الافراد فانه يرى ان العملية الثقافية التي تجعل من المقهورين خاضعين لظروفهم و اسيرين للممارسات و الافكار السائدة . ماهي الابريهات ذلك

الذي حذاه الى استخدام ما يسمى بالعنف الرمزي الذي هو من وجهة نظره ما هو الا نوع من التشويه الثقافي الذي يحيا بين جنبات الخاضعون بشكل مقبول و مدعن .¹

فلقد حاول بورديو من خلال مفهوم العنف الرمزي ان ينظر من خلال رؤية ضيقة استطاع ان يجد من خلالها الواقع المعاش الذي فرض خضوع فئات بعينها في ضوء بنى اجتماعية محددة ، انه فرض في ضوء هذا الفهم ، فان بورديو يرى ان الناس لا تدرك اطار شبكات العلاقات الشخصية المباشرة²

و لقد اختار بورديو لفظ الهابيتوس كونه يدل على المكتسب الثقافي (الاجتماعي و التاريخي) ، و قد اصبح بعد استبطانه بفعل التنشئة الاجتماعية في الاسرة و المدرسة و مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة (طبعة ثانية للانسان) و سلوكا

فرديا ، فان الهابيتوس يدل على استعداد الفاعل و قدرته ،كلما واجه موقفا و اوضاعا مالوفة او غير مالوفة على اعادة انتاج نماذج من الافعال (خطابية كانت او غير ذلك) بطريقة الية للابداع فيها و لابتكار و ارجال عكس ما تدل عليه كلمة هابيتوس التي تشير فضلا عما تدل عليه كلمة الهابيتود الى استعداد الفاعل و قدرته الدائمة³

اضافة الى ذلك فان بيار بورديو لم يكن الاول الذي تطرق الى مفهوم الهابيتوس ، فقد كان مارسيل موس سباقا عنه في ذلك ، حيث اشار اليه⁴

كما يعيب النظرية ان نظرة بورديو المحدودة للجوانب الذاتية في الممارسة ، و يذهب نيكولاس موزاليس الى ان بورديو على الرغم من تضييره الذاتي بالموضوعي ، فقد كبل

¹¹ عبد السلام حيمر ، في سبيلولوجيا الخطاب ، مرجع سابق ذكره ، ص : 398 .

² شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ذكره ، ص : 181 .

³³ عبد السلام حيمر ، في سبيلولوجيا الخطاب ، مرجع سابق ذكره ، ص : 398 .

⁴⁴⁴ جون لينتسه ، خمسون مفكرا معاصرا ، مرجع سابق ذكره ، ص : 66 .

الفاعلين بقيود حتمية ، تجعل من الصعب عليهم ان يميزوا الشروط الموضوعية المفروضة عليهم .

كما ان بورديو لم يعطي اهمية كبيرة سوى الى التعليم ، ثم عاد وشدد على تحكم الجماعة المسيطرة على باسلوب سحد من قدرة الافراد و الجماعات على تغيير الاوضاع السائدة ، و يتفق هذا النقد كريغ كاليهن ، الى ان (بورديو ترك اسئلة مهمة لم يجب عنها في نظرية الممارسة ، فقد ذكر كثيرا كيف يعيد التعليم انتاج الوضع الطبقي ، و تجاهل مبدا تكافؤ الفرص ، و جدارة الافراد .

كما ان العلاقة بين الهابيتوس و العادة ، من العلاقات الغامضة في نظرية بورديو و احدى نقاط ضعفها ، فبورديو لم يوضح بشكل كاف كيف تتولد الممارسة الجديدة ، او بمعنى اخر كيف تنطلق التوليدية للهابيتوس

و ركز في تحليلاته على حالات التي تتعطل فيها هذه الطاقة ، او الحالات التي تتوقف فيها قدرة الافراد عن محاولة تغيير واقعهم، و افاض في توضيح كيف يعيد الفاعل انتاج المحتوى الموضوعي ذاته الذي ليس له عليه سيطرة ، و بسبب هذا الغموض يذهب بعض النقاد الى القول بحتمية بورديو في تصور شروط اعادة الانتاج وتشاؤمه حيال التجديد .

و يمكن القول ان نقطة الضعف ، في هذا الجانب من نظرية بورديو ، ترجع الى غموض فكرة الاستعدادات التي يكتسبها الفرد في اطار الاسرة ، فالاستعداد هو الطريق لتوليد الممارسة المغايرة او الجديدة ، ولكن كيف تنشأ هذه الاستعدادات ؟ وهل هي نفسية ام اجتماعية ؟ او هل هي جدارة فردية ام جماعية ؟ . هذه الاسئلة لم يقدم لها بولرديو اجابات حاسمة ، و على الرغم من ذلك ، فلا يمكن القول ان بورديو لم يكن واعيا بهذا التضافر ، لان مفهوم الهابيتوس لديه يثبت العكس ، غير انه قلل من اهمية العامل النفسي و القيمي لدى الفرد ، و اعتبره عاملا ثانويا في تراتبية القوة .¹

¹ جون ل. ب. تشه ، خمسون مفكرا معاصرا ، مرجع سابق ذكره ، ص :66

و يبرز ان بورديو قد استلهم ن ماركس فكرة التشكيلة الاجتماعية و قلبها راسا على عقب ، فانه نهل ايضا فكرة العلاقات الرمزية بين الطبقات من بحوث شتراوس حول القرابة ، و التي فيها غاية الكشف عن الانساق المستترة للعلاقات و اليات تنظيمها¹

6-استنتاج :

و بالتالي فالرمز الثقافي كالهديّة ، تفرز ما يعرف بالعنف الرمزي على حد تعبير بيار بورديو ، باعتبارها اخذت طابع الالزامية في المجمعات ، و هذا ما سعى الى تكريس التمايز ، و اعادة انتاج الحقول الاجتماعية بطريقة الية ، و من هنا يحدث التغير . و اذا كان بورديو قد نظر الى الطبقات الاجتماعية على خلاف ماركس ، و في اطار الفهم الابستمولوجي ، قد نظر كذلك الى المعاني و المنافع و السيطرة و العلاقات الرمزية .

و في اطار هذا نحاول ان نعرف التشكيلة الاجتماعية كنظام لعلاقات النفوذ بين الطبقات الاجتماعية ، و في اطار وجودها او عدم وجودها في البناء الاجتماعي و الاقتصادي . و كما هو معروف وبطبيعة الحال ان بيار بورديو اعطى اولوية بارزة لدور الذات او الفاعل في عملية انتاج و اعادة انتاج العلاقات الاجتماعية من خلال الممارسات اليومية العملية في اطار الفضاء او المجال الاجتماعي بحد تعبيره ، و المقسم بدوره الى حقول تعمل جاهدة من خلال وحداتها (المفوضين) على الاستمرار في عملية الانتاج و هذا من خلال الصراع بالمفهوم الثقافي و ليس الاقتصادي ، حيث ان المفوضين داخل الحقول هم في نشاط مستمر لتطوير الحقل ، و الا سوف يصبح الحقل عقيما و يتعرض الي عنف و سلطة رمزية من طرف حقول اخرى ، لانه يصبح خالي من مؤشرات التغير الاجتماعي و يستورد ممكناته الثقافية من الخارج ، لان التغيير براي بورديو من الداخل و ليس مفروضا من الخارج .

¹ شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 178 .

و هذا الانتاج الداخلي للحقول يولد بدوره خبرة ، لتصبح كلها ممارسات يومية معروفة لدى المفوضين ، يستمدها الافراد من احتكاكهم اليومي داخل و خارج الحقل الاجتماعي سيكون هابيتوسا من خلاله يمارس الافراد تفاعلاتهم الرمزية ، لانها تعتبر كنموذج لمعرفة كوضوعية من خلالها الافراد يكتسبون راس مال ثقافي يحكم الممارسات الاجتماعية .

و قد طرح بورديو موضوع الهدية المتبادلة بين الافراد في المناسبات ، موضحا مدى الالتزامات الموضوعية التي تحكم هذا النوع من العلاقات الاجتماعية ، لان بورديو اعتبر الهدية وسيلة لاثبات المكانة الاجتماعية المرموقة ، و العز و الجاه ، و لبنة اساسية في ممارسة العنف الرمزي بين المفوضين من داخل و خارج الحقل ، فعند اهداء فرد هدية ثمينة افرد اخر فيرى بورديو هنا الزامية رد الهدية بقيمتها او اكثر ، و هذا ما يجعل الطرف المهدي له يخضع لسلطة رمزية من طرف الفرد المهدي حتى يرد لها او يرد اكثر منها ، و هذا ما كان في وجهة نظر بورديو تاكيد للهرمية الاجتماعية ، و مولدا للعنف الرمزي ، و هذا ليس هو المقصود الوحيد لبيار بورديو ، و انما يرى في تبادل الهدايا كذلك فعل لتوطيد و تماسك العلاقات الاجتماعية ، حيث يرى ان المعرفة الاستراتيجية او الاخطاء كما يسميها تعتبر مضادة للنموذج الاجتماعي ، و هذا ما ابداه بوضوح في قوله :

(الاستراتيجية تسمح للفرد بالتدخل ضد النموذج ، لان المعرفة الموضوعانية حسب رايه تجعل النموذج اكثر صرامة لمتابعة الممارسة العملية ، خالي من محركات التغيير و هذا ما وقع فيه الرعيل الاول من اصحاب المدرسة البنيوية .

وفي مجمل الكلام توضح ان بورديو يرى التحول او التغيير الاجتماعي اساسه صراع نسبي مقسم بتصنيفات رمزية لاثبات الهرمية الاجتماعية من خلال تنافس المفوضين داخل المجال الاجتماعي و الثقافي ، و في اطار اللعب الاجتماعي (الهابيتوس) و هذا ما يطبق و بشكل بارز في تبادل الهدايا لتأكيد التمايز الاجتماعي ، فالثقافة هنا تحمل في طياتها خلفية سياسية واضحة (التدرج الهرمي الاجتماعي) هذا من جهة .

و من جهة اخرى يرى كذلك ان الافعال ليست بالضرورة ناجمة عن معرفة استراتيجية بل احيانا يكون مصدرها الحس المشترك للجماعة في اتباع العادات الراسخة او المنقولة من التحولات الاجتماعية ، لكن مع تنظيمها و ممارستها تلبس ثوب الاستراتيجية .
فيرى ان هذه الممارسات تتم في مجالات من الصراع في المجتمع الحديث و حتى لدى السكان الاصليين ، لكنها تتكامل فيما بينها لانتاج و تدوير و استهلاك المعرفة و الموارد الثقافية و المادية على حد سواء .

ثالثا : النظرية النقدية ليورغن هابرماس

1- هابرماس و مفهوم النظرية :

يعد هابرماس علامة فارقة في الحياة الفلسفية الالمانية المعاصرة ، لانه رائد الخطاب النقدي الفلسفي منه و السياسي على حد سواء ، كما انه الصوت الاكثر حضورا و تأثيرا على الحياة الثقافية الالمانية منذ اكثر من 50 سنة ، حيث وصل هابرماس الى درجة الشهرة و التأثير العلمي ، حيث لم ينجح الرعيل الاول من ممثلي النظرية النقدية الاجتماعية المعروفة في حقل الفلسفة المعاصرة بمدرسة فرانكفورت نظرا لاتخاذها معهد الابحاث الاجتماعية في فرانكفورت مركزا لها في الوصول اليها ، فعلى الرغم من الثقل العلمي لافكار الجيل الاول (هوركهايمر - ادورنو - ماركوز - ايرك فروم ...) الا ان هابرماس هو الفيلسوف الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد السياسي و الثقافي في المانيا كفيلسوف الجمهورية الالمانية الجديدة .

حيث ولد هابرماس في مدينة دوسيلدورف (عاصمة ولاية شمال الرين حاليا) عام 1929 و ترعرع في احضان اسرة من الطبقة الوسطى في الكجتمع الالمانى ، حيث اثرت هزيمة الرايخ الثالث و ما تبعها من كشف عن الوجه البشع للحقبة النازية تأثيرا كبيرا على تنشئة هابرماس الاجتماعية و هو الذي دفعه بوصف نفسه بانه نتاج اعادة التربية الذي شهده المجتمع الالمانى ¹.

¹ البياتي ياسر خضير ، النظرية الاجتماعية جذورها التاريخية و روادها ، مرجع سابق ذكره ، ص : 78 .

حيث كان هابرماس احد اقطاب حركة الاصلاح الالمانى النقدية من اجل تحرير الذات الالمانية من الايديولوجيا النازية الفاشية ، و بجانب ابرز المحاور التي تهتم الانسان الحديث مثل دور افرد و اليات السيطرة و ازمة الفرد و وهم حرية ما بعد الحداثة و كيفية التحررى من قبضة المؤسسات التي تمسخ الروح و الجوهر الانساني ، الا ان اطروحته الفلسفية المعروفة بالخطاب النقدي الخالي من الهيمنة تبقى الاطروحة الاكثر تأثيرا ، فهابرماس يشدد على ان الفعل الديمقراطي التواصلي لا يستطيع ان يحصل على مشروعية حقيقية قائمة على سلطة العقل الا في اطار خطاب نقدي خال من الالتزامات و القيود السلطوية و هو يعلل ذلك بقوله : الفعل التواصلي يمثل في الوضع المثالي خطابا ناجحا حتى في حالة انعدام ايم ممارسة لا تستند الى اي اجماع ¹.

و قد ارتبط اسم هابرماس بالنظرية النقدية بشكل كبير ، حيث كان النقد اهم خاصية تسم الفكر الفلسفي المعاصر ، لكن مقصوده بالنقد مختلف كثيرا عن اسلافه ، و هو الاختلاف الذي يبدو واضحا في تصنيفه الخاص لانواع المعارف و غاياتها الفلسفية و الاخلاقية و صاغها في ثلاثة انواع :

المعرفة العلمية التجريبية التحليلية و هدفها السيطرة على الطبيعة لصالح الانسان و عمادها في ذلك العقل الاداتي المصلحي التقني ، و ثانيها المعارف العملية ممثلة في العلوم التاريخية و التأويلية و التي تكون غايتها تحقيق التواصل و التفاعل بين الناس في اطار عمومي و عمادها العقل التواصلي (اللغة مثلا) و التي هدفها تمكين الناس في التحكم في دواليب (العلوم الاجتماعية و الفلسفة) و ثالثها المعارف التحريرية و هي تحرير السلطة و المجتمع من الاستلاب بمعناه العام و عمادها العقل النقدي ، حيث ان كل العلوم تحقق التفاعل الاجتماعي اذ ان النقد هو افق المعرفة و الفكر و جعل من الارادة مسلمة لصنع التاريخ .

حيث يكشف هابرماس بان همة النظري و غاياته الفلسفية مندرجان في لطار النوع الثالث من المعاف و هو (العقلانية النقدية) .

¹ عمر معن خليل ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، مرجع سابق ذكره ، ص : 96

يعتبر هابرماس الوريث الشرعي لمدرسة فرانكفورت ، تتلمذ على يد ادرونو فاخترلف في تكوينه النظري و المعرفي عن سابقه ، فتميز بالدقة و العمق النظري في المسائل النظرية ، فالمدرسة التي كان ينتمي اليها ماركسية محدثة ، الا انها احدثت قطيعة باستبدالها العامل الاقتصادي بالعامل الثقافي و الوعي ،

حيث ميز هابرماس بين نوعين من اشكال الفعل العقلاني ، حيث جعله يرى ان الاول ياخذ شكل الوسيلة (اي الموجه نحو النجاح و الفهم الانعكاسي)¹ و تكون العلاقات الاجتماعية ، و هو في ذلك يرى ان كلا من النوعين السابقين ينمو بطريقة غير طبيعية في سياق التاريخ البشري ، و لكن ما اتاح الفرصة لاثارة الاشكال المتصارعة ، فانه يتم تكامل التفاعل الاجتماع من خلال عمليات الاتصال التي يسعى من خلالها الافراد الى الفهم المتبادل .

وَمَا نود التركيز عليه هو ضرورة التمييز بين العلاقات الاجتماعية المباشرة او غير المباشرة وفق منظور بنائي سسيولوجي نستطيع من خلاله ان نقارن اشكال التكامل التي تسود المجتمعات الانسانية .

ان محاولة تفسير نماذج التكامل الاجتماعي عن طريق تغيير التوجيهات نحو الفعل الاجتماعي ، فان ذلك سوف يخفي عن رؤيتنا طبيعة النماذج المختلفة للعلاقات الاجتماعية الملموسة ، و ذلك باعتبار ان هذه العلاقات الاجتماعية الملموسة تعد نوعا من اليات التفاعل الاجتماعي .

و اذا كان ما سبق يتضح بشكل جلي في اطار الحياة اليومية فان ذلك يختفي في المقابل عن الحياة التنظيمية ، و هذا ما جعل هابرماس يركز على التفاعل المباشر خاصة العلاقات الاولى باعتباره سببا رئيسيا من الناحية الانفعالية في معظم المجتمعات الحديثة و التي توجد بشكل مباشر في اطارها التنظيمي ، اي ان الانسان له علاقة مباشرة مع الاسرة و الاصدقاء و الجيران و في العمل و حتى مع الناس الذين لا يتفاعل معهم كثيرا مثل موضفي البنوك و المدرسين .

¹ الانعكاسية لدى بورديو تعني النقد الذاتي المستمر لمراقبة الظروف الاجتماعية التي تجعل من العمل السسيولوجي ممكنا

ان تفسير مثل هذه العلاقات الاجتماعية ترتبط بشكل كبير بعملية الادراك و الوعي و الخبرة الفردية.¹

2-مبادئ النظرية النقدية ليورغن هابرماس :

ركز هابرماس على :

✓ درس و نقد المجتمعات الحديثة المسيطرة على الفرد بالهيمنة البيروقراطية و التكنوقراطية .

✓ حاول التوفيق بين الفلسفة و النظرية الاجتماعية ، حيث بدأت تبتعد عن مسالة العمالة ، و تمسكت بالدور التاريخي للطبقة العمالية و حاولت الربط بين النظري و الامبريقي .

✓ قسم الفعل الانساني الى قسمين :

❖ الفعل العقلاني الغرضي : الفاعل يقوم عقلاني له هدف شخصي

و ليس عام (مصلحة – انانية) لتطوير المعرفة الشخصية لديه .

❖ الفعل العقلاني الاتصالي : بعد انتشار الفعل العقلاني الغرضي انتشر

التشاؤم في المدرسة ، فتوصل يورغن هابرماس الى فكرة ضرورة

وجود فعل تواصلي لتكامل و انسجام العلاقات الاجتماعية ، و لاجل

التغيير الاجتماعي .ومن هنا يحدث التغيير .

✓ اعطى اهمية كبيرة للغة و التواصل و الفهم المشترك في انتاج و عي حقيقي

✓ لا ينفى العامل التاريخي بل استبدله ببعدي الزمان و المكان في تحريك عجلة التغيير .

✓ اعتمد على تحليل الوحدة الصغرى للمجتمع (تحليل ميكروسيولوجي)

✓ نفى الحتمية المطلقة و ابرز دور الفاعل .

✓ الحرية عند هابرماس لا تعني الاغتراب مثل الماركسيين الاوائل بل الحرية تحقق

الوضعية المثالية .

✓ يرى هابرماس ان منتوجية الحياة الاجتماعية و الانسانية تعتمد على اللغة ، و كل رمز

له معنى للتواصل و هو منتوج ثقافي و عملية ثقافية تؤدي الى التحاور و التواصل و الفعل

¹ شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ذكره ، ص : 186 .

التواصلي ، ثم الى العمل العقلاني ، ليحدث الفهم فالحوار المثالي ليحقق مبدا الحرية و الديمقراطية ، و هنا يصبح هذا الفعل نواة الخير العام الذي يتسع الجميع .

✓ نقد هابرماس الوضعية ، حيث يرى ان الانسان بإمكانه احداث التغيير من خلال الوعي الحقيقي و ليس الوعي الزائف و ن طريق (النخبة المثقفة) لانه ليس كل الافراد فاعلين اجتماعيين ، لان شرط التغيير بالنسبة له يكمن في :
الوعي .

✓ القدرة على انتاج المعاني و المعارف الجديدة و المناقضة للراسمالية المحتكرة .
لقدرة على التأثير.

✓ كما يرى هابرماس ان للفاعل الحق في اختيار وسيلة التفاعل للوصول الى الهدف المراد ، و هذا ما نقد به الوضعية و الحتمية .

✓ كما يرى ان التفاعل التواصلي و الثقافي له علاقة فس تشكيل الهوية الفردية و علاقات الفرد الاجتماعية¹.

¹ البياتي ياسر خضير ، النظرية الاجتماعية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 79

مخطط نظرية الفعل التواصلي ايورغن هابرماس¹

اللغة	السلوك الاتصالي	الفعل العقلاني	التفاهم
اي كل رمز	الفعل التواصلي	العقلانية العملية	اتجاه ادائي يتبناه
له معنى وهو	يتمثل في محور	تمثل الفعل العقلاني	المشتركون في التواصل
وسيلة تفاعل	التفاعل	يفرض عليه ما يفعله	و ينسقون مشاريعهم
انساني و هي		و ما يسلكه في ظل	بالاتفاق فيما بينهم
بالنسبة لهابرماس		ظروف و شروط للاختلاف	على امر موجود .
عامل التغيير		الاجتماعي و الثقافي	و يعود هابرماس الى
الاجتماعي.			التواصل الفكري بين
			الفاعلين لان الفعل التواصلي
			هو اتجاه ادائي يتبناه
			المشتركون
			و ارادة
			التواصل و يتطلب وعيا
			لتحقيقه بين الافراد.

¹ المخطط من اعداد الطالبة بالتنسيق مع محاضرة الاستاذ محمد المهدي بن عيسى .

خلاصة الفصل :-

فبعد عرض هذه النظريات السسيولوجية و التي كانت تختلف في رؤاها و تفسيراتها ومضامينها التحليلية فهناك من ركزت على التفاعل و التواصل و الانسجام ، و هناك من ركزت على السلطة و الثقافة في اطار الفعل في الفضاء الاجتماعي ، و هناك من ركزت على تقسيم الفعل بصنفيه التواصلية و الاستراتيجية الغرضية فكانت التفاعلية الرمزية نظرية لدراسة الافراد ، خاصة بالفعل الاجتماعي و لا تحاول في لوضح اشكالها ان تصبح نظرية للمجتمع كبنية او نسق او وظيفة ، و تفسيرها للفعل جاء كاختيار مقصود من اجل استيعاب بعض تعقيدات مواقف الحياة اليومية ، كما انها احد البدائل النظرية التي اعطت تصورا جديدا حول علاقة الفرد من خلال المجتمع ، معتمدة في ذلك على وحدة التحليل و المتمثلة في الفعل الاجتماعي المولد للتفاعل الذي فسرتة بالرموز و المعاني ، كما بينت ان المجتمع هو محصلة العلاقات الاجتماعية المتفاعلة بين العقل البشري و الذات البشرية للاخرين ، و حصرت عملية التغيير الاجتماعي في هذا المستوى .

اما بيار بورديو فقد تناول الموضوع من وجهة نظر اخرى ، فحصر التغيير بتجدد البنى الاجتماعية (الانتاج و اعادة الانتاج) في اطار الفضاء الاجتماعي المكون من الوحدات التفاعلية المتصارعة ثقافيا رمزيا و اجتماعيا ، تتجدر تلك المومرد الثقافية في الذات من التنشئة الاجتماعية و الثقافية للفرد و تشكل لديه هابيتوس ، لتجعل منه مفوضا في الحقل يمارس سلطته و عنفه الرمزي من خلال ذلك الهابيتوس ، حيث يمكنه من فرض منتجاته الرمزية و الثقافية داخل و خارج الحقل ، و هكذا تتشكل عملية الصراع الرمزي من خلال مقاومة التغيير ، لتنتج نمطا متميزا من العلاقات ، و هذه العلاقات بدورها تنتج واحدة اخرى وهكذا دواليك .

فالتغيير لدى بورديو اساسه الفعل الذي يصدر من المفوض المشبع بالممكنات الثقافية التي تمكنه من ذلك ، في اطار عملية الممارسة العملية اليومية المتكررة .

اما يورغن هابرماس فقد قسم الفعل الانساني الى قسمين ، فعل عقلائي غرضي له اهداف و مصالح استراتيجية تخدم مصالح الفرد الخاصة ، و فعل عقلائي تواصلي تكاملي لانسجام العلاقات الاجتماعية حيث ركز على اللغة و التواصل و الفهم المشترك في اطار العامل التاريخي ، كما اعتمد هو الاخر في تحليله السوسيولوجي على التحليل الميكروسوسيولوجي فاعطى اهمية كبيرة لدور الفعل و الفاعل في العملية التفاعلية الاجتماعية في نطاق حريته النسبية ، كما ابرز الدور الكبير للمثقف و النخبة في احداث التغيير ، و الاله من ذلك كله الحق الذي اعطاه هابرماس للفاعل في اختيار الوسيلة التي يتفاعل بها للوصول الى هدفه و هذا ما نقد به الوضعية و كذا ناسب الدراسة ز المقاربة بشكل جد ملائم في اختيار الهدية كوسيلة تفاعل و تواصل بين الافراد ..

الفصل الرابع
الدراسات السابقة في التفاعل
الرمزي و التهادي

. مقدمة

1. التعريف بالهدية
 2. الدراسة الأولى : نظام البوتلاتش لمارسيل موس
 3. الدراسة الثانية : دراسة برونسلا مالمينوفسكي عن الكولا
 4. الدراسة الثالثة : دراسة بوهانان عن قبائل التيف
 5. الدراسة الرابعة : دراسة سوسبري عن قبيلة السيانة
 6. الاستنتاج العام من الدراسات السابقة
- . خلاصة الفصل

مقدمة :

مما لا شك فيه أن للهدية في حياة الأفراد و الشعوب تأثيرا على الروابط و العلاقات الاجتماعية كونها تتكرر في كل يوم و في كل المناسبات الدينية و الاجتماعية و غيرها .

و بالهدية يتم استجلاب المحبة و الثبات المودة و إذهاب الحقد و الضغائن و تأليف القلوب .

و الهدية دليل على الحب و صفاء القلوب فيها و إشعار بالتقدير و الاحترام ، و في ذلك قال الرسول صلى الله عليه و سلم و حث على التهادي و على قبول الهدايا فقد روى البخاري في صحيحه ¹ و له شواهد عن عائشة رضي الله عنها قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقبل الهدية و يثبث عليها ، و في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله إذا أوتي بطعام سال عنه أهديه أم صدقة ؟ فان قيل : صدقة قال لأصحابه كلوا و لم يأكل و إن قيل هدية ضرب بيديه فأكل معهم ².

وقال صلى الله عليه و سلم : (أجببوا الداعي و لا تردوا الهدية و لا تضربوا المسلمين)³

و لاهية الهدية اثر في حياة المسلمين فقد اعتنى بها الإسلام و أعطاهها أولوية كبيرة من الاهتمام و العناية

فالمعروف عن الهدية هي دفع عيني إلى شخص معين لحصول الألفة و الثواب من غير طلب و لا شرط ، و هناك عموم و خصوص بين الهبة و العطية و الصدقة عند العلماء ، و مدار التعريف بينهما هو النية

فالصدقة تعطى للمحتاج ، و ينبغي بها وجه الله ، و الهدية تعطى للفقير و الغني و يقصد بها التحبيب و المكافأة عليها ، و قد يقصد بها إكرام الموهوب أو المعطى له فقط لمزيد أو لسبب من الأسباب .

¹ صحيح البخاري ، 2585

² صحيح البخاري خ/2576/م/1077.

³ احمد و ابن شبيبة و البخاري ، في الأدب المفرد ، صحيح الجامع الصغير ، 158

و قد ذكر الله عز و جل في سورة قصة سليمان عليه السلام و بلقيس ملكة سبا التي قالت ، (و إني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المسلمون)¹ لأنها أرادت إن تستميل قلب سليمان ، فرد عليه السلام ليتركها و قومها يسجدون للشمس من دون الله ، و لكن سليمان رد عليها قائلاً : (بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنا تينهم بجنود لا قبل لهم بها)² و هكذا فان الدعوة إلى الله و أصحاب الهمم العالية ، لا تضعفهم الهدايا عن مبادئهم و أخلاقهم .

و للهدية اثر مشهود في نفوس و قلوب من هادبهم فيها ترق القلوب و تصفو النفوس ، و تزداد المودة و الألفة ، يتعمق الحب ، و توثق الروابط ، يتعري أثرها إلى إزالة الجفوة فللهدية اثر السحر في جلاء الوحشة و الاكدار ، و نرى دلائل الشرع تؤيد هذا و تؤكد .

و³ بمرور الوقت و تبعا للعادات و التقاليد المتوارثة في ضوء الضغوط الاقتصادية التي يعاني منها بعض أفراد

المجتمع ، بدأت وجهات النظر المتعلقة بمفهوم الهدية تتفاوت بين من يصر على أهميتها كوسيلة للتواصل و التقارب و بين من يعدها واجبا مفروضا و عبئا ماديا تفرضه العادات و التقاليد بين الناس كقيمة معنوية لها شروطها عند الانتقاء و الاختيار تخضع لغرض إلا و تؤدي الغرض المرجو منها ، و من ضمنها مفاجأة المهدي له ، و إدخال الفرحة لنفسه مثل مراعاة سن المهدي له و أهميتها حاجته إليها ، و المناسبة التي تقدم فيها الهدية و كذا القدرة المالية للمهدي فكثير يفكر في رد الهدية بمثل قيمة الهدية المهداة له .

و بشرائنا لهدية باهظة الثمن نسب له نوعا من الإحراج و التكلفة مما يضطره أن يهدي الشخص هدية بنفس القيمة .

¹ سورة النمل ، الآية (35)

² سورة النمل ، الآية (36،37)

³ مجلة الفرات ، مرجع سابق ، ص 12.

و كما تخضع الهدية لشروط فإنها كذلك تخضع لطرق معينة في التغليف و التقديم و كذا الاحتفاظ بها ، لذلك لابد و أن تخضع لعناية خاصة ،مثل اختيار ألوان جميلة و جذابة للتغليف و كتابة عبارات لائقة تلامس المشاعر و تكون ضمن بطاقة جميلة .

كما أن مناسبتها للوقت و الحاجة و الشخص ، فمن غير المعقول مثلا أن يهدي شخص قالب من الحلوى لشخص مريض بداء السكري ، أو ساعة يد و هو فاقد للبصر مثلا.

و سنحاول في هذا الفصل عرض بعض الأمور التي ستزيل الغموض و اللبس فيما يتعلق بموضوع الهدية التهادي و المناسبات و الأطراف و غيرها .

أولا : التعريف بالهدية :

هو ما يعطى بقصد إظهار المودة و حصول الألفة ، و هي اقصر الطرق في تعزيز توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس و مفتاح سحري يلمس القلوب و يولد الوصالا في القلوب و يزرع في الضمير مودة و محبة¹

و يقول مارسيل موس : هي إعطاء شيء دون انتظار المقابل²

وهي ظاهرة اجتماعية جامعة للأبعاد القانونية و الاقتصادية و الدينية و الجمالية و الشكلية و السياسية و المحلية

و يعرفها غودبوت أنها تمثل المجمع العام للعلاقات التي تجمع كل القوى الشخصية التي تعيش في الكون البدائي : الإنسان و النبات و المعادن أو الآلهة .

أما فوغان جينيفيف فيرى إنها الوسيلة للحفاظ على المصلحة الذاتية لكل من الأطراف المعنية في التفاعل (1997).³

¹ مجلة الفرات ، يومية سياسية ، تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة و الطباعة و النشر ، دير الزور سوريا ، 2007/05/28 ، الصفحة الأخيرة.

² مارسيل موس ، علم الاجتماع الإلكترونيولوجيا ، بحث في الهدايا الملزمة ، مرجع سابق ذكره ، ص : 12 .

³ مجلة الفرات ، مرجع سابق ذكره ص14 .

الدراسات السابقة :

إن الدراسات السابقة من أهم الخطوات التي تعطي الدفع القوي للباحث و تمنحه القوة الانطلاق النظري و التطبيقي لدراسته ، و تكون بمثابة نقطة الانطلاق لبحثه لان هذا من طبيعة العلوم ، تراكمية بتواجد تلك القطيعة الابستمولوجية و الضحض البناء لها ، و بداية في عرض الدراسة الخاصة مع توضيح تلك النقائص التي كانت تعثرها ، محاولا الإلمام في دراسته بتلك النقائص .

هذا كله لكي يفتك موضوعه من شفافية الأوهام ويغزوه بصفة علمية لينتقل التيه الايجابي أو التفتح الذهني ووضوح الرؤية ، بالابتعاد عن الأحكام المسبقة و الحس المشترك ، و اقتكاك الظاهرة التي يريد دراستها من حالتها الخام و تحويلها إلى موضوع سوسيولوجي باليقظة الابستمولوجية التي قد نادى بها غاستون باشلار .

فمن خلال طرح موضوع التفاعل الاجتماعي الرمزي في تبادل الهدايا ، توضح لي و بشكل جلي إن هذا الموضوع ينبض من صميم المجتمع و في الحياة اليومية إلا أن الدراسات التي تحصلت عليها كانت معظمها انثروبولوجية و درست لدى مجتمعات السكان الأصليين .

لذا سأحاول إن اتخذها نقطة بداية لدراستي الاجتماعية بالدرجة الأولى ، محاولة في ذلك أن أفسر الاجتماعي بما هو اجتماعي ، و هذا لأجل المحافظة على شرعية التخصص (كعلم اجتماع) .

و الآن سأتطرق إلى عرض موجز لأهم الدراسات السابقة التي قد تحصلت عليها حول موضوع التفاعل الاجتماعي الرمزي و في تبادل الهدايا .

ثانيا : الدراسة الأولى : نظام البوتلاتش لمارسيل موس

✓تعريف نظام البوتلاتش :

هي كلمة مستمدة من لغة شينوك التوليفية ، و هي لغة نشأت في أجواء تجارة الرقيق في أواخر القرن الثامن عشر على الساحل الشمالي الغربي من أمريكا الشمالية ، تعني الهبة أو العطاء ضمن إطار احتفالي .

و تعني كلمة بوتلاتش مجموعة مظاهر (احتفالات ، رقصات ، خطابات ، توزيع تفاخري للثروات ... الخ)

وقد انتشرت بين شعوب السواحل الذين هم صيادون ،فناصون ، فطافون .
و تنظم الاحتفالات بمناسبة أحداث مهمة في حياة الفرد (كالزواج و الدفن و الخلافة و المسارة و تغيير الاسم بفعل تغيير المركز الاجتماعي ... الخ)
وفي حالات المنافسة بين الزعماء خاصة لدى الكواكيوتل ، و تجد هذه الاختلافات تعبيرها الأفضل في توزيع المهابة و الغداء من قبل مضيف على ضيف المدعوين رسميا بهدف حصوله على الاعتراف العام بامتيازاته العائلية (بارنت 1838).
إن البوتلاتش هي الوسيلة الوحيدة التي من خلالها يكتسب المكانة السياسية و المركز الاجتماعي ضمن نظام براتبي طبقي، كما و إن البوتلاتش يقر في نفس الوقت بوضع الواهب و الموهوب و بجب على الشخص إعطاء المعطى له أن يمنح خلال احتفال بوتلاتش ينظمه هو فيما بعد ما يوازي قيمة ما تلقاه على

الأقل¹ .

¹ بيار بونت ، ميشال ايزار ، معجم الاثنولوجيا و الانثروبولوجيا ، ترجمة مصباح عبد الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع (مجد) ، ط1 ، 2006 ، بيروت ، لبنان ، ص:111 .

ولقد شرح ف. بواس (1899) هذا الواجب الذي يقضي بالتسديد المضاعف ، ثم تناوله محمدا كوديري (1950) من خلال نموذج كواكيوتل .

كما أدانه وهايزر (1967) في أن العلاقة بين الهبة و الإقراض بفائدة قد ساهمت في تطوير التفسير الاقتصادي للبوتلاتش ، لان الإقراض لم تكن سوى وسيلة غير مباشرة لمضاعفة الثروات من اجل توزيعها .

و لقد اعتبر مارسيل موس (1923) إن عملية أو نظام البوتلاتش هي إقراض بمعنى الكلمة ، و لكن من دون وثائق ، و ذلك على مرأى من مبدأ المنافسة الذي ينطوي على نظام تبادل الهبات .

إن كلمة البوتلاتش هي وليدة الأجواء الاستعمارية ، تنتمي اليوم إلى المعجم الكلاسيكي للأنثروبولوجيا .

و لقد منعت الحكومة الكندية إجراء احتفالات البوتلاتش عام : 1884 ، و رغم ذلك أصبح البوتلاتش الذي كان الرمز القديم للمقاومة الهندية و العلاقة الحالية (للنهضة الثقافية) يشكل دعامة للرهانات الجديدة¹.

✓التعريف بمارسيل موس :

هو عالم اجتماع و انثر و بولوجي فرنسي ولد في اينيبال عام 1872 من عائلة حاخامية ، خلال دراساته في الفلسفة في جامعة بوردو التي قام بها تحت سلطة خاله ايميل دوركايم الذي تبوا كرسي تعليم التربية و علم الاجتماع منذ سنة 1887.

تابع دروس ا . هاملين - اسبيناس ، بالإضافة للسيطرة التي مارسها عليه فكر خاله ايميل دور كايم و التأثير العميق في أعماله .

¹ بيار بونت ، مرجع سابق ذكره ، ص : 312 .

لقد اخذ من الأول الفكرة بان كل تصور هو علاقة أي انه يرتكز على : (وحدة ثانوية الأضداد) ، و من الثاني الاهتمام بالبحث عن منطقيات العمل البشري و مبادئ (علم العادات)

و لم يكن موس طالبا في دار المعلمين العليا على خلاف ايميل دور كايم و عدد لا بأس به من أصدقائه و زملائه و معاونيه في مجلة السنة الاجتماعية التي شارك في تحريرها منذ تأسيسها عام 1898

رفض منصب مدرس في بوردو ، مع كونه مجازا في الفلسفة ، و أقام في باريس حيث مبادئ الانثروبولوجيا من خلال قراءة أعمال ج.ج فرازر - ا.ب تايلور تحت قيادة ا.فرشيه - ا.ميه - س. ليفي .

شرع بدراسة اللغة السنسكريتية و الألسنة الهندو أوروبية المقارنة و تاريخ الديانات التي كان عليها أن تقدم الجهاز الوثائقي لأطروحة عن الصلاة لم يتمها أبدا .

عام 1901 خلف مارسيل موس ماريليه في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (الفرع الخامس) كأستاذ تاريخ ديانات الشعوب غير المتحضرة ، و هو عنوان رفضه في محاضراته الافتتاحية ، مبتعدا في الوقت نفسه عن منهج التحليل الأنثوي للوقائع الاجتماعية الذي ينادي به ايميل دور كايم ، و مطالبا بتحرير الاثنولوجيا التي يهتم بتقديم مكتسباتها ، و تحليل معطياتها و نظرياتها و تجديد مكانتها من جهة علم الاجتماع و كذلك بتعريف مبادئ منهجها

و في هذه الفترة بفضل معرفة واسعة في اللغة الأجنبية ساهم موس من خلال دروسه ، كما ومن خلال ملاحظاته النقدية المنشورة في السنة الاجتماعية في عرض أعمال مدارس وطنية أخرى بالأخص الانكلوسكسونية و هذا ساهم في وضع التأمل الانثروبولوجي الفرنسي في سياق عالمي .

و بعد وفاة دور كايم عام 1917 و بعد نهاية الحرب العالمية الأولى التي قضت على مجموعة السنة الاجتماعية عمل موس بمساعدة مجموعة من زملائه على إعادة إحياء المجلة (و التي مع ذلك لم تظهر مجدد إلا بعد عام 1925 و هكذا بعد انتخابه بعد عام 1931 لتدريس علم الاجتماع في كولييج دو فرانس القبي موس خلال خمس سنوات متتالية محاضرات أسبوعية عن أطروحة هرتز غير المتممة عن (الخطيئة و التفكير في المجتمعات البدائية)

بموازاة مهنته الأكاديمية قد موس نشاطا سياسيا مكثفا ،اشترك لفترة في الحركات الاشتراكية ل . ج . سوريل و نسق مع ج. جوريس .

شارك عام 1904 في تأسيس جريدة الإنسانية و التي كان مدير تحريرها و ابتداء من العشرينيات كتب

مقالات عن الحالة السياسية في جريدة (الشعبي) لكونه انتسب باكرا إلى الحزب الاشتراكي الذي لم يفارقه ابدأ ، و ناضل في مجموعة الطلاب الجماعيين المتمسكين بقضية .دريفوس .

لم يتخط موس تجارب الحرب العالمية الثانية بعد إحالته إلى التقاعد عام 1940. إن الاحتلال و الاهوال النازية ن و تنفيذ الألمان عام 0942 إعدام اثنين من طلابه الأعرز .ب. فيلدي و ا.لو يتزكي أضاف إلى همومه الخاصة قد ألمته بعمق.

توفي مارسيل موس عام 1950 في باريس ، بعد أن ضعف عقله كثيرا ¹.
و ابتداء من 1925 و ضمن إطار معهد الاثنولوجيا في جامعة باريس الذي أسسه و نظمه مع ليفي بروهل . و ب ريفيه ، جعل موس الاثنوبولوجيا تتقدم في طريق الاستقلالية من 1926 الى 1940 .

وأعلن تعليمات الاثنوغرافية الوصفية حيث سمحت له بتحديد قواعد المنهج الاثنوغرافي ، و بإدخال تقسيم الاثنوبولوجيا إلى مورفولوجيا اجتماعية و فزيولوجيا اجتماعية شكلا و تشغيلا (التي تتعلق بها التصورات و التطبيقات ، أي الأفكار و الأعمال).

¹ بيار بونت ، مرجع سابق ، ص : 113

و بفضل هذه التوجيهات شكل جيل الاثنولوجيين الميدانيين.
و تكمن مساهمة موس في تطبيق علم اجتماع دور كايم و تلاميذه مع تعديله إياه
وترسيخه في المحسوس ، و تقليل سماته الأكثر جدلية (الصوفية المضمرة
المجموعة

روح النظام ، المنظار ألسلاي). و حتى عمله على قلب وجهة نظره ، التي لم
تعد تقوم تصور (المعقد) كمشتق من (البسيط) المشبه بالأصل من منظور
نشوي ، بل على مقاربة (الوقائع في علاقتها مع مجمل الاسم الاجتماعي التي
تشكل قسما منه و فهمه انطلاقا من استخداماتها الاجتماعية).(كارادي 1968.

إن الظواهر لاجتماعية هي أيضا ظواهر عقلية ، وان هذه الطريقة الجدلية
و الوظيفة الاجتماعية في الظاهر التي كان عليها أن تسمح لموس بتصوير المفهوم
الرئيسي للحدث الاجتماعي الكلي ، و التي ستظهر بوضوح في كتابه (مبحث في
الأعطية) 1924 . ، تنفيذ حقيقي لموضوع المعرفة في الاثنوبولوجيا ، حيث لا
يركز مطلقا على المؤسسات و الحق و الطقوس و الزواج أو الأساطير التي ليست
بالجملة إلا (جريدات) إنما نظر إليها فقط على حساب تقييم الواقع الاجتماعي¹ .

بل يركز على الكلية المحسوسة التي يندرج فيها ذلك ، و يتخذ معنى بتشكيله
نظاما يدور في فلكها من واجب الاثنولوجي أن يعمل على إعادة تأليف الكل
الاجتماعية و تحديد الأوقات المفضلة مثل البوتلاتش هنود الساحل الشمالي الغربي
لأمريكا الذي درسه ف. بواس و الكولا الميلانيزية التي حلها مالينوفسكي حيث
يعرض المجتمع نفسه كليا عبر تفعيل كامل مؤسساته و تصوراته .

- لا يتم النظر إلى المجتمعات البدائية بهذا المعنى كمنظمات أصلية و بسيطة كما
كان يتصورها دور كايم ، يقرر ما يرى فيها المجتمع الغربي ، وجهة نظر قادت
موس إلى رفض التعارض الجذري الذي خطه ليفي بروهل بين العقلية البدائية و
العقلية الحديثة .

¹¹ بيار بونت ، ميشال ايزار ، معجم الاثنولوجيا و الاثنوبولوجيا ، ترجمة مصباح عبد الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (مجد) ، ط 1 ، 2006 ، 889.

من هذا التصور يتفرع الاهتمام الخاص الدقيق الذي خصصه موس طيلة حياته للفئات الوصفية ، هذا ما شهد له دليل الاثنوغرافيا (1947) و الذي كان عليه أن يجد في الدراسة الأحادية نوع التعبير و التحليل الأكثر قدرة بالنسبة إليه على إظهار التعقيدات الاجتماعية المختلفة و كليتها .

و لا تخلو أعمال موس من المفارقات ولم يتم تقبله بدون سوء فهم ، إما بخصوص تأثيره الذي لا جدال فيه ، فهو لم يظهر بدون التباسات من حيث أن هذا التأثير قد جاوز إطار الانثروبولوجيا البحتة .

فهناك تأويلات عديدة ، و حتى دراسات معمقة أو تصورية عن أعمال قد رأت النور .

وان كتابا أو فلاسفة قد انتسب إليه أو استوحى من بعض تحليلاته ليس دون تحريره أحيانا . و من بين كل أعماله

ويبقى المبحث في الأعطية الأكثر ذكرا في الخارج ، و الوحيد المعروف في الواقع في العالم الانجلوسكسوني .

لقد كان لمقالاته عن السحر و القربان و التصنيفات البدائية تأثيرا عميقا لكن صعب التحديد ، إذ أن عمله في هذه المجالات يشكل جزءا من ارث سيصبح مشتركا .

و يبدو أن هذا المبحث قد اثر بشكل خاص على أشخاص من راد كليف براون و مالينوفسكي و ايفا نز و برينشارد ... الخ .

و بشكل أكثر عموما أن تأثيره ملموس في الأعمال الانثروبولوجية التي أنجزت في أكسفورد تحت إشراف ايفا نز برينشارد و من ثمة رنيدهام .

لم يكتب موس أبدا إي كتاب يمكن أن نعرض فيه خطوط فكره الرئيسية رغم اعتباره من ابرز منظري الانثروبولوجيا الفرنسية ، كذلك لم يذهب ابدأ إلى الميدان

رغم اعتباره الملهم الأبرز للأبحاث الميدانية الاثنوغرافية في النثروبولوجيا الفرنسية¹

¹ لبيار بونت ، ميشال ايزار ، مجم الاثنولوجيا و الانثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص ص : 891، 890 .

و هو متعدد المواهب ، و غالبا ما يقدم عناوينه مسبوقه بعبارات تخفيفي (محاولة مبحث ، جزء ، مقدمة ... الخ) ، كما أن جزءا كبيرا من أعماله قد كتبت بمشاركة دور كايم و فوكو نيه و ه. بوشا بشكل خاص ، و أيضا هوبير و هذا ما يشير فقط إلى الأهمية التي أعطاها للبحث الجماعي ، و التي قادته إلى إعطاء نفس الاهتمام لتقديم ملخص عن كتاب أو لعدد من مجلة أو لمقال متميز ، بل أيضا إلى الحس اليقظ الذي كان لديه تجاه الطابع المؤقت و القابل لدحض النظريات الانثروبولوجية¹.

كانت دراسة موس عن بعض قبائل الهنود الحمر التي تعيش في الشمال الغربي من قارة أمريكا ، و هذه القبائل هي : الهايدا ، الكواكيوتل ، التسمشيان . و يركز هذا النظام في أساسه على أن يقوم الشخص من ذوي المكانة و المركز الاجتماعي

في هذه القرية بتوزيع نوع معين من الأغذية الصوفية على الضيوف في حفل رسمي كبير ، و بعد فترة من الزمن يرد الضيوف هذه الأعطية في حفل رسمي كبير أيضا ، بعد إضافة أعداد أخرى كبيرة منها ، قد تصل إلى إضعاف ما أخذوه منهم في الأصل .

و هذا التبادل الذي يتم بين أفراد المجموعة يصاحبه دائما بعض الطقوس و الشعائر وفي هذه المجتمعات تشتمل الهدايا على نوع من الإلزام ، حيث يتوجب على المهدي إليه أن يرد الهدية و بأحسن منها ، و الامتناع عن القيام بهذه السلوكات قد يزعزع من مكانة الفرد و مركزه الاجتماعي ، و يقلل من هيئته . فهذه الطقوس تعمل على حفظ حقوق أطراف العلاقة في الأخذ و الرد ، و لذلك فأنها تحقق الاستقرار ، و تدعم أواصر العلاقات داخل المجتمع و القبيلة .

بالإضافة إلى أن هذا النظام الشعائري يهدف إلى اكتساب المزيد من الشرف و السمعة الطيبة و ذبوع الصيت عن طريق المنح و الإعطاء و المبالغة في الرد و الدليل على ذلك أن الشخص كثيرا ما يلجا إلى إحراق هذه الأعطية ذات القيمة

¹¹¹ بيار بونت ، ميشال ايزار ، مرجع سابق ذكره ، ص : 325 .

الاجتماعية العالية ، وأحيانا أخرى قد يحرق بعض ممتلكاته ليدل على استهانتته بالأشياء المادية ، و يدعو غيره من الأشخاص الذين يحضرون حفل البوتلاتش إلى مجاراته في أعماله .

وكلما احرق أو اتلف الشخص هذه السلع المادية ، كلما ارتفعت مكانته في المجتمع¹

و يعود الفضل لموس (1921) في إظهار إن العطاء لا يمكنه أن يدرس منفردا لأنه يحتم التزامين بالمقابل من المرسل اليه .

الأول هو قبول الأعطية و الثاني هو ردها ، و يهتم موس بعض أنماط الأعطية خصوصا تلك التي تلزم الجماعات او اشخاصا باعتبار إن هؤلاء (الزعماء) يمثلون الجماعات .

إن يتحدث موس عن عطاء شامل و هي عبارة تدل بالنسبة اليه على شيئين مختلفين ، سواء أكان العطاء هو فعل ذو إبعاد متعددة ، تتكيف فيه عدة مظاهر من المجتمع ، أو كان العطاء يضع كل المجتمع في حركة بالتحفيز على أعطيات مقابلة و يصبح آلية أساسية لتكاثره .

و يميز موس بين الأعطيات (غير المتنازعة) المرتكزة على تبادل سلع ذات قيمة متعادلة ، و الأعطيات في المتنازعة) التي تنشأ عن أوضاع خصومة أو منافسة . و يكرس موس الجزء الأساسي من تحليله للعطاء المتنازع مثل البوتلاتش الذي يمثل نموذجه الأوضح .

بمثل من الأعطية المضادة غير المتنازعة ، يذكر موس تبادل النساء بين طرفي بعض قبائل استراليا أو أمريكا الشمالية .

و ستوحي مثل هذه الأمثلة (كلود ليفي شتراوس) عندما يدرس بني القرابة الأولية التي يرى أساسها في تبادل النساء بين الرجال .

¹¹ موس مارسيل ، علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا ، بحث في الهدايا الملزمة ، ترجمة الدكتور محمد طلعت عيسى ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1971 ، ص ص : 132 ، 137

لكن موس لم يتعمق في هذا النمط من الأعطية ، و في هذه النقطة بالذات يجب إكماله في مجال يشغل منطق الدين مكانا خاصا فيه ، فعندما تعطي عشيرة امرأة يصبح لها دين على العشيرة الاخرى و تجد نفسها في علاقة فوقية تجاهها ، و عندما تتلقي العشيرة الأولى بدورها امرأة من شريكها تتحول من وضع الفوقية إلى وضع معاكس .

في نهاية هذا التبادل تعود العشيرتان إلى وضع متساو ، لكن في علاقة استنادة متبادلة و لا تلغي الأعطيات المضادة الديون المترتبة على الأعطيات ، بل توجد ديون جديدة تأتي لتوازي الأولى .

فالعطاء من جديد لا يعنس التسديد ، و يؤدي هذا النمط من العطاء المتبادل في النهاية إلى إعادة توزيع المواد بين كل المجموعات التي تملكها بطريقة متساوية نسبيا : كائنات بشرية ، أموال ، عمل ، خدمات ، ... الخ.

انه منطق مختلف كلياً تطبقه الأعطيات و الأعطيات المضادة المتنازعة التي بخصوصها اتخذ موس مثال البوتلاتش هنود السواحل الشمالية الغربية للمحيط الهادي

و بالنسبة لموس تمثل منافسات البوتلاتش حروب و ثورات حقيقية تشن من اجل الوصول إلى مراكز السلطة الحقيقية أو الرمزية .

في البداية تتبارى عدة عشائر و عدة زعماء للظفر أو الاحتفاظ بلقب أو وظيفية لكن في النهاية ليس هناك إلا مستفيد واحد من المواجهة ، إلى أن يجبر الرياح من قبل تحدي الالتزام في البوتلاتش جديد أوسع إيعادا أو أهم من سابقه ، هنا تلغى الديون حين يرد المرء أكثر مما حصل عليه .¹

لذا فموس يؤكد على أن الهدايا في المجتمعات البدائية قد يبدو أنها تقدم عن تفضل و إدارة ، بينما هي في حقيقة الأمر ليست اختيارية بل جبرية و لغرض معين و لذا أطلق عليها موس (الهدايا الإلزامية).

¹ بيار بونت ، ميشال ايزار ، معجم الاثنولوجيا و الانثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص 111.

-الهدايا الإلزامية : هي التي تأخذ عنصر الإلزام و الإجبار ، بمعنى انه يتحتم على الشخص المهدي إليه أن يرد هدية أخرى مماثلة أو بما يساويها في القيمة ، و هذا النوع هو عكس الهدية الخالصة و التي هي عبارة عن أفعال و خدمات يقدمها الشخص لغيره من الناس دون أن يتوقع منهم مقابل لها .
و تأخذ ظاهرة الإلزام في المجتمعات البدائية ثلاث مظاهر و هي : العطاء ، الأخذ الرد .¹

أي الالتزام بتقديم الهدايا و الالتزام بقبولها و الالتزام بردها ، هذه ثلاثة مظاهر مرتبطة بشكل كبير في المجتمعات البدائية ، ففي جزر فبجي في الجنوب ميلانيزيا يوجد نظام تبادل الهدايا يسمى الكيري كيري ، حيث خلاله لا يمكن رفض شيء من احد ، فيقع تبا دل الهدايا بين الأسرتين أثناء الزواج .²
أما مجتمعات الهنود الحمر في الشمال الغربي لأمريكا ، فيلتزم زعماء القبائل بتقديم الهدايا (روح البوتلاتش) عن البنات و الأبناء و ازواحهم ، و أرواح الأسلاف التي يجب إرضاؤها حتى تبارك زعامة الرجل .
و كذا الالتزام بقبول الهدايا و إلا يكون ذلك دليل على الخوف من عدم القدرة على الرد لاحقا .

و قد يرفض الزعيم قبول الهدية إمعانا في إظهار مكانته السامية على أساس انه فوق قبول هدية من ادني .

فالالتزام هنا يتضمن إقامة الحفل الذي يدعى إليه أثرياء القوم و يوفر لهم الطعام و الشراب و يتضمن أيضا الالتزام برد الدعوة و ذلك عن طريق إقامة حفل لاحق .³

و هناك علاقة شبيهة بالكولا ، تقوم على أساس مبادلات منتظمة و جبرية بين الشركاء من قبائل زراعية من جهة ، و قبائل بحرية من جهة أخرى .

¹ موس مارسيل ، علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص : 110

² موس مارسيل ، علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص : 17.

³ احمد عباس ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار العلم للطباعة و النشر ، 1983 ، ص ص : 54 ، 55 .

فالشريك الفلاحي يأتي ليضع منتجاته أمام شباك شريكه الصياد ، و على هذا الأخير أن يذهب إلى القرية ليقدّم لشريكه الفلاح مقابل هديته محصول صيده .¹ و نستطيع أن نرى من هذه الأمثلة السابقة أن تبادل الهدايا في المجتمعات البدائية نادرا ما يكون اختيارا ، حتى و لو بدا لنا أن هذه الهدايا تعطى لوجه الهبة و العطاء ، فإنها تعطى في الحقيقة لوجود صفة الإلزامية فيها ، و التي لا يستطيع أي فرد في المجتمع البدائي التي ينكرها و إلا يتهم بالخوف من الرد ، و قد بلغ الأمر في بعض المجتمعات إلى حد طرد المرأة التي لم يحسن أقاربها العطية ، ردا عندما تلقوه في عملية المصاهرة²

و رأى موس أن الهدية مهما كان نوعها أو شكلها ، أو مهما كانت نوعية المناسبات التي تقدم فيها ، وحتى عندما لا يكون المهدي إليه في حاجة مادية إليها إنما تتضمن بالضرورة نوعا من الالتزام تفرضه على المهدي إليه ، و تطلب منه أن يقوم بردها إما بما يساويها في القيمة ، و إما بهدية أكبر منها في القيمة . و لقد حاول موس بشدة أن يتوصل إلى تفسير علمي لخاصية الجبر و الإلزام في تقديم الهدايا في المجتمعات البدائية ، أو يمكن القول بطريقة أخرى أن موس حاول إن يهتدي إلى القواعد و القوانين التي تحكم هذه الظاهرة و تجعل منها شيئا جبريا و ليس اختياريا .³

و قد توقف مارسيل موس عن لانتشار العالمي للاختبار التي تتحدث عن ضرورة تقديم الهدايا و تلقيها و إعطاء هبة مقابل هبة .

و انطلاقا من تلك الأحداث الموثقة في كل المجتمعات ، نشر بين عامي 1923 و 1924 في مجلة السنة الاجتماعية مقالته في الهبة و أشكال و أسباب التبادلات في المجتمعات القديمة .

و يسجل موس المفارقة الكامنة في مفهوم الهدية ، فهي إرادية بتعريفها ، وهي انطلاقا من ذلك مجانية ، و رغم ذلك تقوم سائد المجتمعات بإخبار أفرادها على

¹ موس مارسيل ، مرجع سابق ذكره ، ص : 15 .

² موس مارسيل ، مرجع سابق ذكره ، ص : 112 .

³ موس مارسيل ، مرجع سابق ذكره ، ص : 15 .

ممارسة التبادل ، فالهبة هي في نفس الوقت إرادية و إلزامية ، وهي تتميز بوحدة من صفات الحدث الاجتماعي بحسب تعريف دور كايم له .

إنها مفروضة على الشخص ، إذن هي إلزامية و كما يتنقل إلزام العطاء على المهدي ، فان المتلقي يكون هو الآخر ملزم بالقبول ثم بالرد (هبة مقابل هبة) و قد يحدث دون شك أن يتنكر أفراد أو جماعات لتلك الالتزامات ، ولكن ضمن المخاطرة بالاستثناء من التبادل الاجتماعي ، و الوضع بصورة مؤقتة أو نهائية في موقف عدائي معن ، يعبر الاستشهاد التالي المأخوذ من المقالة الأصلية ، طبعة 1950 ، ص ص : 277 ، 278. عن تلك المفارقة التي تطبع كل وجود بشري :

(في جميع المجتمعات التي سبقتنا مباشرة أو المحيطة بنا ، أو حتى في بعض ممارسات أخلاقتنا العامة ، لا يوجد موقف وسطي ، فإما الاستسلام الكامل أو الرفض الكامل ، إما إلقاء السلاح و التخلي عن السحر ، و إما إعطاء كل شيئين الضيافة الاحتفائية إلى البنات و السلع .

وان أوضاعا كهذه هي التي تجعل البشر يتخلون عن تحفظهم و يبادرون إلى الأخذ و العطاء .

الأمثلة الاثنوغرافية كثيرة و هي تدل على الالتزامات الناجمة عن خيار التفهم في فترة قيام (فرائز بواس) بأبحاثه عن هنود الكواكيوتل في شمال غرب الولايات المتحدة .

كان هؤلاء يمضون الشتاء في عيد متواصل ، يتنافس خلاله الزعماء و الأعيان في إظهار كرمهم تجاه بعضهم البعض و كان ذلك يبلغ أوجه في الإلتاف الاحتفالي لفائض الثروات التي جمعها إتباع كل منهم ، مهما كانت تلك المنافسات التي يسميها الهنود (البوتلاتش) و التي يصفها موس ب : العطاء الكامل ، كما في

حلبة المصارعة تعيد تنظيم التراتب الاجتماعي لمصلحة من هم الأكثر كرما تلك المعطاءات كاملة لكونها تطاول كل مظاهر النشاط البشري ، المظهر الاقتصادي : فهي تشمل السلع و الخدمات ، إما السياسي : فهي يعيد تنظيم

السلطات و المراتب داخل القرية و بين سكانها ، إما القانوني : فإنها تعيد تأكيد و تثبيت القواعد القانونية للحياة الاجتماعية ، و الأخلاقي : ترسخ قيم التبادل و الشرف و الكرم ، و العاطفي : فهي تعطي مظهرا ماديا لمشاعر الصداقة أو العداوة .

و لقد دفع مارسيل موس ، على اثر نشره المقالة حول الهبة شعار وجود الحدث الاجتماعي الكامل ، فهناك ممارسات تلامس جميع مظاهر الحياة الاجتماعية، و تجمع فيما بينها : الارتباط الزوجي ، السوق ، الحرب ، السكن .

و لكن البوتلاتش مؤلف من أعطيات ذات مظهر صراعي ، مما يعني أن المشاركين فيه يمارسون ما يشبه العداوة ، و بدل من أن يتصارعوا بالسهام و الفؤوس يتقاذفون بالهدايا.

إذن كانت مفاهيم و الترفع موجودة فيه ، فلا يجب أن ننسى إن تبادل الأعطيات ينشد أيضا و بالدرجة الأولى ، إعادة تنظيم السلطات و الحكم و الثروة المهابة .

و يمثل كما رأينا في نص مارسيل موس التزاما من اجل العيش .
ولقد سجل موس التنوع الكبير للأشكال التي تتخذها الهبة المضادة ، و يمكن أن تكون هذه الأخيرة مباشرة أو مؤجلة فيمكن لطفلين أن يتبادل كلتيهما في نفس اللحظة ، و يمكن أن يدعو احد الراشدين أصدقائه إلى العشاء فيبادلونه بنفس الشيء .

و ل كن بعد حين و بعد أن تنطلق دورة المبادلات من تقديم عرض أو العكس من تقديم طلب ، و هكذا فهناك في أوروبا المعاصرة عادة تقديم الهدايا بشكل عفوي ، ويكون على المتلقي أن يحتج بتهذيب (لكن لم يكن هناك حاجة لذلك) ، و على عكس ذلك تقتضي عادات اغلب مناطق الصحراء الإفريقية ، بان من يرغب بان يصبح صديقا لك يطلب منك تقديم هدية له .

و يمكن أن تكون الأعطية المضادة من نفس طبيعة الأعطية (دعوة إلى العشاء مقابل دعوة) أو من طبيعة مختلفة (هدية مادية تقدم إلى زعيم العشيرة الذي يمنح

مقابلها بركة الأسلاف القدياء و يمكن للأعطية المضادة أن تكون ادني أو اعلي أو موازية للأعطية ، و تحدد هذه الحالة بترابيه من يتبادل الهدايا¹ كان يعطي العلي أكثر من الأدنى ، أو بين الجماعات يمكن أن يضع شخصين في مواجهة بعضهما ، ا وان يدخل عدد من المتبادلين في شبكات معقدة أو في دوائر متفاوتة الأبعاد و يمكن أن تتشكل تلك الصور من تنويعات عديدة ، و لكنها تخضع دائما لقوانين محددة مما يعطي للمتبادلين على الدوام إمكانية احترام القاعدة أو الخروج عليها بغية التوفيق بين المعاني الذاتية و تلك التي يمثلها قانون المبادلات و يمكن أن تتخذ المبادلة شكل (إعادة التوزيع) ، و هناك عطايا يمنحها أفراد أو جماعات بغية تحقيق غاية مشتركة يتمحور حولها المردود و توزعه من جديد بين المانحين أو بين معنيين آخرين ، هم في الغالب زبائن بالمعنى السياسي للكلمة . إن نظام الضمان الاجتماعي المعاصر هو نظام إعادة توزيع ، و الأمر ذاته يقال عن اقتطاع الضرائب أو الأعطيات المضادة الأخرى التي تلجا إلى جميع دول و سلطات التاريخ.

ماذا نتبادل ؟

كل شيء على وجه التقريب ، و لكن علينا الإشارة إلى أربعة مواد ذات دلالة خاصة : الكلمات في الدرجة الأولى ، بداية من تبادل التحية و التي يمكن أن تمتد إلى حوار ، لا غاية منه سوى التبادل حوار يمكن وصفه بالتافه ، لكونه يدور عامة حول المطر أو الطقس الجميل أو الصحة .

و تتميز بعض تعبير المجاملة بالتعقيد كما في عبارة (السلام عليكم) العربية الإسلامية ، و التي تليها عادة عبارات أخرى تكميلية غالبا ما تقال بسرعة لا تظهر فيما إي أهمية لمعاني الكلمات .

و نتبادل في الدرجة الثانية أشخاصا أو حقوقا على أشخاص ، و هكذا فان الأولاد في المجتمعات التقليدية ، موضع صفقات مختلفة يمكن أن تبلغ حد الحجز أو التبني .

¹ فيليب لاورت ، تولرا جان بيار فارنبيه ، اثولوجيا انثروبولوجيا ، ترجمة محمد عبد الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص ص : 301، 302.

لقد وسع ليفي شتراوس في البني الأساسية للقرابة من دائرة التعاكس ، لتشمل تبادل النساء الذي بدا فيه مبدأ كل أنظمة القرابة و الحاجز الموضوع أمام سفاح المحارم.¹

و نطلق اسم المبادلة على السياق الذي يتم في نهاية تبادل المعطيات بطريقة الهبة و الهبة المضادة ، و إذا كانت السلع و الخدمات التي تمثل مادة تلك المبادلات تعيد تنظيم العلاقات القربى و التبعية الاجتماعية فمن الصحيح أيضا أنها تشخص في مجتمعات التجابه أو طوائف تدخل المعارف .

لنأخذ مثلا شخصين قد بدءا مفاوضات زواج و دخلا في مباحثات عن الهبات و الهبات المضادة المخصصة التمام مراسم الانتقال بنت احدهما إلى بيت الآخر الذي ستصبح زوجة له ، يعرف المعنيان الأمر بعضهما بالاسم و السلالة و المواصفات الشخصية و تجارب الحياة المشتركة ، و لكون الأعطيات و الأعطيات المضادة بين هذين الرجلين تكون مشخصة فليس هناك ادني شك بان المرأة التي ستنتقل من اجل الزواج حتى و إن حصل ذلك ضمن دائرة مبادلات يمكن أن تكون بضاعة أي شيء يباع و يشتري بالمال .

و الأمر يختلف عندما تقدم بندقية كتعويض زواج ، فمن يتلقاها يصبح صاحب البندقية التي قدمها فلان لدى الزواج و لا تعود تلك البندقية عادية لأنها تكون قد سحبت من السوق ، و لكنها تؤخذ ضمن علاقات المبادلة و جها لوجه ، فإنها تجعل العلاقة الاجتماعية بين الأشخاص مرئية .

و على العكس ففي حالة تبادل البضائع تغيب العلاقات بين البشر خلف الصفقات المالية التي قد يخلع عنها الطابع الإنساني بشكل تام قبل أن تبدأ بتحليل الحالات الوسطى بين الهبة و السوق.

¹ فيليب لاورت ، تولرا جان بيار فارنييه ،التكنولوجيا انثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص ص : 303 ، 304 .

1 - نتائج دراسة مارسيل موس :

- لقد حاول إثبات أن النظم الاقتصادية في المجتمعات البدائية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية و توصل من ذلك إلى :
- ✓ أن نظام البوتلاتش يساعد على إشباع الحاجة التي يشعر بها الشخص للحصول على المزيد من السمعة و ذئوع الصيت .
- ✓ البوتلاتش نظام عشائري يدخل فيه الكثير من الطقوس .
- ✓ ترتبط الأنظمة الاقتصادية في المجتمعات البسيطة ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية
- ✓ إن تبادل الهدايا في البوتلاتش يتم بشكل إرادي على الزعم من وجود صفة الإلزامية فيه .
- ✓ إن عملية التبادل لا تخلو من عمليات اقتصادية .
- ✓ وجود مفهوم القيمة في هذه التبادلات .
- ✓ الحصول على المكانة الاجتماعية ، و الهبة تمثل أهمية للمتبادلين أكثر من الحصول على السلع المادية .
- ✓ إن الطقوس و الشعائر التي تمارس في البوتلاتش تحافظ على الاستقرار الاجتماعي ، لأنها تنظم قضية الأخذ و الرد و تدعم أواصر العلاقات بين القبائل .
- ✓ تحتل العلاقة بين السلع منزلة ثانوية بالنسبة للعلاقة بين الأشخاص¹ .
- ✓ إن الشيء المعطى كائن له روح ، و تكمن فيه قوة تحركه و هو مرتبط بصاحبه الأول ، فإذا أعطى فان روح الشيء نفسه تضمن رجوعه ، ما يعادل قيمته إلى مالكة الأصلي .
- ✓ وجوب العطاء ووجوب الأخذ و الرد ، فوجوب العطاء مرجعه أن الشيء ، بما انه متداخل مع صاحبه و متكامل معه ، فان إعطائه يعتبر تعبيراً عن رغبته في التقرب إلى الشخص المعطى له ، و التحالف معه ، ووجوب اخذ الشيء المقدم هو بمثابة تعبير عن قبول هذه المحالفة و المشاركة و القرابة التي عرضها المعطي ، و الامتناع

¹ موس مارسيل ، الانثروبولوجيا الاجتماعية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 15

عن العطاء و الأخذ معناه رفض المشاركة و التحالف و ذلك في حكم اعل الحرب الخاصة أو العامة.

✓ مفهوم القربان و الصلة بينه و بين الهدايا ، فالقربان هو الهدية إلى الناس لوجه الوالهة و الطبيعة و قد يكون أحيانا لوجه الآلهة و الأرواح كثن للتحصول على الأمان و السلام¹

تقييم دراسة مارسيل موس :

✓ إن أعمال موس المكونة من تصورات أكثر من إثباتات كانت عرضة لتأويلات عديدة و متباعدة أحيانا ، هذا ما كان من نصيب فكرة الحدث الاجتماعي الكلي التي انكبت . ج غرو فتش و ليفي شتراوس على فهمها ، فاعتبر الأول إن على الظاهرة الاجتماعية الكلية أن تشمل التخمين ، كما البنية ، كما اكتشف الثاني في البنية و في الطابع العلائقي للفكر الرمزي ، هيكل الحدث الاجتماعي الكلي .

✓ من المفارقة إن تكون أعمال موس عائدة في الأساس إلى ذلك الطابع غير المتممة و النقل الاختياري المميز لهذه العقلانية المجربة .

✓ و هناك من شك أن عددا كبيرا من المواضيع التي تنطرق لها فكرة الشخص تقنيات الجسد ، القربان ، الصلاة ... الخ . لم تستنفذ بعد كل إمكانيات البحث فيه .²

✓ كان النص يفتقد للمنهجية أحيانا ، و يعاني من التكرار أحيانا أخرى ، ولكن لم تعرف سوى قلة من النصوص المؤسسة لعلم ما صدق و اشتهر ذلك النص ليمنا هذا إن تحليل موس لا يخلو من النقص ، لنعد للالتزامات الثلاثة :

يقدم موس تفسيراً اجتماعياً لبيان الالتزامين الأولين : العطاء و التلقي في الكثير من المجتمعات يجبر المرء على العطاء لان العطاء يوجد علاقات و يلزم بها و يكون مجبراً أيضاً على القبول لان رفض إعطية يمكن أن يعرضه إلى الدخول في شقاق مع من يقدها ، بالنسبة للالتزام الثالث (رد الأعطية) يفتبس موس

¹ موس مارسيل ، الإنثروبولوجيا الاجتماعية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 15 .

² بيار بونت ، ميشال ايزار ، مرجع سابق ذكره ، 892 .

تفسيره من حكيم ماوري (عجز هوتاماتي رانيبييري) و يرى انه يوجد في الشيء المقدم و المتلقي روح تدفعه إلى العودة نحو مالكة الأول ، لدينا هنا تفسير من النمط الصوفي الديني الذي يدلنا حسب ليفي شتراوس على أن موسى تأثر بنظرية محلية معقدة لكنها ليست علمية و الواقع أن موسى استعمل كثيرا و مرارا هذا النوع من الفرضية اللاعقلانية كما في تحليله لدورات التبادل الميلانيزية (الكولا) وضعها مالمينوفسكي ، و كان موسى يعتبر أن هذه الأخيرة تعطيه حكم القانون الذي يجب أن يكون في أساس هذه التبادلات .

❖ هدف الدراسة :

وعموما فقد كان الهدف من الدراسة التي أجراها موسى هي رؤية العلاقات الاجتماعية من زاوية أكثر تحليلية ، أي التركيز على محرك التفاعل بين هذه القبائل و العشائر الشعوب و ، موضحا ذلك في تبادل الهدايا ، و إلزامية القبول بشروطها ، و التي أوردها موسى في ثلاث عناصر أساسية في العملية الاتصالية التفاعلية ن قارنا إياها بعناصر تفاعلية ليست اجتماعية و إنما اقتصادية . كما حاول موسى توضيح كيفية أن المعاملات و التبادلات الاقتصادية تعتبر المحرك الأساسي و الضروري في عمليات التفاعل الاجتماعي و مولدا لعلاقات اجتماعية مبنية

على التقارب و التفاهم و هي كذلك لبنة أساسية في التعارف و التواصل ما بين هذه الشعوب البدائية . و أعطى في ذلك مثال في كيفية تبادل النساء في شكل هدايا بين رجال العشائر . و هذا ما اعتبره موسى من الممارسات الطقوسية التي تخلق نوعا من الممارسات و التبادلات الاقتصادية ، و كذا تخلق نوعا من القوة و المركز الاجتماعي بين الوحدات التفاعلية .

و منه فقد أوضح جليا أن النظم الاقتصادية في المجتمعات البدائية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية.

❖ أما نوع الدراسة فقد كانت دراسة انثروبولوجية اجتماعية تكشف سر

المعاملات الاجتماعية و الاقتصادية في تلك المجتمعات .

❖ أما بالنسبة للمنهج الذي استخدمه مارسيل موس فقد تبين لي انه استخدم المنهج الوصفي و ذلك من خلال وصف حالة التبادلات و العادات و الطقوس الممارسة ، كما حاول كذلك وصف أهم مراحل العملية التبادلية من بدايتها إلى الوصول إلى تكوين العلاقة الاجتماعية و التفاعلية.

هذا من جهة ،ومن جهة أخرى فقد تبين لي أن مارسيل موس استخدم تقنية الملاحظة بالمشاركة ، إلا انه في بعض المؤلفات ورد أن موس لم يرق بأي دراسة ميدانية و اقتصرت دراساته على أمور نظرية و هناك من الدراسات إلي لم يتمها و تركها كبخته في موضوع الصلاة مثلا .

لكن اليقين يبقى موجود ،لان هذا توضح لي أنا شخصيا انه استخدم هذه التقنيات أي من جراء قراءتي لأبحاث موس عن الهدية .

فالاعتقاد عند الكثير من المجتمعات البدائية أن الهدايا تكمن فيها قوة روحية تتسبب في رجوعها إلى معطيها الأصلي ، و هذه هي إحدى المفاهيم التي حاول الانثروبولوجيين دراستها و بحثها ، و السبب الآخر هو أن إعطاء الهدايا و قبولها و ردها يعطي الرضا بقبول العلاقة مع المهدي إليه و الدخول إلى أحلاف و صداقة أو اقاربة و الرخص.

يعني عدم قبول هذه الصداقة أو التحالف ، و هذا ما يجعل من تقديم الهدايا شيئا مقدسا و إلزاميا في المجتمعات البدائية ، ففي جزر التروبرياند يدخل سكان الجزر في تحالفات سياسية ، و تفرض عليهم عملية التبادل المستمر .

عدد من الحقوق و الواجبات و الالتزامات المتبادلة ، وبذلك تخلق نوعا من العلاقة الواسعة الممتدة بين القبائل المختلفة .

و بما أن الهدية تعتبر ظاهرة اجتماعية ، إذن لابد أن لها بعض الوظائف التي تقوم بها

خلاصة عامة :

نلاحظ أن مارسيل موس اعتبر الهدية موضع تبادل بين الأطراف المتفاعلة ، مؤكدا في ذلك إلزامية تداولها بينهم في إطار الممارسات الاجتماعية ، و عبر الأجيال ، حيث يتطبعون بتبادلها و تصبح امرأ ضروريا من حياتهم الاجتماعية و اليومية ، و يرتادونها كزبي رسمي في العلاقات و يتطبعون بها كهابيتوس اجتماعي و ثقافي من خلال احتكاك الوحدات المتفاعلة مع بعضها البعض في إطار بنية ثقافية محددة و مجال اجتماعي معروف و هو الإطار التفاعلي للمجتمعات البدائية .

و من خلال موس توضح انه قرن النشاط الاقتصادي بالنشاط الاجتماعي ، و منه تبين و بصورة جلية إن هذا النشاط الاجتماعي تتحدد هويته باللموسيات و منه تتحدد الهوية الثقافية من خلال الممارسات المتعلقة بالطقوس و العادات ، و في بعض مما يمثل الثقافة السائدة لان الثقافة تعتبر رهانات صراعات اجتماعية ، تتوقف على الموقف المكتسب في نسق العلاقات التي تربط بين المجموعات .

¹ و ليس لكل المجموعات النفوذ نفسه في إطلاق التسمية ، و في تسمية نفسها و حدهم أولئك المتمتعون بالنفوذ الشرعي ، مثلما شرح ذلك ببار بورديو في مقال بات الان كلاسيكيا و هو(الهوية و التمثل) أي النفوذ الذي تكسبهم إياه السلطة و يمكنهم فرض تعار يفهم الخاصة لدواتهم و للآخرين .

و من خلال دراسة موس توضح لي جليا أن اقتران النشاط الاجتماعي باللموسيات تضيف دلالات سسيولوجية لنشاط المقرونين . (الجسم ، النشاط الاجتماعي ، المركز و الهوية الاجتماعية و الثقافية للمتبادلين للهدايا) .

و قد ابدى فرقا واضحا و فصلا كاملا بين الهبة أو الهدية في جانبها الاجتماعي التواصلي ، و بين الهدية المتداولة كسلعة اقتصادية ، إي تحمل في طياتها معاني

¹ دنس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة منير السعداني ، مركز الدراسات ، الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2007 ، ص : 160 .

الجبر و الإلزامية كواجب اجتماعي ، و الفعل الاستراتيجي المخطط و المعقوب برد تلك السلعة .

وهذا عكس ما أبداه عن الهدية في قالبها الاجتماعي التواصلي ، و التي لا تستحق المقابل و هذا ما قد لخصه موس في ثلاث مصطلحات أساسية في باب الهبة و هي : العطاء ، أي الهدية في قالبها الاجتماعي المحض ، و الاستلام أي رد فعل المتلقي و الانطباع الذي تركته الهدية في النفوس ، و كذلك المقابلة بالمثل ، و هنا توضح لنا طابع الإلزامية في تبادل الهدايا عند قبائل الكواكيوتل و هنا يبدو واضحا خروج الهدية عن شرعيتها .

فكما يرى موس أن الهدية هي إعطاء شيء دون انتظار مقابل ، أي أن الغرض التواصلي الاجتماعي والثقافي بين الأطراف المتفاعلة ، حيث يرى أنها أساس الحياة الاجتماعية لما تخلفه من آثار طيبة في العلاقات بين الناس

كما أن الهدية عند القبائل التي قام موس بدراستها ترتبط بالشرف و السمعة أي أن للمركز الاجتماعي دور في تحديد هوية الهدية و هذا ينطوي تحت البنية الثقافية للمتفاعلين و هذا ما لم يتطرق له موس (البنية الثقافية المتفاعلين).

فالمكانة الاجتماعية للفرد تجعله يقدم هدايا خاصة و يستلم هدايا تليق بمقامه و مركزه الاجتماعي .

كما يرى موس أن الهدية ليست قيمة موضوعية أو جمادات مينة ، بل الهدية لها روح يمكن أن تكون خبيرة تواصلية و هذا ما قد تطرق إليه العلامة عبد الرحمان ابن خلدون عندما تكلم عن الفعل الخبير .

و إما أن تكون إستراتيجية برقماتية مجردة من زيبها الاجتماعي و هذا ما قد لاحظته موس في تلك المجتمعات التي قد قام بدراستها.

فالهبة و العطاء في مجتمعات الهدية في نظر موس هي التي تخلق المنصب و المكانة المرموقة بواسطة الإنفاق في الأعراس و الاحتفالات و المقامات المراسيمية في مجتمعات البوتلاتش ، هي درجة التبذير الإسراف ، و هذا ما يرفع أسهم التبادل .

كما يرى موسى أن المجتمعات الرأسمالية انبثقت مبادئها النفعية البرقماتية من مجتمعات شبيهة من مجتمعات الهبة¹ .

فهي مجتمعات نتاج الفعل يتصرفون تبعاً للقيم و الدوافع و الحسابات العقلانية و هذا ما قد أوضحه ماكس فيبر قائلًا : (إن ما ندعوه سسيولوجيا هو علم مهمته الاستيعاب –الفهم عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي .

فالهدية المتبوعة بتخطيط استراتيجي تخضع للفعل العقلاني الاداتي ، و ليس التواصل الخالي من شوائب البرقماتية ، لأنه يتجه صوب القيم ، أو صوب هدف نفعي ينطوي على المواءمة بين الغايات و الوسيلة .

فهنا الهدية ليست غاية بل هي وسيلة لكسب معين سواء مادي (مقابل) أو معنوي (كسب الجاه و المجد) و هذا ما قد أوضحه كذلك ماكس فيبر بشكل جلي في كتابه الشهير عن الأخلاق البروستنتينية و روح الرأسمالية .

ثانيا : الدراسة الثانية : دراسة برونسلا مالينوفسكي عن الكولا :

✓ تعريف الكولا :

هو نظام تبادل الهدايا في جزر التروبرياندي في المحيط الهادي ، كما يمارس في بعض جزر ماليزيا و استراليا

و الكولا نظام شعائري تتبعه بعض القبائل الميلانيزية التي تعيش في منطقة جزر واحدة ، تنتشر على شكل حلقة وتكون دائرة مغلقة للتبادل ، و في نطاق هذه الدائرة يتبادل الميلانيزيون مجموعتين من السلع

مجموعة السولافا (المحار) ، و مجموعة الموالي (أسورة) ، و تسير السولافا في اتجاه عقارب الساعة ، بينما تسير الموالي في الاتجاه المعاكس ، و يتم تبادل هاتين السلعتين في كل نقطة من نقاط الدائرة ، و يتبع ذلك حفلات و مراسيم و طقوس

¹ فيليب كايان ، علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية ، (اعلام و تواريخ و تيارات) ، ترجمة اياس حسن ، دار الفرقة للطباعة و النشر و التوزيع ، سورية ، ط 1 ، 2010 ، ص : 48 .

و سحر ، و يقوم الزائر و خاصة إذا كان من ذوي المكانة الرفيعة بتقديم هداياه من النقود مثلا للشخص الذي اعتاد التبادل معه و يأخذ معه في المقابل ذلك بعض الأساور التي تهدي إليه نظير هديته في هذا الحفل الرسمي الكبير الذي أقامه أهل الجزيرة و المشتركون في عملية التبادل هذه ، يستلمون الأشياء لفترة من الزمن و لكنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بها إلى الأبد لأنه يتوجب عليهم تمريرها إلى خط السير المرسوم لها كما تجري العادة .

و قد يذهب الرجال في رحلات الكولا و لا يحملون أي هدايا ليقدمونها إلى شركائهم ، بل يقدموا بذهابهم تذكرة بان عليهم دين شرف قد أن أوان سداه .
يتحقق النجاح في الكولا كما يضمن من يمارسها بإجراء طقوس سحرية لتهدئة الشريك و جعله يشعر بأنه كريم و يستطيع أن ينتظر .

أما الأسس التي تقوم عليها عملية هذا التبادل المؤجل هو أن كل هدية تقدم يجب أن تساوي الهدية المستلمة ، وهذا واجب مقدم الهدية فهو الذي يجري التقديرات .
و يجب أحيانا أن يتأخر الشخص في رد الهدية المناسبة ، و لذلك يجب عليه أن يقدم بعض الهدايا الصغيرة من حين لآخر حتى تتاح له فرصة تقديم الهدية المناسبة .

و الملفت فيما يدل على تفكير الناس في أمور الربح و الكسب و المساومة و مع أن الكولا بصحبه أحيانا نظام مقايضة تجاري ثانوي لسلع تجارية ضرورية و كذلك بصحبه تبادل هدايا و خدمات ، إلا أن هذا التبادل التجاري ليس هو الأساس الذي تقوم عليه الكولا .

و يميز الأهالي بين الكولا و المقايضة ، و لذلك يعيبن أحيانا على الشخص طريقته في تبادل الكولا فيقولون انه (يقوم بالكولا كما لو كان يقوم بعملية المقايضة) .

فهذه العملية ليست عملية تجارية تقوم على المساومة و الى حساب و الى تقدير قيمة الهدية .

و المبدأ الآخر هو أن العرف و التقاليد تحتم على الرجل الذي يقبل الهدية أن يرد إلى المهدي ما يقابل هديته ، و لكن لا يتعرض هذا الشخص لأي نوع من القهر أو الضغط المادي لرد الهدية بمثلها .

و يرى مالينوفسكي أن شريك الكولا يشتري المجد كما يشتري الصداقة ، فشركاءه الذين يعيشون في جزر ثانية يستطيع أن يعتبرهم حلقات و يتوقع منهم الحماية . فالمكاسب الاجتماعية بما فيها الحصول على الشهرة والصيت هي الأساس في هذه العملية .

فالتهادي في هذه الحالة يؤكد الروابط الاجتماعية و الهدايا لا تعطى اعتبارا ، و إنما هي تقدم لمقابلة بعض الالتزامات الاجتماعية المحددة .¹

فتبادل الهدايا و النزول عن الثروة في هذه الجزر كثيرا ما يعبر عن سمو مركز الشخص الذي يعطى عن الشخص الذي يأخذ ، فهذه المسألة أو العملية بعيدة كل البعد عن (الشيوعية البدائية) التي كان يزعم وجودها بعض العلماء²

فتلك المراكز الموجودة بصورة ضعيفة جدا في المجتمعات البدائية ، و التي تعتمد على الصيد و جمع الطعام ، ذلك لان تجوالها بحثا عن الطعام يمنع تكوين ثروة كبيرة ، و حتى استطاع احدهم جمع بعض الثروة التي تتمثل في صيد ضخم أو توفير كمية كبيرة من الخضر و الفواكه ، فانه يصعب نقلها من مكان إلى آخر و لذلك يصعب الاحتفاظ بها لفترة طويلة لتعريها للفساد .

و بالنسبة لهذه المجتمعات البدائية التي تعتمد على البستنة أو الرعي و على كليهما فان المراكز القائمة على أساس الثروة لا تتعلق بجمع و ادخار الثروات و إنما بتوزيع الثروة على الأصدقاء و الزوار و المحتاجين ، و من أوضح الأمثلة لذلك النظام الاقتصادي المنتشر عند قبائل الهنود الحمر و يعرف باسم البوتلاتش و كذا عند قبائل الكولا ، حيث يتمثل في تبادل الزيارات بين القبائل المتجاورة .

¹ فيليب لابورت ، انثولوجيا انثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص :303.

² شكري علياء و اخرون ، دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي و التنمية الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، 1991 ، ص ص : 58 ، 60 .

حيث أن المركز الاجتماعي في هذه المجتمعات يتحدد على أساس توزيع الثروة و ليس على أساس الادخار و المحافظة عليها .

إن الأشياء التي توزع إثناء هذه الاحتفالات ليست هي رؤوس أموال في حالة استثمار ، و إنما أصلح لفظ للدلالة على تلك البضائع هو : هدايا .

و توجد نظم متشابهة في ميلانيزيا حيث ترتفع مكانة الفرد في قبيلته كلما زادت كمية الثروة التي يوزعها على باقي أفراد القبلة في مناسبات معينة ، و يجمع

رؤوس الأموال (التروبريانند) كميات كبيرة من البطاطا ، و لكنهم يقومون بالتوزيع حسب قواعد معينة على جميع انفراد القبيلة في أعيان خاصة .

و هكذا نلاحظ انتشار مبادئ البذل و الغيرية و التعاون في المجتمعات البدائية بصورة أقوى منها في المجتمعات المتقدمة و التي تتحدد فيها مراكز الأفراد على

أساس تخزين الثروة و ليس توزيعها ¹

ومنه فقد كانت قيمة تلك الأشياء المتبادلة في مجتمعات الكولا و التي لا تصلح للزينة و لا تنفع بالمعنى الضيق للكلمة اجتماعية في الأساس ، فقد كانت تعيد

تنظيم الشبكات الاجتماعية و تراتبيتها ².

هدف الدراسة :

كان الهدف من هذه الدراسة هو توضيح الأهمية البالغة لعملية المبادلات في تلك المجتمعات الأولية و كيفية براعتها في تثبيت الروابط القرابية و العشائرية و كيفية

ولادة المراكز الاجتماعية و التراتبيات الطبقيّة مؤكداً قبل ذلك إن الاقتصاد في تلك المجتمعات لم يكن اقتصاداً محضاً بل تتخلله شوائب المعاملات الاجتماعية

و الإنسانية لأنها كانت عبارة عن هدايا صغيرة الحجم لكنها عالية القيمة و الجودة و بها تقاس المكانة و المراكز الاجتماعية البراقة .

وهذا ما أراد مالفينوفسكي تأكيده ، انه مهم كانت هذه المعاملات و التبادلات تبدو في ظاهرها مبنية على روح الربح و الكسب و روح الاقتصاد البرقماتي الذرائعي

¹ عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعة ، بدون سنة ، ص : 250 .

² فيليب لاورت ، أنثولوجيا أنثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص : 303.

إلا أن مضمونها عبارة تعبيراً عن حاجات اجتماعية بدرجة أكبر يطمح المتهادون للوصول إليها ، متمثلة في تقوية و توثيق الروابط الاجتماعية بين تلك القبائل والعشائر .

نوع الدراسة :

أما فيما يخص نوع الدراسة فقد كانت هي الأخرى دراسة انثروبولوجية تعتمد على التتبع الدقيق و الوصف الشامل لكل مقتضيات العملية التفاعلية من جهة و العملية التبادلية لتلك الأغراض و الأشياء الثمينة من جهة أخرى .
أما بالنسبة للتقنية التي قد استعملها مالينوفسكي فقد بدا لي و كأنه اعتمد الملاحظة الدقيقة لعمليات التبادل عند مجتمعات الكولا .

-نتائج الدراسة مالينوفسكي :

لقد كانت ملاحظات مالينوفسكي مركزة بشكل حصري على المبادلات الاحتفالية بين الرجال ، و قد كانت دراساته حديثة حيث قام بها على وجه الخصوص على أساس الانثروبولوجيا الأمريكية . انات واينر (1976) لتوسيع دراسات مالينوفسكي .

ليست شبكات التبادل و الأشياء إلى جنس و متبادلة مقتصرة على جنس واحد فهي تساهم على التحديد الاجتماعي للذكورة و الأنوثة ، فالنساء أيضا لهن مبادلات كما أن المبادلات الاحتفالية كانت مصحوبة بمقايضة سلع نفعية قد أشار إليها مالينوفسكي .

توصل انه في كل مجتمع من هذه المجتمعات هناك إلى جانب الأشياء التي يمكن بيعها أو شرائها ، (قابلية للتصرف و متصرف بها) و الأشياء التي يمكن إعطاؤها (غير قابلة للتصرف و غير متصرف بها) مثل الأغراض المقدسة بالتحديد ، أي أعطيات الآلهة للبشر التي لا يمكن إعطاؤها لأمثالهم ، إذ قضى واجبهم بالحفاظ

عليها ، الأمر الذي لا يمنعهم من إفادة الذين لا يملكون من الحسنات التي تمنحها هذه الأشياء¹.

على الرغم من بساطة هذا المجتمع و هذا النظام إلا انه ينطوي في الواقع على الكثير من المعاملات الجدية الرسمية في نظم المبادلات و العلاقات الاجتماعية المتشابكة و المعقدة فهي عادة ما تسبق بتحضيرات كبيرة لإقامة هذه المراسيم الكبيرة

إن هذا النظام تتخلله توقعات اجتماعية و التزام اجتماعي في العملية التبادلية بين تلك الشعوب و القبائل . و هذا يعني أن التبادل الاقتصادي البحت لا يندم في المجتمعات البدائية .

إن صور التبادل الشعائري التي تتم في جزر التروبرياند يوجد فيها ما يدل على تفكيراً لناس في الربح .

أو الكسب أو النفع الشخصي سواء كان للهدايا فوائد مادية أو لم يكن .

إن نظم الكولا يحقق لإطراف التبادل الحصول على الصيت و السمعة نتيجة لتنازل الشخص عن بعض الأشياء ذات القيمة الرفيعة لأصدقائه.

إن نظام الكولا ينطوي في المقام الأول على مضمون اجتماعي أساسه توطيد أو اصر الصداقة و العلاقات الطيبة بين سكان تلك الجزر².

2 - تقييم دراسة مالنوفسكي :

يبدو أن مالينوفسكي عندما أراد تسليط الضوء على تلك القبائل ، فإنه قد توصل إلى نتائج يقوم مفادها إن في هذه المجتمعات لا توجد عمليات اقتصادية بحتة ، ثم يرجع القول أن تبادل الهدايا كان يقوم على تبادل السلع الثمينة لأجل كسب

السمعة الطيبة و ذبوع الصيت في جو من التكلفة و الرسميات و الاستراتيجيات

¹ بيار بونت ، ميشال ايزار ، معجم الاثنولوجيا و الانثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص : 111 .
² فيليب لاورت ، اثنولوجيا انثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص : 303.

و الالتزامات الاجتماعية .

لذا فانه من وجهة نظري مادام انه يوجد نوع من الإلزام الجبري في تبادل الهدايا هذا يعني أن هناك تبادل في المصالح و السلع الاقتصادية ، أي أن المجتمع لا يمكن أن يكون مجردا من عمليات التبادل الاقتصادي مادام انه يحمل مؤشرات الجو الاقتصادي . هذا من جهة .

و من جهة أخرى فان مالفينوسكي عندما ربط تبادل الهدايا بالطقوس و السحر و أمور غيبية ميتافيزيقية ، فان دراسته كانت تخلو تلك اللمسة الموضوعية و العلمية الدقيقة ، إي انه ربط تلك الممارسات بمتغيرات مجهولة هي التي تحددتها و تتحكم فيها ، دون أن يعطي تفسيراً واضحاً و علمياً لجبرية إقامة تلك الطقوس و الممارسات و السحر في احتفالاتهم ، و ربطها بأمور تحدد الاستقرار و التوازن الاجتماعي .

ربعا : الدراسة الثالثة : نظام التبادل عند قبائل التيف

قام بهذه الدراسة بول بوهانان ، و التيف قبائل تعيش في وسط وادي بنيو في نيجيريا الشمالي ، و تعتمد هذه القبيلة على محصولات القوت و المعيشة من خلال ممارسة الزراعة ، و لكنهم يستكملون نعظم احتياجاتهم من عدد كبير من الأسواق المجاورة و التي تعرض فيها مختلف السلع .

و يميز بوهانان في مجال توزيع السلع و تبادلها عند التيف بين نمطين مختلفين يقوم احدهما على مبدأ التهادي بينما يقوم الثاني على فكرة السوق .

المقصود بالهدية هنا هو تبادل السلع الذي يتم بين الأفراد و الجماعات الذين يرتبطون معا ببعض العلاقات القوية الدائمة ، و يستغرق تبادل الهدايا بين الجانبين فترة طويلة من الزمن ، و بذلك تعتبر الهدية عاملا من العوامل التي تؤدي إلى خلق مثل هذه العلاقات بين أطراف التبادل ، فوجود هذه العلاقة الاجتماعية هو

أهم خاصية تميز التبادل عن طريق الهدية عن طريق السوق ، و لهذه الخاصية اثر واضح في نوع المعاملات التي تقوم بين أطراف التبادل .

و يستخدم التيف كلمة السوق للإشارة إلى كل عمليات التبادل التهادي ، و ذلك لان جميع السلع و الأشياء الصالحة للتبادل يمكن أن يكون لها قيمة مادية ، و بالتالي يمكن أن يكون لها مقابل محدد بكل دقة ما عدا الهدية التي ليست لها قيمة تبادلية .

و لذلك كانت كل العمليات التبادلية تتم بحسب مبادئ السوق و تتخذ شكل البيع و الشراء و هو أمر يختلف كل الاختلاف عما يحدث في تبادل الهدايا .

و الواقع انه على الرغم من اتساع نطاق عمليات التبادل عند التيف و تنوع السلع الصالحة للتبادل ، فان التبادل لا يتم حسب المقارنة بين السلع .

فالمواد الغذائية عند التيف يتم تبادلها وفقا لقواعد السوق لأنه لا يمكن تحديد كميات الطعام التي سوف يتم تبادلها بين طرفي التبادل ، و إنما لا بد من دخولهما في مساومات طويلة حتى يستقر الأمر على تحديد المقادير التي سوف يقدمها كل طرف مقابل الحصول على مقادير أخرى معينة من الطعام من الطرف الآخر .

و يدخل في نطاق هذه الفئة من السلع ، الدواجن و الماعز الأدوات المنزلية و المواد الخام ، فقد تباع المرأة بعض الأيام (نوع من البطاطس) لكي تشتري بعض الأواني و هكذا .

ففكرة البيع و الشراء تسيطر على هذا النوع من التبادل الذي يتم في اغلب الأحيان عن طريق المساومة و المقايضة .

و تتألف الفئة أو المجموعة الثانية من السلع و العبيد و الماشية و القضبان المعدنية فالناس يقدرون العبيد و القضبان النحاسية برؤوس الماشية أو العكس .

و هذه السلع ترتبط ارتباطا وثيقا بمسالة بالمركز الاجتماعي و ذبوع الصيت و حسن السمعة .

فعلى الرغم من أن للعبيد و القضبان النحاسية بعض القيمة الاقتصادية ، فان قيمتها الاجتماعية في هذه الناحية تأتي في المحل الأول ، و لذا فان الناس حتى

يتبادلونها و يطلبون المزيد منها ، فان الهدف الذي يكمن وراء ذلك هو البحث عن مزيد من المكانة الاجتماعية العالية.

و أما الفئة الثالثة من السلع فإنها لا تتألف من سلع مادية بقدر ما تتألف من بعض الحقوق التي يتمتع بها المرء على غيره ن الناس ، و بخاصة الحقوق في النساء و الأطفال ، و لذا فان معظم القيم المتعلقة بهذه العمليات يعبر عنها في حدود و ألفاظ القرابة و الزواج .

و الملاحظ أن كثير من العناصر التي يعتبرها المجتمع الحديث على أنها أشياء او سلع لا يمكن تبادلها في مجتمع التيف و لا تخضع لمنطق التبادل هناك ، و تعتبر الخدمات أهم هذه الأشياء ، لان مجتمع التيف يرى انه من غير اللائق الإشارة إليها في حدود الالفاظ و التبادل .

فتقديم الخدمات هناك مسالة ترتبط بالالتزامات و الواجبات الخاصة بعلاقة القرابة أو بعض القيم الخلقية و الكرم ، و مع أنهم يتناوبون تقديم الخدمات بعضهم لبعض إلا أنهم لا يتكلمون عنها على الإطلاق بنفس الطريقة التي يتكلمون بها عن المسائل الاقتصادية ، و هذا نفسه ينطبق على الأرض التي لا تخضع عندهم لعملية التبادل لان الأرض هي المظهر المكاني للتنظيم الاجتماعي كله¹

✓ هدف الدراسة :

كان الهدف من الدراسة هو توضيح الانفصال الكامن في المعاملات الاجتماعية عند شعوب التيف بين المعاملات الاجتماعية ، و المتمثلة في التهادي ، و تلك المعاملات الاقتصادية المتمثلة في المبادلة و الربح و الخسارة و فلسفة الاقتصاد و السوق .

كما أراد بوهانان الوصول إلى نتيجة مفادها أن شعوب السكان الأصليين كانوا يميزون بين الواجبات الاجتماعية و بين المعاملات التي تدخل في الإطار الخلفي و الكرم ... الخ .

¹ ابو زيد احمد ، البناء الاجتماعي ، مرجع سابق ذكره ، ص ، ص : 233 . 234 .

و كذا لما أراد توضيح فكرة إن هذه الشعوب تعي تمام الوعي بالتنظيم الاجتماعي الذي يحكم تفاعلهم ، مؤكدا على عدم التصرف فيه لأنه حق الجميع ، و أعطى مثلا لذلك في (تبادل الأراضي) .

1- نتائج الدراسة :

- ✓ وجود نوعين من السلع متبادلة في مجتمع التيف ، حيث يقوم تبادلها كذلك على نوعين من التعاملات . الولي تقوم على أساس عملية التهادي ، أما الثانية فهي تقوم على أساس فكرة السوق .
- ✓ يوجد طريقة مختلفة للتعامل الذي يقوم بين أطراف التبادل لكل من هذين الطرفين من التبادل .
- ✓ أن المساومة و المقايضة تنطبق فقط على السلع التي يحكمها السوق ، بينما الهدايا لا تقدر بسعر و لا تحصل فيها المساومة¹ .

3 -تقييم دراسة بوهانان :

إن المتمعن في هذه الدراسة سيلاحظ حتما أن بوهانان لم يتطرق إلى ذكر الأشياء المتبادلة سوى الأراضي التي كانت كمثال ، كما انه لم يذكر الأطراف التي تتم بينها عملية التهادي ، و لا إلى المناسبات التي تقدم فيها الهدايا و لا حتى كيف تتم هذه المبادلات هل هي جبرية و إلزامية أم أنها طوعية و اختيارية ، بل ذكر إن هذه الشعوب تفرق بين المبادلات الاجتماعية و الاقتصادية و فقط .كما أن بوهانان عندما أقدم على هذه الدراسة كان ينقصه الكثير من الضبط العلمي و المنهجي ، فلم يتكلم عن التفاعل الاجتماعي بكل مظاهره (التماسك الاجتماعي ، الصراع الاجتماعي ، المنافسة ، المركز الاجتماعي ... الخ)

بل كان حديثه عن مجرد أمور سطحية ، لكن هذا لا يقلل من شأن الدراسة كونها فريدة من نوعها ، حيث أقدمت على استكشاف و معرفة طبيعة المبادلات لدى هذه

¹ فيليب لايبورت ، اثولوجيا انثروبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص :303.

الشعوب البدائية المليئة بالغموض في ممارساتها و تفكيرها و كل حياتها الاجتماعية .

✓ نوع الدراسة :

لقد كانت دراسة انثروبولوجية اجتماعية .

أما بالنسبة للمنهج المستخدم فقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي معتمدا على الملاحظة بالمشاركة

خامسا : الدراسة الرابعة : دراسة سوسبري عن قبيلة السيانة :-

تقطن قبيلة السيانة في مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة ، و درسها سوسبري عام 1952 ، حيث يميز السيانة حين يوزعون الأشياء الثمينة و الخزائير وأدوات الزينة المصنوعة من الصدف و ريش طائر الفردوس بين أعضاء الجماعات المستقلة ، و بين أنواع من المواد الأقل قيمة من البضائع التي يتداولها الأقارب و الجيران في الحياة اليومية الاعتيادية.

يطلقون على النوع الأول من التبادل اسم (كيميائي) و على الثاني اسم (امياي)، و يتم تقديم الكيميائي في المناسبات التي يتم فيها تقديم الهدايا في اغلب الشعوب

ذات التكنولوجيا البسيطة مثل الولادة و حفلات الزواج ، و حين يتوصلون إلى السلم بعد حادث قتل ، كما يحدث في طقوس الحفلات الموسمية و تعتبر الهدية تبادلا بين الجماعات و ليس بين الأفراد ن فيقدمها ممثل عن أجدى الجهتين و تتسلم بخطاب شكر احتفالي يلقيه ممثل الجهة الأخرى ، و تسجيل الكمية المقدمة تسجيلا دقيقا .

و تتمثل كل مادة ثمينة برقاق من الخيزران ، فحين تقدم الهدية تدفق المواد التي تحتوي عليها برفع لاقاقة واحدة مقابل كل مادة ثمينة من كومة الخيزران .

و لكن المبدأ الذي يراعى داخل الجماعة هو أن المساعدة (امياي) تقدم دون إجراء تسجيل ، و تشمل المناسبات التي يكافأ بها العاملون بالطعام ، أو بحصة من المحصول عند الحصاد .

و يحافظ على مبدأ المقابلة بالمثل إلى حد ما ، بالرأي العام الذي يحكم بالرضي أو الاستنكار على من يقدم المساعدة .

و يبين سوزبري أيضا أن هناك في بعض الأحيان حسابات تجري أكثر مما يغترف به السيانة .

فهم يحصلون على ملح الطعام و هو مادة نادرة في مرتفعات غينيا الجديدة بالمساعدة (امياي) من الأصدقاء أو من شركاء تجار في القرى التي ينتج فيها فتزور جماعة من الرجال قرية ملح الطعام مصطحبة معها الخزائر التي يذبحها مضيفهم لتقديمها طعاما لهم ، و حين يغادرون فان هدية الوداع تكون من أقراص ملح الطعام .

و تقرر العلاقات الاجتماعية نوع التبادل بين المجتمعات فالتبادل بالكيماي لا يمكن أن يجري بين أشخاص يعتبرون أنفسهم أعضاء في جماعة تعترف بالالتزام (امياي) فهي طريقة لخلق أحلاف بين الجماعات التي بدونها ممكن إن صبح هذه الجماعات أعداء¹

✓ هدف الدراسة :

أراد الباحث توضيح فكرة أن الشعوب البدائية كيف تفرق في معاملاتها بين السلع العادية و السلع الثمينة في تبادلاتها الاقتصادية و علاقاتها الاجتماعية الداخلية و الخارجية ، و كيف أن هذه المعاملات تخلق جوا مفعما بالتفاعل الاجتماعي الذي يقوي من الروابط و الصلات بين هذه الشعوب .

أما بالنسبة للدراسة فقد كانت دراسة انثروبولوجية اعتمد فيها الملاحظة بالمشاركة

¹ مير لوسي ، مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية ،ترجمة شاكر سليم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ص : 208 .

1-نتائج الدراسة :

لقد توصل سوزبري إلى النقاط التالية :

- ✓ إن نوع التبادل في هذا المجتمع تفرره بالدرجة الأولى العلاقات التفاعلية و البنائية بين الجماعات
- ✓ وجود ظاهرة الكرم عند هذه الشعوب .
- ✓ يتم تبادل الهدايا على مستوى الجماعة و ليس على مستوى الأفراد .
- ✓ هناك نوعان من التبادل :التبادل بالسلع الثمينة و التبادل بالسلع العادية و اليومية
- ✓ كل هدية تقدم بجب أن يقابلها هدية أخرى .
- ✓ وجود ظاهرة الإلزام في تقديم الهدايا.¹

سادسا : الاستنتاج العام من الدراسات السابقة :

تتميز الدراسات الكلاسيكية عن الهدية بتفسيرات خطيرة ، لأنها غير قادرة على استيعاب بنحو كافي و أعمق لمعاني الهدية ، و ربطها بعلم الماوراء و الطبيعة و بعبارة أخرى هناك حاجة إلى نظرية ابلغ تحليل بفكر حدائي ، خصوصا أن هذه الدراسات تركز على علم غير البشرية (إرضاء الآلهة و الطبيعة) و إدخال علاقات القرابة و السلطة و التبادل و أرواح الأموات من اجل الحفاظ على النظام الاجتماعي و الكوني عن طريق الاحتفالات و الطقوس المقامة خوفا من الانتقام . إلا أن نظرية الممارسة العملية ليبار بورديو أضفت نوعا من الملموسة و الواقعية باعتبارها قد عالجت ما هو موجود في إطار الفعل الاجتماعي و في معنى مفهوم إلى حد بعيد .

هذا لا يعني أنني انقص من القيمة العلمية لتلك الدراسات لأنني لست في مستوى ذلك ، ولاتها حوت إبداعات فكرية و استكشافات كانت بمثابة البنية الأساسية لدراستي المتواضعة ، و كذا لدراسات أخرى في المستقبل بعون الله .و هذه من

¹ الهدية شكل من اشكال التفاعل الاجتماعي ، alhadia com

- طبيعة العلوم تراكمية متزايدة ، الواحدة منها تكمل الأخرى ، و منه فقد توصلت إلى النتائج التالية من خلال اطلاعي على هذه الدراسات :
- ✓ الارتباط الوثيق بين النظم الاقتصادية و النظم الاجتماعية .
 - ✓ وجود صفة الإلزامية في تبادل الهدايا .
 - ✓ وجد ظاهرة الكرم و التضامن و التماسك الاجتماعي معززا بتبادل الهدايا
 - ✓ إن الهدايا تحدد المركز الاجتماعي للفرد داخل القبيلة أو الحقل التفاعلي الذي ينتمي إليه .
 - ✓ إن المركز الاجتماعي هو بدوره يحدد نوعية و قيمة الهدية المعطاة أو المتلقاة .
 - ✓ بوجود الهدية هناك سلطة تمايز بين المتهادين .
 - ✓ إن الهدية تعبر عن رمز و ثقافة و مكانة الفرد .
 - ✓ تختلف دلالات الهدية باختلاف ثقافة الشعوب و الوقت الذي هي موجودة فيه . يقدر أن ما للهدية اثر في إضفاء علاقات التضامن و التماسك الاجتماعي ، إلا أن لها دور خفي في إنتاج نوع من السلطة القهرية الرمزية و العنف و المنافسة ، و غير ذلك من مظاهر العلاقات الاجتماعية التفاعلية السلبية بين الأفراد .
 - ✓ لاحظت كذلك إن عملية التبادل تبدو و كأنها ضرورية في الحياة الاجتماعية ، لأنها تمس جوانب حساسة من حياة تلك المجتمعات كالثقافة و الأخلاق و الاقتصاد و حتى القانون في تلك الممارسات الطقوسية التي تدون فيها الهدايا لدى مجتمعات السكان الأصليين .

خلاصة الفصل :

وفي الأخير و بعد عرض هذه الدراسات التي تناولت التبادلات بمفهومها الواسع نصل إلى أن الهدية كانت موضوعا جدير بالدراسة لكونه يلم تلك الأفكار و الأبحاث الانثروبولوجية و الاجتماعية في نفس الآن .

لان فكرة التبادل صارت تأخذ أهمية كبيرة بدءا من اللحظة التي أكدت فيها عدد كافي من الدراسات الاثنوغرافية المهمة بالحياة الاقتصادية و الاجتماعية لشعوب السكان الاصليين ، و لا تزال الدراسات خ متواصلة ، حيث حاولت هذه الأخيرة تصنيف أنماط التبادل و مقارنتها بدرجة المبادلة المطلوبة ، و نوعية الروابط الاجتماعية (تضامنية ، سلطانية) في تداول العطايا كهدية ، أو تبادلها كمعادلة بمساومة دائمة ، و معاملة نفعية محضة تؤثر في المسافة الاجتماعية بين الشركاء في العملية التفاعلية ، أي تحول التبادل إلى دفعة لدفعة .

و منه نصل إلى القول أن التبادل التجاري في هذه المجتمعات يقيم علاقة كمية بين أشياء مينة يتم تداولها بين افر قاء مستقلين عن بعضهم البعض ، لكن تبادل العطايا يتصف بإقامة علاقة نوعية بين افر قاء متعلقين ببعضهم البعض ، يتداولون فيما بينهم أشياء غير مبيعة .

ويفترض دائما هذا النوع من المبادلة وجود ثقة و مهلة قبل تسليم الأغطية المقابلة يكون غرضا موازيا و من الدرجة نفسها أو أكثر لكي يوفي المهدي له دينه ، و إلا سيتعرض الشخص لفقدان موقعه الاجتماعي .

كما أن المجتمعات التي يمكن أن نلاحظ فيها أنظمة كهذه لا تعرف التمايز الوضعي الخاص بمجتمعاتنا بين ذات و موضوع ، شيء و شخص ... الخ .

لذا يجب علينا خلال دراستنا إن نعنتي باستخراج تصوراتنا عند التبادل بأكثر أمانة ممكنة ، و هذا كل ما تفعله كل من مؤلفات : موس - ك. بارو - د . دوكوبيت - ايتاينور - رجاموس ... الخ .

على سبيل المثال و من جهة أخرى ، و هذا أمر أساسي ، إن كل محاولة تقتصر التبادل على الأخذ و الرد ، ظاهر أو مظهر يجب أن تستبعد كلياً في بعض

المجتمعات ، أو في بعض دوائر مجتمع ما يمكن أن يدير التبادل كنظام هكذا ، لكن هذه ليست الحالة العامة على الإطلاق ، يجب دائما مراقبة التصورات و الممارسات التي تمثل الاثنوغرافي ، إذ لا يمكن استنتاج شيء في هذا المجال¹ . إلا أنني أريد توضيح كيفية تأثير المجال التفاعلي بين الأفراد في طبيعة و دلالة الهدية ، و كذا في تحديد آليات التبادل و التهادي ، بغض النظر عن أي أفكار مسبقة عن الأخلاق أو الاقتصاد أو الثقافة ، أي أنني أريد أن تظهر هذه الأمور في دراستي لوحدها فعند نزولي للميدان يستوضح كل شيء هذا من جهة ، و من جهة أخرى أريد التطرق و التركيز على دور البنية الثقافية في عملية التهادي ، لان الدراسات السابقة لم تتطرق بالقدر الكافي إلى هذه النقطة ، أي أريد تسليط الضوء على المجال الاجتماعي التفاعلي بصفة عامة ، و إجراء مقارنة بين عدة مجالات اجتماعية ، بما في ذلك المجال العمراني و المجال الزماني ، أي تغير الهدية بتغير الوقت و بفاعل التغير الاجتماعي .

كما أن هذه الدراسات كلها تناولت موضوع الهدية من منظور ضيق ، كواجب اجتماعي و في بعض مجتمعات السكان الأصليين ، نلاحظ خروج الهدية عن شرعيتها ، لذا سأطرق في دراستي هذه إلى الهدية ليست كأداة للصراع و التمايز الاجتماعي ، و إنما باعتبارها رمز ثقافي يستخدمه المتفاعلون في حياتهم اليومية له اثر و معنى في ذهنيان المتفاعلون .

و منه فان كل ما و رد غي هذا الفصل كان عبارة عن دراسات سابقة سأحاول أن أضع منها القاعدة الأساسية و التصور الانطلاقي لدراستي هذه ، و التي ستكون بعون الله مفيدة و أتت بالجديد في هذا الحقل العلمي . و كذا مصورة بكل واقعية و موضوعية واقع التبادل في مجتمعنا الحالي في إطار المجال التفاعلي لهذا المجتمع محاولة في ذلك إن شاء الله اخذ متغيرات و مؤشرات افترضتها لقياسها ميدانيا معتمدة في ذلك على مقاربات سسيولوجية و تيارات كبرى لتحديد معالم دراستي الامبريقية .

¹ فيليب لا بورت ، معجم الاثنولوجيا و الاثنوبولوجيا ، مرجع سابق ذكره ، ص : 254 .

لذا سأطرق لتوضيح الخطوط العريضة لهذه التيارات لتوضح الرؤية و يفهم الموضوع أكثر ، بوضع حجر الأساس لهذه الدراسة و هو المقاربة السسيولوجية لإضفاء الشرعية العلمية لبحثي المتواضع .

الفصل الخامس الإجراءات المنهجية للدراسة

تمهيد

أولا : الإطار التحليلي للدراسة

ثانيا : الإطار المنهجي للدراسة

1. المنهج المستخدم

2. أدوات جمع البيانات

أ – شبكة الملاحظة

ب – المقابلة

3. مجالات الدراسة

أ – المجال المكاني

ب - المجال البشري (المعاينة)

ج – المجال الزماني

4. كيفية معالجة البيانات و المعلومات

5. صعوبات الدراسة

مقدمة :

هناك ظواهر طبيعية او حياتية او تكنولوجية او انسانية او اجتماعية موجودة في الميدان ، و يلاحظها الانسان في الميدان ، و عليه فالبحث عنها يتم في الميدان و في مكان تواجدها كمصدر لجمع البيانات الخاصة بها ، و بالتالي تتم معرفتها ، و عموما فانه يستخدم هذا المنهج الاستقرائي كاسلوب في التفكير

حيث انني و من خلال هذه الدراسة انطلق من الخاص الى العام ، او التعميم في النتائج حسب كل المجالات الاجتماعية بنماذجها الثقافية المختلفة .

حيث يرى عبد الحميد محمود سعد بان العلم هو نشاطا معرفيا انسانيا و نتاجا ثقافيا و مجتمعيا يتم التوصل اليه باتباع المنهج العلمي .

اما الامام ابي حامد الغزالي فهو يرى ان العلم هو اليقين العقلي الماخوذ من الحسيات .

وبعد فحص العقل لها و تفتيشه على ماخذها ، هل هي مستوفية لشروط الاحساس الصحيح ام لا ؟ و ما من المتوترات ن بعد تفتيش العقل و اعتماده و اما من الوجدانيات ، بعد الفحص العقلي ، و اما من التجريبيات بعد الفحص العقلي ، و اما من القضايا الفطرية للقياس ، بعد الفحص العقلي ، فكل ذلك لا ثقة به ، الا بعد تفتيش العقل و فحصه ، ثم اعطائه الحكم بانه صحيح او غير صحيح .

حيث انني و من خلال كل ما سلف حاولت ان اتناول الفعل الاجتماعي الرمزي ، متخذة موضوع التهادي كنموذجا عن ذلك ، باعتبار ان التهادي يختلف معناه و مضمونه حسب كل مجال تفاعلي .

فقت بتقسيم مجتمع الدراسة الى نماذج ثقافية متخلفة ، كل منها يفسر حسب مرجعيته الاجتماعية و الثقافية ، متبينة في ذلك مجموعة من النظريات السسيولوجية الحديثة و المفسرة لظاهرة التهادي و في قالب سسيوثقافي للفعل ، و منه فقد انطلقت من خلفية

نظرية اجتماعية الى الميدان باعتباره مسرح اجتماعي تعرض في كل التفاعلات الاجتماعية ، لذا و بعد عرض المعالجة النظرية للموضوع فان الدراسة الميدانية اشتملت على الخطوات التالية :

اولا : الاطار التحليلي للدراسة :

تحتل النظرية العلمية مكانة متميزة في البحث العلمي بصفة عامة ، سواء اكان موضوع البحث ظاهرة طبيعية او ظاهرة انسانية، لان النظرية العلمية :

✓ تساعد اي علم في تحديد هويته و موضوعاته الاساسية ، الامر الذي ساهم في ابراز دوره المعرفي التراكمي ، حيث يحدد في ضوئها ما يجب دراسته اكثر من غيره و ما الذي ما لم يدرس ، و مستوى ما توصل اليه .

✓ كما ان النظرية الاجتماعية تثري البحث بواسطة ارهاصات مهمة للاستقصاء المستقبلي و تقدم القاعدة المنطقية للتنبؤ الاجتماعي ، و هذا خلافا عن التوضيح و التفسير للاختلافات و التباينات في بعض المفاهيم و التعاريف .

✓ كما تعتبر المصدر الرئيسي لصياغة الفرضيات و احد مكونات الاطار المرجعي لتفسير البحوث .

الا ان عدم تشابه النظريات الاجتماعية من ناحية مضامينها و اهدافها ووظائفها بسبب ارتباطها بالاديولوجيات التي تعكس مصالحها ووجودها .

وكذا الفرق الواضح بين النظريات التي تعتمد التحليل الماكروسيولوجي والنظريات الميكروسيولوجية أي نظريات الحداثة وما بعد الحداثة حيث شهدت أوروبا في ستينيات القرن العشرين موجة النقد التي عرفها السيولوجي بحركة متزايدة من النقد والتقييم لنظريات علم الاجتماع السائدة.

حيث وجه العديد من علماء الاجتماع أبحاثهم وجهودهم لصياغة مجموعة من البدائل النظرية التي يمكن أن تحل محل النظرية الكلاسيكية.

وعند ظهور البدائل النظرية ظهرت مدارس فكرية متنوعة داخل علم الاجتماع ومن بينها نجد التفاعلية الرمزية. الاتجاه الفينومينولوجي و الاتجاه الاثنوميتودولوجي والبنويوية التكوينية والعديد من النظريات النقدية المعاصرة.

والغرض الأساسي لعلم الاجتماع هنا هو فهمه الجماعات الإنسانية والمجتمعات في خضم الفعل الاجتماعي والتعليل الميكروسيولوجي لفهم كيفية ممارسة وفهم هذه المجتمعات الإنسانية وعلى إثر هذا التساؤل جاءت تلك البدائل النظرية ابتداء من التفاعلية الرمزية والتي وظفت الرموز لوسائل اتصال باعتبارها مفاهيم هامة لفهم الحياة الاجتماعية.

أو باعتبار أن التفاعل هو سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين الأفراد (أي بين فرد وجماعة أو في ما بين الجماعات).

لذا فان تبادل الهدايا هي عملية تفاعل اجتماعي , حيث يكون فيها الفرد المهدي على علاقة واتصال بعقول الآخرين وحاجاتهم ورغباتهم الكامنة حسب كل مجال اجتماعي, نحن بصدد دراسة مميزات نماذج الثقافة والعمرانية, باعتبار أن الهدية منتج ثقافي حيث يرى أنتوني غدنز ان تلك الثقافة الاجتماعية تعنى بالقضايا المتصلة باللغة والمعنى.

لذا فان وحدة التحليل للفعل الرمزي هي معنى التفاعل أو الفاعل الاجتماعي في إنتاج نوع من العلاقات الاجتماعية داخل كل مجال تفاعلي.

لذا فان تداول الهدايا وتبادلها بين الأفراد يفرز معاني ورموز هي نتائج لذلك النموذج الثقافي السائد والذي من خلاله يفسر الافراد وتطور معاني ودلالة تلك الهدايا . لان هذه العملية الاجتماعية تبدو في ظاهرها بديهية لكن المتمعن فيها انها شفرة ذات مفعولية وهيمنة اجتماعية وثقافية داخل المجال التفاعلي او الحقل كما يراه بيار بورديو ينتج سلطة رمزية من خلال تلك الممارسات اليومية التي تبرز من ظاهرة التهادي او العلاقات الاجتماعية بمفهومها الواسع

كما ان طبيعة هذه العلاقات الاجتماعية ماهي الا نتاج لرأس مال ثقافي داخل الحقل او النموذج الثقافي داخل المجال الاجتماعي التفاعلي الذي بدوره يلحق مبادئه واساليبه لتابعيه من خلال التنشئة الاجتماعية او الثقافية او كما هو معروف بالمفهوم البوردوي بالتطبع فهذا النوع من التفاعل الاجتماع الرمزي يكتسبه الفرد الفاعل من خلال بيئته الاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها ومالقنته اياه العادات والتقاليد والقيم وطبيعة البيئة الاجتماعية والثقافية السائدة . لان النموذج الثقافي السائد يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة الممارسات الاجتماعية

بما في ذلك تبادل الهدايا وتداولها بين الفاعلين الاجتماعيين . لان تبادل الهدايا يستلزم تحديدها نوعها وقيمتها المادية والمعنوية اي دلالتها وكذا المناسبة التي تقدم فيها وكذا الاطراف المتهادون. لان الهدية منتج ثقافي وكسلاح للسيطرة لانه يتصف (الذوق الرمزي) الذي من خلاله يستطيع الفرد المهدي ان يمارس به سلطة على غيره وهذا ماقد رايناه في الدراسة النظرية السالفة عند قبائل السكان الاصليون وكيف ان ظاهرة التهادي تأخذ عنهم طابع الالزام وتفرز بين الطبقات الاجتماعية لذا فان هدفي فهو معرفة ما اذا كان هذا الامر ينطبق في واقعنا الحالي ام لا ؟ لان تبادل تلك الرموز سواء اكانت بمفهومها المادي والمعنوي يستتطق البعد . النفسي والوجداني للمتهادين كطريقة اختيار الهدايا لمناسبات معينة وميولهم لنوع معين من الهدايا دون الأخرى وهذا بطبيعة الحال ما يدخل ضمن إطار الذوق الاجتماعي أو الذوق المشترك لمجموعة من الأفراد ينتمون لنموذج ثقافي واحد وهل هذه الأمور تتشابه ونماذج ثقافية أخرى أم لا ؟

نفس الأمر ينطبق عن البعد العقلي أي الأفكار والمبادئ والقيم والتي غير ذلك ، دون أن ننسى البعد الأخلاقي في تبادل الهدايا لأنه يعتبر مؤشر الاصل الاجتماعي كما يري ذلك بيار بورديو .

(.....que l habitus est en systeme de disposition logiques ethiques esthetique et pratiques que nous incline a per evoir penser juges et agir d un cert aine facans)

فكما يبدو من خلال ما يعنيه بورديو ان التهادي هو نوع من فرض المنتجات الثقافية كنوع والقيمة المادية وبوجه الخاص للهدية .

وكما توضح لي وبشكل جلي من خلال الدراسات السابقة وكذا الدراسة الاستطلاعية التي قمت بها أن بعض الأفراد الذين يتهادون يمارسون نوع من السلطة الخفية علي بعضهم البعض دون أن يدركوا بأنهم مقهورون وتابعون ثقافيا لنموذج معين فيتعاملون ويردون الهدايا طبقا لما اهدي إليهم . لذا فقد أصبحوا منصاعين لذلك النموذج الثقافي دون وعي منهم كما قد صرّح ذلك بيار بورديو عندما قال:

>> ان السلطة الرمزية هي سلطة لامرئية ولايمكن ان تمارس الا بتوطئ أولئك الذين يأبون الاعتراف بأنهم يخضعون لها بل ويمارسونا<< .

لذا فإن هذا الفرع من السلطة يعتبره جل الناس بديهيات في العلاقات الاجتماعية ولأن هذا النوع من السلطة أو القهر الخفي يصيب نفسية الفرد فيقتل فيه نفسية الإبداع في اختيار مثلا نوع الهدية كشيئ لم يعترف به كهدية في ذلك النموذج الثقافي لذا ان حدث امر كهذا فانه ينشب صراع ثقافي خفي بين اصحاب النموذج الثقافي السائد وبين من أبدعوا وجددوا في أنواع وقيمة الهدية وكذا الأطراف المتهادون والمناسبات التي تقدم فيها الهداية ومن هنا يعاد إنتاج نوع جديد من العلاقات الاجتماعية بواسطة صراع ذو محتوى ثقافي وخلق التمايز بين النماذج الثقافية والمجالات الاجتماعية – هذه الفكرة هي التي دفعتني للبحث عن هذا النوع من الرؤية السيكلوجية في مجتمعنا الحالي باختلاف مجالاته ونماذجه الثقافية . لذا أود أن اعرف كيف تعمل الهدية على الإنتاج وإعادة الإنتاج للعلاقات الاجتماعية في واقعنا – بعيدا عن القلب النظري المطروح و الذي اشار ليه بيار بورديو كما سلف لي و ان طرحت وجهة نظره بالنسبة لوضع التهادي . وهل كل هذا الكلام ينطبق ودراستي الميدانية أم لا ؟ أي الربط بين النظري والامبريقي في دراسة طبيعة العقل الإنساني باعتباره أن له غرض وهدف معين إما أن يكون من اجل التواصل

والتماسك الاجتماعي وإما أن يكون استراتيجي كما أوضح ذلك يورغن هابرماس عندما قسم الفعل الإنساني إلي نوعين من الفعل فان الهدية الإستراتيجية أو تواصلية ينكشف غموضها من خلال تصنيف غرضيتها في تحديد نوع العلاقات الاجتماعية التي تنتج عن عملية التهادي . باعتبار أن

هذه العملية التي تتم بين طرفين أو أكثر بمثابة لغز رمزي يستعملها الأفراد للتواصل والتماسك الاجتماعي تنتج فهما مشتركا في إنتاج وعي حقيقي داخل ذلك النموذج الثقافي بالقيمة المعنوية دلالة معينة لذلك النوع من الهدايا دون أن ينتج في مجال اجتماعي أخر ربما ، وهذا ما أود الوقوف عنده ميدانيا والتأكد منه . حيث ان هذه الدلالات المعنوية للهدية اعترف بها اجتماعيا وثقافيا عبر الزمن وفي مكان ، اي ضرورة الوقوف عند طبيعة المجال العمراني في الدراسة ومدى تأثيره في إضفاء هوية معينة للهدية بين المجالات الاجتماعية باختلاف بناها الثقافية ومجالاتها العمرانية هذا من جهة .

ومن جهة أخرى محاولة الوصول إلي دلالة الهدية عبر الزمن أي هل تغيرت دلالاتها في نفس المجال الاجتماعي عبر الوقت أم لا وهل تغير الذوق في

اختيار الهدايا في ذلك النموذج الثقافي باعتبار ان التهادي يخضع في تفسيره إلي تحديد الهوية الاجتماعية للفاعلين(المتهادين) وجديته في اختيار الهدايا وإخفاء المعاني الرمزية عليها . لان كل رمز هو منتج ثقافي وله معني للتواصل يؤدي الي التحاور والفعل التواصلي ثم إلي العمل العقلاني وبانتشار التماسك بعد حدوث الفهم المشترك للحدوث الخير العام .

حيث ان المستوي التعليمي يعتبر كمؤشر من المؤشرات التي نقيس بها طبيعة النموذج الثقافي وباعتبار كذلك راس مال رمزي كما صرح ذلك بار بورديو . لذا فان عملية التهادي بين النخبة المثقفة هي التي تفرز التغير في نوع الهدايا

والأطراف وكذا المناسبات التي تقدم فيها الهدايا . لأنها القادرة علي إنتاج المعاني والمعارف الجديدة ولهم القدرة علي التأثير في باقي الفاعلين الاجتماعيين من الناس للهدايا لذا تجدني ركزت بصفة كبيرة علي طبيعة النموذج الثقافي في إلباس الهدية هوية معينة ،دون أن ننسي أن هذا الخيار هو ليس بالحتمي والإجباري فالناس دائما لهم الحق المطلق في اختيار نوعية الهدايا التي سيقدمونها من اجل الوصول إلي مبتغاهم الاجتماعي في إنتاج العلاقة الاجتماعية المقصودة أي أن الأفراد لهم هامش من الحرية في اختيار وسيلة التواصل الاجتماعي وهذا ما أشار إليه هابر ماس بشكل واضح لأنه يري بأن ذلك له علاقة وطيدة في تشكيل الهوية الفردية للمتهددين وطبيعة علاقاتهم الاجتماعية بتواصلهم الفكري قبل الاجتماعي .

حيث أنني حاولت في دراستي الميدانية ان اقسم مجتمع الدراسة إلي أربعة نماذج اجتماعية ، ومجالات من خلالها أسهل عملية الدراسة الامبريقية وذلك نظرا لخصوصية كل مجال اجتماعي بمؤشراته وخصوصياته . فاعتمدت في عملية التقسيم هذه علي بعض المؤشرات السيولوجية التي دعمني بها الأستاذ المشرف رعاه الله .

فتوصلت من دراستي الاستطلاعية من خلال الملاحظة المركزة لتفصيلات الحياة اليومية بأفعالها ومحركاتها علي نبض الفعل الرمزي لمجال تفاعله إلي أن التباين يبدو واضحا بين مجالات التفاعل الاجتماعي . وكذا تبين لي كيف إذا المجال العمراني والنموذج الثقافي لكل مجال اجتماعي للشرائح التفاعلية تبرز هذا الاختلاف وخصوصا أنني ركزت في ملاحظتي وكذا المقابلة التجريبية التي أجريتها علي بعض الأفراد ا اثر الفعل الرمزي في تحريك ودفع العلاقة الاجتماعية نحو التغير وارتداء حلة جديدة .

فتبين لي ان الافرد تختلف آراؤهم باختلاف النموذج الثقافي الذي ينتمون إليه .
وانتمأتهم الجغرافية.فكان مجتمع الدراسة هو ولاية الأغواط فقامت بتقسيم محل
الدراسة إلي نماذج ثقافية وعمرانية مختلفة كل واحدا منها لها مؤشرات والتي
تعطي كل نموذج هويته وطبيعته الشرعية وكانت المجالات الاجتماعية كالاتي

1/ مجال بدو

2/مجال شبه بدو

3/ مجال شبه حضري

4/ مجال حضري

وجاء التقسيم طبقا لما يلي :

✓ طريقة كسب المعاش من الزراعة -الصناعة - رعي - خدمات -/اي
نشاط اقتصادي ممارس داخل مجال اجتماعي
✓ خصوصية البنية الاجتماعية وما تتضمنه من علاقات اجتماعية (هل
الأفراد المتفاعلون هم عشرة واحدة أو تجمعهم علاقة دموية أم علاقة
نسب أو جيرة .

هل هذه العلاقات تتميز بالتضامن او بالمنفعة - هل هي علاقات تقليدية او
حديثة

- ✓ طبيعة الأسر(ممتدة ، نووية(فردانية))
- ✓ طبيعة النمط العمراني (بيوت شعبية - خيم-عمارات - فلات)
- ✓ المؤسسات والهيكل الإدارية المتواجدة بالمنطقة
- ✓ تعداد السكان والتركيبية السكانية
- ✓ مدي امتلاك السكان للأجهزة الكهربائية والكهرومنزلية

✓ مدي تواجد المؤسسات الحكومية بالمنطقة

وبعد الإطلاع علي المناخ الاجتماعي تبين لي وبوضوح ان المدينة تحتوي علي مؤهلات سيو ثقافية وتاريخية جد عريقة ، كبنيات من العهد الفرنسي ومنذ ان كانت الجزائر ولاية عثمانية . لما تحتويه المنطقة من بنايات تركية ومعالم أثرية جد ثمينة .

حيث تعرف الولاية انها جماعة عمومية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستغلال المالي وذلك طبقا لقانون 90/90 المؤرخ في 1990/04/07 والمتعلق بالولاية . حيث اشتقت ولاية الأغواط من التقسيم الإداري سنة 1974 . حيث تبلغ مساحتها

حوالي 25052 كم ويبلغ عدد سكانها 466-882 نسمة أي ما يقارب 13 ساكن في كم 2 . تلقب بعاصمة السهوب ويرجع اصل سكانها إلي البربر حيث قال ابن خلدون (و ما الاقواط . هكطا بالقاف) وهم فخذ من مغزاوة... فهم من

نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد ولهم هناك قصر مشهور لهم فيه من فريقهم من أعقابهم .

حيث أنني افترضت في دراستي لموضوع تبادل الهدايا وعلاقته بإنتاج العلاقات الاجتماعية داخل المجال التفاعلي الفرضية التالية :

لكل مجال اجتماعي نموذج ثقافي يضفي عليه خصوصية معينة . حيث انه كلما تغير هذا النموذج الثقافي المتواجد في المجال العمراني محل الدراسة تغيرت هوية الهدية حسب كل مجال تفاعلي ، والمقسم بدوره إلي أربع مجالات اجتماعية (يدوي شبه يدوي – شبه حضري – حضري)

حيث كان تركيزي علي :

- ✓ طبيعة المجال الاجتماعي
- ✓ طبيعة النموذج الثقافي السائد داخل المجال التفاعلي
- ✓ طبيعة النموذج العمراني في المجالات الاجتماعية
- ✓ دلالة وهوية الهدية داخل كل مجال اجتماعي

ومنه فقد قمت بتقديم أو طرح اتجاهات نظرية مفسرة للتفاعل الاجتماعي الرمزي واستهليتها بنظرية الممارسة العملية ونظرية الإنتاج وإعادة الإنتاج العلاقات الاجتماعية لصاحبها بيار بورديو، وقمت اسقاط موضوع التهادي علي هذه المقاربة النظرية بالإضافة إلي أن بيار بورديو تكلم شخصيا عن التهادي وكيف تعمل علي خلق التمايز الاجتماعي داخل المجال الاجتماعي وهذا ما قد قمت بالتطرق إليه سالفًا بالمعالجة النظرية للموضوع .

اما ثاني مقاربة اعتمدها في مبادئ التيار التفاعلي الرمزي باعتبار ان الهدية رمز مشفر يتم تداوله بين الأفراد والجماعات يترك اثرا ومعني لا يتم فهمه الا من طرف الأفراد المتفاعلون داخل المجال الاجتماعي

اما ثالث مقاربة سسيولوجية ، فتمثلت في نظرية الفعل التواصلي ليرغن هابرماس باعتبار أن الهدية فعل غرضي اما تنصلي و اما استراتيجي داخل المجتمعات ، و في العلاقات الاجتماعية بين الافراد و الجماعات .

ثانيا : الاطار المنهجي للدراسة :

أن من طبيعة البحث العلمي هو التزود بالزاد المعرفي من اجل التقصي العلمي وخاصة في العلوم الانسانية بصفة عامة و علم الاجتماع بصفة خاصة ، و الاعتماد على منهج علمي يحدد بمجموعة من الاجراءات و الطرق الدقيقة المتبناة من اجل الوصول الى نتيجة علمية و ذلك من خلال البناء التقني للبحث فبمجرد أن ننتهي من تحديد المشكلة التي نريد الاجابة عنها ، ينبغي علينا معرفة كيف سنقوم بجمع المعلومات من الواقع حول هذه المشكلة ، حيث أن هناك العديد من تقنيات البحث او تقنيات جمع المعطيات ، لكل منها مزايا

و عيوب ، لكن سيتم اختيارنا على بعضها فقط و ذلك لحاجة بحثنا لها و حسب الاشكالية التي طرحناها في اول البحث ، كما أن رجوعنا الى نظرية لها علاقة بمشكلة بحثنا يسمح لنا بتوضيحها و توجيهها ، لان كل فرع علمي له نظريات لفحص موضوع الدراسة ، حيث أن النظرية تستخدم كدليل لاعداد البحوث نظرا لما توفره من تاويلات عن الواقع الاجتماعي الذي نحن بصدد دراسته

و الان سنتطرق الى اهم التقنيات و المنهج المستخدم في دراستنا هذه

1-المنهج المستخدم :

تدخل دراستنا هذه ضمن البحوث الوصفية الكيفية التي تهدف في الاساس الى فهم الظاهرة موضوع الدراسة ، و عليه ينصب الاهتمام هنا اكثر على حصر الاقوال التي تم جمعها ، و السلوكات التي تمت ملاحظتها ، لهذا يركز الباحث اكثر على دراسة الحالة ، او دراسة عدد قليل من الافراد

فهي تستعين اكثر بالاحكام و بدقة و مرونة الملاحظة ، او بفهم التجارب التي يعيشها الافراد و من خصائص الدراسة الوصفية:

✓ الاستكشاف و المغامرة العلمية :

حيث انها تتطلب الكثير من التخيل و المثابرة و التحكم في الذات و هي مثيرة لانها تولد فرحة الاستكشاف و الاحساس باكتساب مؤهلات و قدرات جديدة و السعادة بالتقدم ، و اخيرا الارتياح الكبير عند تولي مهمة انجاز مشروع كبير و الوصول الى الغاية المرجوة .

و قبل الشروع في المغامرة ، على المرء أن يحضر نفسه لها ، و أن يسعى قدر الامكان لمعرفة طبيعتها ، اي التمتع بالروح العلمية كاول ميزة علمية يجب أن يتحلى بها

الباحث¹.

✓ **الوصف** : وذلك بالتعرض لخصوصيات الموضوع المدروس بالتفصيل ، او هو انتاج و جرد اكثر صدق ما امكن حول خصائص الموضوع او الظاهرة المطروحة للدراسة، لان الوصف يعتبر من اهم اهداف العلم².

✓ **التصنيف**: لان العلم لا يكتفي بوصف المواضيع والظواهر , بل يبحث ايضا عن تصنيفها وترتيبها , وللقيام بذلك فانه يقوم باختصارها واختزالها في بعض الفئات من 2العناصر وذلك بتجميعها حسب بعض المقاييس

¹ الحسن احسان محمد ، الاسس العلمية لمناهج البحث العلمي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص : 25
²مادلين غراويتز ، مناهج العلوم الاجتماعية ، ترجمة الدكتور عمار سام ، المركز العربي للتعريب و الترجمة و التأليف و النشر بدمشق ، 1993 ، 65

- ✓ ومدى ملائمتها فان البحث التصنيفي يحاول أن يجمع ظواهر مرتبطة بموضوع الدراسة ووفقا لمقاييس متنوعة .
- ✓ **التفسير:** حيث يعتبر تفسير الظواهر الاجتماعية من اكثر الامور الجوهرية في البحث العلمي حيث من وخلال التفسير احاول قدر الامكان
- ✓ أن اكشف عن طريق الملاحظة العلاقة القائمة بين ظاهرة التهادي وطبيعة العلاقات الاجتماعية، حيث انها علاقة سببية لان البحوث التفسيرية تسعى الى ابراز الروابط بين الظواهر المرتبطة ببعضها البعض.
- ✓ **الفهم:** بالوصول الى فهم العلاقة بين متغيرات الدراسة, هذا الامر سيسمح لي بادراك المعنى الذي يعطيه الاشخاص لتصرفاتهم وفعالهم الاجتماعية في عملية التهادي , لان محاولة التحري عن المعاني التي منحها الافراد المعنيون لفعالهم سيكون عملا فهيميا .
- ✓ **التنبؤ:** وذلك من خلال التنبؤ بطبيعة العلاقة الاجتماعية التي تتركها الهدية في طبيعة التفاعل الاجتماعي بين الافراد ضمن المجال الثقافي الواحد والمجال الاجتماعي .

ويمكن توضيح المنهج المستخدم بصورة مختصرة في مايلي:

✓ المنهج الوصفي:

حيث يعتمد على دراسة الواقع او الظاهرة الموجودة في الواقع , ويهتم بوصفها وصفا دقيقا , ويعبر عنها تعبيراً كيفياً عن طريق بيان مقدار هذه الظاهرة او حجمها ودرجات ارتباطها مع غيرها من الظواهر الاخرى.¹ حيث يعد هذا المنهج هو الاكثر استخداماً في الدراسات الانسانية , وتوضح اهمية المنهج الوصفي في انه المنهج الوحيد لدراسة بعض الموضوعات الانسانية , كما يمكن استخدامه في مجال الظواهر الطبيعية , فلا تقتصر حدود المنهج الوصفي على وصف الظاهرة وجمع المعلومات عنها بل لا بد من تصنيف هذه المعلومات وتنظيمها والتعبير عنها كما وكيفا وصولاً الى فهم علاقة هذه الظاهرة مع غيرها من الظواهر², والهدف من تنظيم المعلومات وتصنيفها هو مساعدة الباحث على الوصول الى استنتاجات وتعميمات تسهم في فهم الواقع وتطويره.

حيث أن الشعور بالمشكلة اول خطوات المنهج الوصفي وصولاً الى النتائج والتعميمات , الا أن المنهج الوصفي يتطلب المزيد من الخطوات اهمها:

❖ الشعور بمشكلة البحث وجمع البيانات والمعلومات التي تساعد على تحديدها .

❖ تحديد المشكلة التي يريد الباحث دراستها وصياغتها على شكل سؤال محدد او عدة اسئلة .

❖ وضع فرض او مجموعة فروض لتكون حلولا مبدئية لمشكلة البحث ومن ثم يتجه الباحث بموجبها الى الحل المطلوب .

¹ ريموند كفي ، لوك قات كمينهود ، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية ، تعريب يوسف الجباعي ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، الطبعة الاولى ، 1997 ، ص : 49

² سامية محمد جابر ، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الازارطية ، الاسكندرية ، ص : 28

- ❖ وضع المسلمات او الافتراضات التي سيبنى عليها الباحث بحثه.
 - ❖ اختيار العينة التي سيجري عليها الباحث مع بيان حجمها واسلوب اختيارها.
 - ❖ يختار الباحث الادوات التي سيستخدمها للحصول على المعلومات مثل الاستبانة او المقابلة او الاختبار او الملاحظة وذلك وفقا لطبيعة البحث وفروضه ثم تقنين هذه الادوات وحساب صدقها وثباتها وموضوعيتها .
 - ❖ جمع المعلومات المطلوبة بطريقة دقيقة ومنظمة.
 - ❖ الوصول الى النتائج وتفسيرها وصولا الى استخلاص التعميمات والاستنتاجات منها¹
- حيث انني وجدت أن المنهج الوصفي هو المنهج الملائم و طبيعة الموضوع المدروس .
- و عليه فقد حاولت قدر المستطاع اتباع خطوات منظمة وصف ظاهرة التهادي في المجال التفاعلي لولاية الاغواط عن طريق جمع البيانات وذلك من خلال اجراء شبكة الملاحظة في دراستي الاستطلاعية لانها تمكنني من الوصول الى امور هامة جدا من خلالها استطيع ان اصنف المجالات الاجتماعية و المتواجدة ضمن المجال العمراني محل الدراسة ، و هذا كله من خلال مؤشرات النموذج الثقافي لكل مجال تفاعلي ,
- ثم انتقلت بعد ذلك الى تصنيف المعلومات حسب تصنيف المجالات الاجتماعية التي وجدتها في المجال العمراني محل الدراسة (ولاية الاغواط) فكانت اول مرحلة قمت بها هي مرحلة استكشاف طبيعة العلاقات الاجتماعية وطبيعة النموذج الثقافي السائد في كل مجال اجتماعي

¹ مورييس انجرس ، منهجية البحث في العلوم الانسانية (تدريبات عملية) ، ترجمة : بوزيد صحراوي واخرون ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، ص : 48

فحاولت التقاط تلك المؤشرات من الواقع الاجتماعي للحكم على طبيعة المجال الاجتماعي, وهذا ما ساعدني كثيرا في صياغة اشكالية قابلة للبحث, وكذا وضع فروض الدراسة وتحديد بعض المفاهيم وكذلك الى فكرة الوصول الى الامكانية العلمية لاجراء هذا البحث كونه يعالج ظاهرة التهادي باعتباره موضوع يمس الحياة اليومية وظاهرة تولد من رحم المجتمع ومن حياته الروتينية.

كما انني اعتمدت مرحلة التصنيف او التشخيص , وفيها قمت بجمع المعطيات النظرية والبيانات الميدانية ثم رتبها حسب خصائص كل مجال اجتماعي , وحسب ابعاد الظاهرة بتحليل مؤشرات النموذج الثقافي , اي اعتمدت الطريقة الوصفية التشخيصية لكل مجال اجتماعي على حدا , ودراسة خصائص ومميزات كل نموذج ثقافي لوحده عن طريق دراسة الحالة لكل مجال اجتماعي

✓ دراسة الحالة :

حيث تزود دراسة الحالة الباحث بالبيانات الكمية والكيفية عن عوامل عديدة تتعلق بفرد او مؤسسة او عدد قليل من الافراد , حيث تتضمن هذه البيانات الجوانب الشخصية والبيئية والنفسية.

مما يمكن الباحث من اجراء وصف تفصيلي للحالة موضوع البحث , وتتطلب دراسة الحالة العناية بالتفصيل والتخطيط والتنفيذ عناية تامة , وقد يشترك في دراسة الحالة فريق من تخصصات مختلفة و لا تهدف دراسة الحالة الى

الوصول الى تعميمات و انما تفيد في نتائجها في فهم الواقع بالتفصيل و من ثمة فهم الحالات المماثلة¹.

و منه فدراسة الحالة هي طريقة في البحث تركز على الموقف الكلي او مجموع العوامل التي تساعد على وجود موقف معين ، اضافة الى دراسة الفعل الاجتماعي الفردي داخل الموقف الذي يقع فيه ، مع تحليل المواقف و مقارنتها مما يؤدي الى امكانية صياغة الفرضيات ، لذا فهو دراسة متعمقة لنموذج واحد او اكثر من اجل الوصول الى تعميمات تخص جمع النماذج المماثلة او المشابهة².

فقد اخترت منهج دراسة الحالة لانه يتناسب و طبيعة الموضوع ، لان موضوع الدراسة مقسم الى مجالات اجتماعية ، و كل مجال اجتماعي يتميز بنموذج ثقافي معين ، لذا وجب علي ان ادرس كل نموذج بخصوصياته و مميزاته الثقافية و الاجتماعية و التاريخية على حدى ، لان النماذج الثقافية تختلف باختلاف المجالات الاجتماعية محل الدراسة.

كما انه يغطي كل محاور البحث ، و ذلك لانه يمكنني من معرفة المواقف المختلفة و طبيعة العلاقات الاجتماعية في كل مجال اجتماعي و نموذج ثقافي كما يمكنني معرفة حقيقة الحياة الخاصة لكل مجال اجتماعي عن طريق دراسة حاجاته و نشاطاته و كل مقوماته الاجتماعية و الثقافية ، و كذا معرفة دوافعه و اهتماماته و طبيعة الاذواق و العلاقات في عملية التهادي³

كما تستهدف هذه الطريقة فحص و تحليل الحياة الخاصة بأية وحدة اجتماعية ، شخصية انسانية كانت او عائلة او منظمة او مؤسسة او ثقافة او جماعة او

¹ سامية محمد جابر ، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 45

² موريس انجرس ، منهجية البحث في العلوم الانسانية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 75

³ ريمون كفي ، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 45

حتى مجتمع باكملة ، و يقوم فيها الباحث بمحاولة تحديد العوامل المسؤولة عن الانساق السلوكية المعقدة لهذه الوحدة و علاقتها بالوحدات الاخرى المحيطة بها . و عموما يتميز هذه الاسلوب بالتفاصيل البيانية الواسعة عن الوحدة الاجتماعية المراد دراستها.¹

و عليه فقد حاولت ان اطبقها منهجيا للحصول على نتائج علمية من تلك المجالات الاجتماعية التي سلف لي و ان قمت بتقسيمها ، و معرفة الحياة الاجتماعية و الثقافية الخاصة بكل مجال ، و تحديد العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي ضمن الممارسات الاجتماعية داخل المجال التفاعلي ، لذلك اعتمدت الخطوات التالية باعتبار ان كل مجال هو وحدة للدراسة :

- جمعت البيانات عن كل مجال تفاعلي (بدو ، شبه بدو ، شبه حضر حضر) من خلال معرفة :
- ✓ طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل كل مجال (علاقات قرابة ، علاقات جيرة علاقات عمل ... الخ) بمراعاة عامل الزمن ، اي عمر تلك العلاقة الاجتماعية .
- ✓ طبيعة النشاط السائد في المنطقة (خدماتي - تجاري - زراعي - صناعي - رعي)
- ✓ طبيعة المجال العمراني (مقاطعة ادارية - الموقع - المساحة - النمط العمراني - / عمارات / فلات / بنايات شعبية / خيم ... الخ)
- ✓ مدى تواجد المؤسسات الحكومية و الادارية و التعليمية بالمنطقة .
- ✓ مدى تواجد المصنوعات اليدوية التي تميز المنطقة المدروسة اذ وجدت .
- ✓ امتلاك وسائل الاعلام و الاتصال في المنازل و درجة تطورها .

¹ محمد نبيل جامع ، علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية ، دار الجامعة الجديدة ، الازارطية ، 2009 ، ص : 109 .

- ✓ بالإضافة الى ملاحظة انماط اللباس للمتفاعلين داخل كل مجال تفاعلي
- ✓ العادات و التقاليد و القيم و الاعراف و المبادئ التي تحكم الممارسات الاجتماعية و مدى قوتها في التحكم في سلوك المتفاعلين داخل كل مجال اجتماعي . و هذا ما يمثل الثقافة اللامادية للمجال .
- ✓ معرفة الخصائص الديموغرافية و الكثافة السكانية و حركة السكان لكل مجال .
- ✓ بالإضافة الى جانب اللغة و السميولوجيا و طبيعة اللهجة المستخدمة (كاستعمال اللهجة المحلية الخالصة او استعمال لهجة ذات انتشار واسع او استعمال اللغة الفرنسية من طرف المتفاعلين و هذا ما استطعت الوصول اليه عن طريق الاحتكاك باهل المنطقة و كذلك من خلال شبكة الملاحظة .
- ✓ التعرف على البيئة الاجتماعية و الثقافية لكل مجال اجتماعي .
- بالإضافة الى قوة او ضعف التماثل الديني و هذا عن طريق ملاحظة الممارسات .
- و من خلال هذه الخطوات استطعت ان استخدم تقنيات اخرى كالملاحظة بالمشاركة في عين المكان و كذا المقابلة .
- لذا فقد انشغلت بتنظيم البيانات بطريقة تراتبية من الحضري الى البدوي بوضع كل خاصية في المجال التفاعلي المناسب و ذلك بمعرفة الظروف الديموغرافية و الثقافية السائدة في كل منطقة .
- دونت هذه المعلومات و البيانات لكي تسهل لي عملية ترتيبها و تصنيفها حسب المجالات الاجتماعية .

و كذلك يساعدني في تطبيق الدراسة و التحليل الميكروسيولوجي من خلال البحث في الوحدات الاجتماعية من خلال دراسة العلاقات الاجتماعية

2 - ادوات جمع البيانات :

ان نقطة الانطلاق لاي بحث في التحقيق الميداني ، سواء التحقيق الكمي او الكيفي فانه يدور حول اسئلة من نوع : ماذا ؟ لماذا ، اي ما الظاهرة ؟ و لماذا

هذه الظاهرة تتغير حسب الظروف و حسب الوقت و المكان ، و لماذا التغير يتم بهذه الصفة ، و ليست بصفة اخرى مغايرة .

و تتم عملية جمع المادة العلمية في الميدان مجال الدراسة عن طريق ادوات عديدة و متنوعة و كذا من عينة البحث التي يجب ان يتوفر فيها الشرط المنهجي على ان تكون ممثلة لمجتمع الدراسة¹ .

أ- شبكة الملاحظة :

حيث ان الملاحظة المنهجية تؤدي الى الكشف عن دقائق و عناصر الظواهر و علاقتها ببعضها البعض ، و علاقتها بعناصر ظواهر اخرى ، كما تعني كذلك الانتباه المدقق الذي يستخدمه الباحث او الملاحظ في رؤيته و تبصره و متابعته للظواهر و الملابس التي تقع امام عينه .
و يعرفها (دوكاتلي) بانها عملية المشاهدة و الانتباه الذهني الارادي و الموجه نحو جمع المعلومات المتعلقة بموضوع بحث محدد و مضبوطة الابعاد و الاهداف

¹ عمار بوحوش ، محمد محمود الدينات ، مناهج البحث العلمي (طرق اعداد البحوث) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط 2 ، ص : 96

اذن هي مشاهدة ارادية لجمع معلومات علمية مضبوطة باطار مرجعي نظري لموضوع البحث و تخضع الملاحظة الى تقنين و رموز محاورها¹ .

✓ الملاحظة في عين المكان :

هي تقنية مباشرة للتقصي العلمي تستعمل عادة في مشاهدة مجموعة ما (قرية ، جمعية ... الخ) بصفة مباشرة وذلك بهدف اخذ معلومات كيفية من اجل فهم المواقف و السلوكات.

كما ان الملاحظة بالمشاركة هي مصدر ظهور الاشكال الاخرى للملاحظات في عين المكان ، انها تتطلب الاندماج في مجال حياة الاشخاص محل الدراسة مع مراعاة عدم تغيير اي شئ في الوضع ، حيث يعتبر الانثروبولوجيون هم اول من مارس الملاحظة بالمشاركة من خلال عيشهم في وسط المجموعات البشرية بغية دراستها عن قرب ، اما علماء الاجتماع فانهم يستعملون هذه الوسيلة للتقصي اثناء دراساتهم للمسارات الفردية ضمن اوضاع معينة²

و عليه فقد اعتمدت هذه التقنية في الحصول على المعلومات الميدانية حيث انني زرت تلك المناطق او المجالات الاجتماعية محل الدراسة ، و بقيت الاحظ نوعية تلك المعاملات التفاعلية بين الافراد ، فقد اندمجت وسطهم وحاولت ان اعرف عاداتهم و تقاليدهم بدون تحسيسهم مني اني دخيلة ، او ابديت نوعا من الاستغراب من سلوكاتهم و اعتقاداتهم ، بل العكس من ذلك تماما فقد كسبت ودهم و ذلك كان خلال زياراتي المتكررة لتلك المناطق البدوية و شبه البدوية خاصة ، و حاولت قدر الامكان ان ابقى في نظرهم لطيفة متفهمة

¹مادلين غراويتز ، مناهج العلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 45
²موريس انجرس ، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية (تدريبات عملية) ، ترجمة : بوزيد صحراوي و اخرون ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2004 ، 2006 ، ص ، ص : 184 ، 185

لعاداتهم و تقاليدهم و اوضاعهم المختلفة ، و هذا بالنسبة لمجال البدو و شبه البدو ، اما الحضر و شبه الحضر فقد كان المجال التفاعلي واسع جدا ، ولم استطع التعرف على معظم المتفاعلين ، لذا فقد اكتفيت بالبعض فقط .

لكنني كلما قمت بزيارة استطلاعية تغيرت وحدات البحث فحاولت قدر الامكان الاشتراك معهم في مواقفهم و تفاعلاتهم بدون ان يتفطنوا في بادئ الدراسة اني اقوم ببحث علمي او او اسجل ملاحظات علمية ، هذا ما ساعدني كثيرا في استدراجي للمؤشرات و الابعاد و التي كانت نواة الدراسة الميدانية ، و كذا في طرح الاشكالية و صياغة فروض الدراسة .

فقد لاحظت ان في المجال العمراني المدروس و المتمثل في (ولاية الاغواط عدة امور لا يمكنني الوصول اليها الا عن طريق المشاهدة المرئية دون التماس المصادقية في تقنيات اخرى مثلا كالمقابلة او الاستمارة و خصوصا في امور حساسة نوعا ما كالمظهر الديني ، او كطريقة اللباس مثلا او الفن العمراني او طبيعة المجال العمراني ، كذلك بالنسبة لتواجد المؤسسات الحكومية و الهياكل الادارية و مراكز التعليم ، حيث استطيع من خلال الملاحظة ان اميز بين نوع التعليم السائد في المنطقة و معرفة طبيعته ، هل هو تعليم قراني ام انه تعليم اكايمي ، حيث استطيع ان الاحظها من تلقاء نفسي و ذلك عند تجوالي في المنطقة .فبالملاحظة اصل الى الامور الظاهرية التي لا يمكنني الوصول اليها عن طريق المقابلة .

كذلك عندما دخلت الى بعض المنازل لاحظت امورا كتواجد الاجهزة الكهربائية و اجهزة الاعلام و الاتصال دون ان اضطر الى المساءلة اضافة الى امور تتعلق باللغة و السميولوجيا في طريقة اللهجة في كل مجال اجتماعي ، و ذلك عند تفاعلي و احتكاكي باهل المنطقة .

فولاية الاغواط عبارة عن مجال عمراني تختلف فيه المجالات الاجتماعية باختلاف البنى او النماذج الثقافية .

لإن الواقع الميداني مرارة الدراسة السسيولوجية بكل مجريها، كون المعطيات تتوضح من خلال الملاحظة المركزة لتفاصيل الحياة اليومية، بأفعالها ومحركاتها، فمن خلال استطلاعي امبريقيا على نبض الفعل الرمزي في مجال تفاعله، توضح لي جليا مدى اختلافه ضمن مجالات التفاعل الاجتماعي ، وكذا تبين لي كيف ان المجال العمراني والنموذج الثقافي للشرائح التفاعلية يبرز هذا التباين وخصوصا اني ركزت في ملاحظتي وكذا المقابلة التجريبية التي اجرتها على بعض الافراد لمعرفة اثر الفعل الرمزي في تحريك ودفع العلاقات الاجتماعية لارتداء حلة جديدة، متخذة في ذلك موضوع الهدية كنموذج لدراسة الفعل الرمزي ضمن المجال الاجتماعي. فتبين لي أن الافراد تختلف اراءهم باختلاف النماذج الثقافية وانتماءاتهم الجغرافية، فقامت بطبيعة الحال بتقسيم مجال الدراسة وكل واحد منها له مؤشرات والتي من خلالها يمكنني النزول الى الميدان، وكذا من خلالها يمكنني الحكم على هذه المجالات التفاعلية وكذا اعطائها هويتها وصبغتها الشرعية.

فالول خطوة قامت بها هي تصنيف المجال العمراني الى اربع مجالات اجتماعية وهي (مجال بدو- شبه بدو- حضر -شبه حضر) بناء على مقاييس سيولوجية خلدونية ، وكذا مستمدة من افكار الاستاذ محمد المهدي

بن عيسى (رعاه الله) والموضحة سالفا كمؤشرات للنموذج الثقافي السائد في كل مجال اجتماعي .

وبعد الاطلاع على المناخ الاجتماعي تبين لي وبوضوح ان المدينة تحتوي على مؤهلات سسيوثقافية و تاريخية جد عريقة، كبنائيات من عهد المعمر الفرنسي ومنذ اذ كانت الجزائر ولاية عثمانية ، لما تحتويه المنطقة من بنايات تركية ومعالم اثرية جد ثمينة.

اولا : المجال الاجتماعي الحضري :

حيث تعرف ولاية الاغواط انها جماعة عمومية تتمتع بالشخصي المعنوية والاستقلال المال، وذلك طبقا لقانون 90/90 المؤرخ في 1990/04/07 والمتعلق بالولاية، اشتقت ولاية الاغواط من التقسيم الاداري لسنة 1974 ن حيث تبلغ مساحتها 25052 كلم، ويبلغ عدد سكانها 466.882 نسمة اي ما يقارب 13 ساكنا

/كلم مربع. تلقب بعاصمة السهوب، ويرجع اصل سكانها الى البربر حيث قال ابن خلدون : (... وما لقواط (هكذا بالقاف) و هم فخذ من مغراوة ... فهم من نواحي الصحراء ، ما بين الزاب و جبل راشد ، و لهم هناك مشهور لهم فيهم فريق من اعقابهم ...)¹

فالنمط العمراني للولاية معظمها عمارات وفلات فخمة هذا وجهها الظاهري و بنايات شعبية مكتضة هذا بالنسبة للاغواط القديم علاوة عن طرقها الكبيرة زحمة السيارات والمحلات التجارية بأنواعها

¹ بن عون الزوبير ، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة ، دراسة حالة المجالس المحلية المنتخبة بولاية الاغواط ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الاتصال ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2011 / 2012. ص 255 :

واختلاف نشاطاتها متواجدة هي الأخرى في كل مكان ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فولاية تضم مصالح خدماتية ، متنوعة وهياكل إدارية كبيرة ومديريات تشمل جميع القطاعات، ومصحات استشفائية ومراكز تعليم عمومية وخاصة، وجامعة تضم تخصصات عديدة و دور ثقافة ومكتبات ، كما يوجد فيها عدة هيئات حكومية كمراكز الشرطة في كل جهة والدرك الوطني و الجمارك وقصر العدالة ومكاتب المحامين والمنفذين. ويوجد كذلك بالولاية قاعات للترفيه وحدائق لتجميع العائلات باختلافها، إلا أن الطابع الغالب للعائلات هي وجود أسر نووية متكونة من الوالدين والابناء، لأنه صار ممن يتزوج يخرج بعروسه في بيت مستقل سواء اكان في بداية زواجهما او عند ولادة الطفل الاول او الثاني، لذا فإن وجود العائلة الممتدة كائن لكنه بصفة نادرة جدا. وهذا ما سيتوضح في الاستجواب الذي قمت به . اما بالنسبة للهجة المستخدمة فهي اللهجة المحلية الخالصة بالإضافة الى استعمال اللغة الفرنسية في بعض الكلمات فقط .

اما بالنسبة للنشاط الاقتصادي للولاية فهي تعتمد بصفة كبيرة على النشاط الخدماتي والتجاري والصناعي اما الزراعي فيكاد يكون مشبه معدوم فهي تقتصر على بعض المتقاعدين وكبار السن، لكن ليست بصورة كبيرة يكتشفها من يدخل الاحياء الشعبية فقط.

اما بالنسبة للتركيبة السكانية والمظهر العام للناس فهم يرتدون ازياء عصرية، اي لا وجود للباسة تقليدية (كالقشبية ولابرنوس و الملحفة والحايك) لأنها ازياء تقليدية للمنطقة، لذا لاي وجد من يرتديها في الايام و العادية هذا ي على حد مشاهدتي الميدانية.

كذلك لاحظت عند دخولي لبعض المنازل وسط المدينة امتلاك اجهزة متطورة و كماليات في الحياة ، اما بالنسبة للهجة المستخدمة في هذا المجال التفاعلي فهم يستخدمون لهجة محلية خالصة و متميزة يسهل على المستمع ملاحظة هذا الامر .ومن خلال هذه المؤشرات الملاحظات ارتايت ان اصنف هذا المجال بالحضر وذلك نظرا لمؤهلاتها الاجتماعية و الثقافية .

ثانيا: في مجال شبه الحضر:

¹تاجموت قصر من قصور الصحراء، تقع في السفوح الجنوبية لجبال عمور ، تبعد عن مقر الولاية (الاغواط) ب 50 كلم وترجع تسمية تاجموت الى رواية صادرة من كتاب مقدمة ابن خلدون (ان تاجموت هي كلمة رومانية الاصل مركبة تعني الخط الاخضر اي تاج الخط) نسبة الى خط البساتين الذي يحيط بقصر

تاجموت على شكل خط دائري، حيث ان البلدية تتربع على مساحة اجمالية تقدر بـ 260 كلم مربع، ويبلغ عدد سكانها اكثر من 20 الف ساكن، حيث كانت تمثل في الماضي ممر للارباع الرحل على طول

حيث انها تقع في الجهة الشمالية الغربية لولاية الاغواط، يحدها من الشمال بلدية وسيدي بوزيد و واد مرة وعين اشهداء، أما من الناحية الشرقية بلدية سيدي مخلوف ومن الغرب واد مزي وعين ماضي و الحويطة والخنق ومن الجنوب ولاية الاغواط .

¹ بن عون الزويبر ، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة ، دراسة حالة المجالس المحلية المنتخبة بولاية الاغواط ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الاتصال ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2011/ 2012. ص 256:

حيث ان البلدية تشتهر بمنتجات فلاحية وفيرة كالرمان والمشمش والتين والخوخ وانواع عديدة من الخضار.

حيث تمثل نسبة 60 بالمائة من شاب البلدية معظمهم يعمل خارج البلدية، وذلك لعدم توفر مؤسسات اقتصادية بقدر ماهي متوفرة مؤسسات خدماتية لكن دائما تبقى غير قادرة على امتصاص البطالة بشكل كافي.

حيث تتوفر البلدية على اكثر من 600 بستان مسيقة من السد البطني الموجود على حافة الوادي، تتوفر على جميع الخضر والفواكه وهي ما يخلق اكتفاء ذاتي نسبي للسكان، وفيها مزرعة كبيرة تضم العديد

من رؤوس الاغنام والابقار والدواجن كانت تشتهر بزراعة القمح والشعير من النوعية الجيدة، الا انها اهملت في السنوات الاخيرة بسبب تداول عدة ادارات عليها، كما تعتبر مصدر لتصدير الاجبان.¹

كما يتوفر بتاجموت سد لتخزين المياه الباطنية فريد من نوعه يسمى بالبراج حيث يصنف الاول على مستوى افريقيا والثالث عالميا لتخزين المياه الجوفية².

اما بالنسبة للنمط العمراني للمنطقة فهي عبارة عن بنايات و احياء شعبية و بعض المنازل القديمة والمتواجدة في القصر القديم لان المنطقة مقسمة الى قصور تتفاوت في الجودة .

كما ان نساء المنطقة يقضين وقتهن في اشغال البيت و نسيج الزرابي هذا بالنسبة للماكثات في البيت .

¹ شلالى عبدال قادر، مجلد بوديسة، سجل من مقر بلدية تاجموت
² شلالى عبدال قادر، مجلد بوديسة، سجل من مقر بلدية تاجموت

اما بالنسبة للباس فنجد ان كبار السن هم يرتدون الالبسة التقليدية سواء اكانوا نساء او رجالا ، هذا من جهة و من جهة اخرى فان سكان المنطقة يستعملون اللهجة المحلية للولاية كلها لانه لا يوجد فرق بين لهجهم و لهجة سكان مدينة الاغواط .

ومن خلال كل ما سلف اتاريت ان التصنيف المناسب للبلدية هو شبه حضر اعتمادا على المقاييس السسيولوجية المستمدة من عند الاستاذ المشرف

رعاه الله، وكذلك نظرا لكون المنطقة تتوفر على مؤسسات ادرارية وحكومية كالحرس البلدي والدرك الوطني، والامن الحضري، وثكنة للجيش الشعبي الوطني، خلافا لوجود محلات تجارية متنوعة لكنها لكنها ليست كثيرة والاطباء ومستشفى وصيديات ومكتب بريد و صندوق الضمان الاجتماعي وقباضة الضرائب وفرع لخدمات الاجتماعية والجزائرية للمياه وغيرها من الهياكل الادارية الاخرى

ثالثا: في مجال البدو قرية الجقيقية .

تعتبر قرية الجقيقية من المناطق الهامة الفلاحية التي تزخر بها ولاية الاغواط ، حيث تبعد حوالي 5 كلم عن بلدية تاجموت، حيث قدمت نتائج جدا ايجابية في النشاط الفلاحي، إلا أن سكانها عاشوا ومازلوا يعيشون في ظروف بدائية نتيجة لامبالاة المسؤولين، و أول هذه الظروف الماء الشروب بهذه المنطقة، حيث ينتقلون الى منطقة الحاجب للحصول على مياه عذبة صالحة للشرب، كما اشار سكان المنطقة انهم ينتظرون تجسيد وعد السلطات بفك العزلة هعن المنطقة من خلال انجاز طريق ومسلك يربطهم بمقر البلدية، وكذلك استفادتهم من الغاز

الطبيعي، كما انهم يعانون حرمانهم من الكهرباء، وكذا معاناتهم لعدم توفر مؤسسات صحية انعدام سيارة اسعاف بالمنطقة.

أما بالنسبة للعائلات، فالصفة الغالبة هي وجود العائلات الممتدة، وان معظم سكان الحقيقية من نفس العائلة او العرش ، ومعظم سكانها يمارسون الزراعة والرعي، وهذا ما يجعل منها منطقة لاستيراد الخضر والوبر، وهذا ما يجعل فيها حرفة النسيج تبدو غالبية عند النساء حيث انهن يتفنن في صناعة الحايك والزربية والبرنوس والقشبية، لأنها اللباس الرسمي للرجال وقت الشتاء.

أما بالنسبة للمساكن فهي تبدو قليلة جدا، وذات فن عمراني بسيط متقاربة من بعضها البعض ، كما اني لاحظت ان معظم البيوت فيها ما يعرف ب (الشميني) اي استعمال الحطب في طهي الطعام والتدفئة، هذا من جهة .

ومن جهة اخرى فان منطقة الحقيقية تنعدم فيها المؤسسات والهيكل الادارية، وحتى المؤسسات الحكومية لذا اتاريت ان صنف هذه المنطقة بالبدوية وذلك نظرا لتطابقها والمؤشرات السبولوجية المعتمدة وبالدراسة الاستطلاعية التي قمت بها شخصا للمنطقة ومحاولتي للوصول الى الرؤية السبولوجية للهداية في المنطقة .

رابعاً: في مجال شبه البدو: منطقة واد مزي:

تقع بلدية وادي مزي في جهة الجنوبية من جبال لعمور "بقدم الجبل" يحدها من الجهة الشمالية الغربية بلدية وادي مرة، ومن الجهة الشمالية بلدية تاجموت ومن جهة الشرق عين ماضي أما جنوبا بلدية الغيشة. وادي مزي استمدت اسمها من وادي مزي الذي يمر بالمنطقة والذي

يتوغل بالصحراء تغذيه ينابيع جبل العمور والذي يمر بمدينة الاغواط حتى بسكرة . للبلدية اسم آخر وهو "الربيق"

السكان الاصليون ببلدية وادي مزي هم لقمامته، وهم اقدم سكان جبل لعمور تذكر بعض الروايات أن لقمامته وأولاد علي بن عمر هم من سلالة واحدة. فيصب الأمر إذا قلنا أن لقمامته من قبيلة سنجاس التي هي بطن من بطون مغراوة البربرية التي سكنت جبل راشد (العمور) وجبل مشتل، والتي ذابت وسط المجتمع الذخيل وهم العمور الذين هم بطن من قبيلة بني النازحة هلال النازحة من المشرق العربي.

لقمامته كانت قبيلة متنقلة تصول وتجول جبل راشد، وعلى مقربة من منابع وادي مزي، كان عرش القمامته عازم على إنشاء قصر لكن الأعمال توقفت به قبيل الثورة، وأما القصر المنشود هو اليوم بالربيق التي بنيت سنة 1970م بدأت بـ 20 منزل وهي بلدية منذ 1985م كان سكان المنطقة أكثر فقرا بسبب الجفاف وقلة المساحات الزراعية . جبال قعدة لقمامته نشهد لها أنها كانت مصرحا وحصن حصينا للمجاهدين أثناء حرب التحرير ومكان انطلاق الفصائل الى كافة المناطق للقيام بالعمليات العسكرية.

الأثار التاريخية بالبلدية متعددة نذكر منها قصر بسكلافة والمالكية وقصر الفروج وغيرها التي تعود إلى الحضارة البربرية الامازيغية¹ حيث أن سكان هذه المنطقة من نفس العشيرة كما سلف القول (القمامته) ومن نفس البنية الاجتماعية، لأنهم ينحدرون من نسب واحد، ومن

¹ الطالب بن عون الزويبير، جامعة عمار ثليجي، (الاغواط) مشروع جائزة البحث في علم الاجتماع، اصل السكان والمعالم الاثرية بالاغواط، دراسة انثروبولوجية.

خلال زيارتي الاستطلاعية التي قمت بها للمنطقة لاحظت ان جميع العائلات متماسكة مع بعضها البعض، فهم يتبادلون الزيارات في مناسبة او غير مناسبة، ويتساندون و يتضامنون في الاعراس والولائم، وحتى الوفايات بتقديم هدايا وعطايا لبعضهم البعض.

وكذا لاحظت ان معظم العائلات هي عبارة عن عائلات كبيرة يترأسها كبيرهم او كبيرتهم، له الامر و الشورى، ويتدخل في اتفه الامور واصعبها التي تخص العائلة طبعاً، حيث تصدر منه القرارات ، والجميع يقدره ويهابه نظرا للمكانة الاجتماعية التي يحتلها ذلك الفرد داخل العائلة كما لاحظت كذلك ان معظم القمامة موالون، اي يمارسون الرعي والتجارة بالغنم، و يمتلكون شاحنات لنقل تلك المواشي للاسواق سواء داخل تراب الولاية او خارجها.

وكذلك النساء يمارسن النسيج (الازرابي و البرنوس لباس رسمي للرجال في فصل الشتاء) وتربية الدواجن والارانب ويتاجرن بهم .

أما بالنسبة للمؤسسات الادارية والحكومية، فهي لا تحتوي الا على الحرس البلدي والدرك الوطني فقط اما المؤسسات التربوية فنجد المدارس الابتدائية ومتوسطة، اما الثانوية فالتلاميذ ينتقلون الى بلدية تاجموت لمزاولة دراستهم كما أن التركيبة السكانية للمنطقة غير معقدة لأن عددهم ليس بالكبير ولا المختلط . أما بالنسبة للمساكن فهي تبدو عادية وبسيطة ولا توجد فيها طرق معقدة وكبيرة ، لأنها مجرد ممرات سهلة لم اتها فيها و ليست واسعة والبيوت مترامية على اطرفها.

اما بالنسبة لسكان هذه البيوت فقد قمت بزيارة بعضها ، والحقيقة انهم اكرموني و ساعدوني كثيرا لاجراء ملاحظتي ومقابلتي التجريبية، لذا

فقد لاحظت ان معظم البيوت تحتوي على اجهزة و اثاث عادي ليس بالفخم، كما أنهم يمتلكون من تلك الاجهزة ضروريات الحياة كالثلاجة والتلفاز، حيث اني صادفت بيتا واحد يحتوي على جهاز كمبيوتر وقد استنتجت ان هذه المنطقة هي منطقة شبه بدوية حسب المقاييس السسيولوجية المعتمدة .

ب - المقابلة :

حيث تعتبر اداة من ادوات البحث يتم بموجبها جمع المعلومات التي تمكن الباحث من الاجابة عن تساؤلات البحث او اختبار فروض ، و تعتمد على مقابلة الباحث لمن تجري معه المقابلة وجها لوجه ، بغرض طرح عدد من الاسئلة من قبل الباحث ، و الاجابة عنها من قبل من تجري معه المقابلة¹ كما تعتبر وسيلة شفوية او هاتفية او تقنية لجمع البيانات ، يتم خلالها سؤال فرد او خبير عن معلومات لا تتوفر عادة في الكتب او المصادر الاخرى² و هي تقنية مباشرة تستعمل من اجل مساءلة الافراد بكيفية منعزلة ، و لكن في بعض الحالات مساءلة جماعات بطريقة نصف موجهة تسمح باخذ معلومات كيفية بهدف التعرف العميق على الاشخاص المبحوثين ، كما انها افضل التقنيات لكل من يريد استكشاف الحوافز العميقة للأفراد و اكتشاف الاسباب المشتركة لسلوكاتهم من خلال خصوصية كل حالة ، و نتيجة لهذه الاسباب

¹ مادلين غراوينز مناهج العلوم ال، اجتماعية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 34
² موريس انجرس ، منهجية البحث في العلوم الانسانية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 74

تستعمل المقابلة عادة اما للتطرق الى ميادين مجهولة كثيرا او للتعود على الاشخاص المعنيين بالبحث قبل اجراء اللقاءات مع عدد اكبر باستعمال تقنيات اخرى كالملاحظة بالمشاركة ، و اما للتعرف على العناصر المكونة لموضوع ما و التفكير فيها قبل التحديد النهائي لمشكلة البحث¹ .

قد استعملت هذه الوسيلة ليس فقط الى حصر الوقائع ، بل و الى التعرف ايضا على المعاني التي يمنحها الاشخاص للاوضاع التي يعيشونها .

فقد اجريت مقابلاتي مع وحدات الدراسة و التي قد سحبت كعينة للدراسة ، فقد خطت لهذه المقابلة من خلال وضعي لاسئلة مستوحاة من فرضيات الدراسة و التي حاولت من خلالها التوصل الى معلومات عميقة تخص

المبحوثين و تتعلق بعاداتهم و تقاليدهم و معتقداتهم ، و منه فقد خصصت وقتا مناسباً لاجراء مقابلاتي فاخترت الاوقات التي يكون فيها المستجوبين في مكان العمل و في نفس الوقت غير مشغولين ، طمعا مني ان يزودوني بمعلومات تكون اكثر واقعية و صدق و شفافية و دقة ، و خصوصا في مجال الحضر و شبه الحضر كون الناس مشغولين و لا يعيرونني اهتماما ، اما في البدو شبه البدو فقد اخترت ان اذهب اليهم في وقت عملهم في البساتين و المحلات التجارية ، كذلك سمحت لهم بسؤالي و الاستفسار عن هذه المقابلة و خصوصا في مجالي البدو شبه البدو لكي يطمئنوا و يرتاحوا و يعطوني اجوبة اكثر وضوح و صراحة .

كما تعتبر محادثة موجهة بين الباحث و شخص او اشخاص اخرين بهدف الوصول الى حقيقة او موقف معين ، يسعى الباحث للتعرف عليه من اجل تحقيق اهداف الدراسة .

¹ سامية محمد جابر ، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية ، ص : 51

و في اطار الحديث عن استخدام التقنيات المناسبة لموضوع البحث و تحديد نوعها فقد بدى لي ان استخدم المقابلة غير المقننة لانها تبدو مناسبة و طبيعة البحث ، لانه لا يمكنني ان اتقيد باسئلة محددة لكل محور في المقابلة ، لان موضوع التهادي و الحكم على طبيعة العلاقات الاجتماعية في تغيرها الدائم ، موضوع لم استطع حصر ابعاده ، لذا فضلت ان اترك الحديث مفتوحا و بالتالي وجدت نفسي بحاجة الى مقابلة غير مقننة و بطريقة مباشرة مع المبحوثين ، لان التساؤلات التفصيلية عن محاور الموضوع استطعت الاجابة عليها من خلال شبكة الملاحظة ، اي توصلت الى عدة امور من خلالها يمكنني تحديد النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي دون ان اسال عنها كما انني استخدمها كوسيلة تحليلية و تحليلية و تفسيرية للبيانات المجمعة عن طريق الملاحظة¹.

فقد ساعدتني المقابلة كثيرا في الحصول على بيانات لا يمكنني ان اتحصل عليها بتقنيات اخرى ، كما انها وفرت لي الفرصة للحصول على معلومات اضافية تحدد موضوع البحث من خلال حوار مع المبحوثين . فمن خلالها استطيع الوصول الى تلك الامور الكامنة في الذات الاجتماعية للمبحوثين باعتبارها نسق قيمي يحدد الهوية الاجتماعية و الثقافية ، من خلال الغوص اكثر في خصوصيات المبحوث

فقد بدأت بمقابلاتي هذه في المجال الاجتماعي الحضري ثم اكملت باقي المجالات الاجتماعية الاخرى .

¹ موريس انجرس ، منهجية البحث في العلوم الانسانية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 76

3 - مجالات الدراسة :

من المعروف في البحوث الاجتماعية ان تكون الدراسة محددة بمجال زمكاني معين ، و هذا الامر هو بطبيعة الحال ضروري جدا من اجل اعطاء البحث صبغته العلمية ، حيث ان تصنيف مجالات الدراسة بين العنصر البشري و عنصري الزمكان يلبس البحث ثوبا يبين هويته العلمية و العملية ، و قد غلفنا دراستنا هذه بالمجالات التالية :

أ - **المجال المكاني** : وهو ذلك المجال الجغرافي و الاقليم الذي يقوم الباحث بتحديد الدراسة في محيطه ، و يكون هذا وفقا لطبيعة المشكلة التي نقوم بدراسة ، و طبيعة الميدان و خصائصه ، و الاهداف التي نسعى لتحقيقها و في سبيل تحقيق اهدافنا تم اختيار ولاية الاغواط كمجال مكاني تجرى فيه الدراسة الميدانية ، و كان اختيارنا لهذه الولاية ليس اعتباطيا او بمحض الصدفة و انما كان بدافع عدة عوامل منها الذاتية و الموضوعية¹

✓ **الاسباب الذاتية** :

❖ باعتبار ان الباحثة تقيم بولاية الاغواط و تعرف طبيعة العلاقات السائدة بالمنطقة ، و اسلوب الحياة الاجتماعية في كل مجالاتها الاجتماعية و باختلاف نماذجها الثقافية السائدة .

❖ مواعمة مقر سكن الباحثة و طبيعة البحث الذي يبغى التجوال في المجال العمراني محل الدراسة و الخوض في تفاصيل الحياة الاجتماعية لمعرفة النماذج الثقافية للمجالات الاجتماعية بالولاية . حيث ان الباحثة و بحكم مقر

¹ بن عون الزوبير ، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة ، دراسة حالة المجالس المحلية المنتخبة بولاية الاغواط ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الاتصال ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2011/ 2012. ص 756:

اقامتها يسهل عليها التعرف على تلك الامور التي يلدها التفاعل الاجتماعي في الحيز التفاعلي .

✓ ثانيا : الاسباب الموضوعية :

❖ ان ولاية الاغواط بطابعها الايكولوجي و موقعها الجغرافي الذي يجمع بين النمط الايكولوجي السهبي و النمط الايكولوجي الصحراوي ، اي تتعدد فيها انماط عديدة من الحياة الاجتماعية و اساليب المعيشة¹ من مجالات اجتماعية (حضرية - شبه حضرية - بدوية - شبه بدوية) .

❖ تم اختيار ولاية الاغواط بالذات لانها تضم عدة مجالات اجتماعية تصور الحياة الاجتماعية السائدة بالمنطقة ، و تختلف باختلاف النماذج الثقافية السائدة

❖ نبذة تعريفية عن ولاية الاغواط:

ولاية الاغواط هي من إحدى الولايات الجزائرية، تقع في شمال الصحراء الجزائرية، تقع على مفترق الطرق بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب، يبعد مقرها عن العاصمة بـ 400 كلم. يحدها من الشمال ولاية تيارت، ومن الشرق ولاية الجلفة، ومن الغرب ولاية البيض، ومن الجنوب ولاية غرداية. تتربع على مساحة إجمالية تقدر حسب إحصائيات سنة 2008⁽¹⁾ بـ 25.052 كلم². تتوزع على منطقتين، منطقة الأطلس الصحراوي ومنطقة الهضاب العليا والهضاب الصحراوية. تتميز المنطقة بطابعها السهبي الرعوي والفلاحي والجبلي. تزخر بمساحات هضابية شاسعة وسهوب وصحراء واسعة، وتتوفر بها ثروة حيوانية معتبرة لا سيما الأغنام، كما تتوفر الولاية على موارد طاقوية (كهرباء وغاز) وتشتهر بإنتاجها للغاز الطبيعي حيث بها حقول هامة بمنطقة حاسي الرمل، وبها احتياطي ضخم، مما أهل

¹بن عون الزويبير ، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة ، نفس المرجع السابق ن ص : 257
(1) - Annuaire Statistique De la Wilaya de Laghouat , Direction de la planification et d
amenagement du territoire , Wilaya de laghouat.

الجزائر لاحتلال مكانة هامة عالمياً في مجال الطاقة والمناجم. كما تتوفر على موارد طاقوية، وإنتاج الطاقة الكهربائية في مركز بمنطقة تيلغيمت بحاسي الرمل يحتل مكانة كبيرة عالمياً في إنتاج الطاقة الكهربائية. كما وجد بها مؤخراً احتياطي كبير في آبار من البترول في منطقة حاسي الدلاعة.

السكان: يبلغ تعداد سكان الولاية حسب الإحصاء العام للسكان لسنة 2008 بـ 483264 نسمة، يقدر عدد الذكور بـ 93536 نسمة، وعدد الإناث بـ 91124 نسمة، يبلغ عدد ساكني المناطق والتجمعات الحضرية الرئيسية بـ 384614 نسمة، أما عدد سكان المناطق الثانوية والمبعثرة (التجمعات الحضرية صغيرة الحجم) بـ 22730 نسمة، أما تعداد السكان البدو الرحل فيبلغ عددهم بـ 75893 نسمة. وتشير النسب إلى أن ما نسبته 79.60% من السكان يسكنون بالمناطق الحضرية، وما نسبته 15.70% من يسكنون بالبادية (بدو رحل)، وما نسبته 4.70% من السكان يسكنون بالتجمعات الثانوية (القرى والمناطق المبعثرة). وتقدر نسبة الكثافة السكانية بالولاية بـ 19.29 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد. وتشير المعطيات الإحصائية كذلك إلى أن السكان الحضريين بالولاية يقدر عددهم بـ 294725 نسمة، بما نسبته 61%، إما عدد السكان البدويين والريفيين فيقدر عددهم بـ 188539 نسمة، بما نسبته 39%.

الشغل: يقدر تعداد اليد العاملة (الموارد البشرية) بالولاية بـ 129050 مورد بشري، بما نسبته 87.54%، أما تعداد اليد العاملة الشغالة فيقدر عددهم بـ 147412 يد عاملة، بما نسبته 31.37%، أما تعداد البطالين فيقدر عددهم بـ 18362 بطال، بما نسبته 12.46%، يتوزعون في العمل عبر مؤسسات وشركات عمومية وخاصة يقدر عددها بـ 1720 مؤسسة عمومية وخاصة المنشآت الاقتصادية والإدارية والاجتماعية الخدمائية:

في المجال التربوي تتوفر الولاية على جامعة تضم ثلاث معاهد تحوي 15925 مقعد بيداغوجي. و 27 مدرسة ابتدائية، و 62 أكاديمية للتعليم المتوسط، و 25 ثانوية للتعليم الثانوي، وسبعة 07 مراكز للتكوين المهني والتمهين، ومعهد وطني عالي للتكوين المهني للتسيير، وأربعة 04 ملحقات لمراكز التكوين. أما في مجال الصحة فتتوفر الولاية على ثلاث 03 مستشفيات، و 29 عيادة متعدد الخدمات، و 50 قاعة علاج. هذا بالإضافة إلى توفرها على المؤسسات الثقافية والترفيهية والرياضية، والمراكز الثقافية والمكتبات الولائية والبلدية، كما بها المؤسسات التابعة للدولة الادراية والخدماتية. بمعنى أنها تتوفر في كامل بلدياتها على هذه المؤسسات والمؤسسات الأمنية، ومؤسسات الاتصال والإعلام والبريد... الخ.

انبثقت ولاية الاغواط من خلال التقسيم الادراي للبلاد سنة 1974، حينما كانت تابعة ادراياً لولاية ورقلة، ونتيجة للتغيرات والتقسيمات الجديدة انفصلت عنها ولاية غرداية في التقسيم الإداري لسنة 1984، بحيث أصبحت تضم عشرة 10 دوائر، وأربعة وعشرون 24 بلدية مقسمة إلى منطقتين:

منطقة جنوبية صحراوية سهبية: وتضم هذه الأخيرة إحدى عشرة بلدية هي: الاغواط، الخنق، العسافية، سيدي مخلوف، بن ناصر بن شهرة، قصر الحيران، الحويطة، تاجرونة، تاجموت، حاسي الرمل، حاسي الداعة.

منطقة شمالية وهي منطقة الأطلس الصحراوي: وتضم كل من أفلو، سيدي بوزيد، واد مرة، وادي مزي، عين ماضي، سبقاق، الغيشة، بريدة، تاويالة الحاج المشري، قلثة سيدي ساعد، عين سيدي علي، البيضاء.¹

¹ ابن عون الزويبر، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة، نفس المرجع السابق، ص: 260

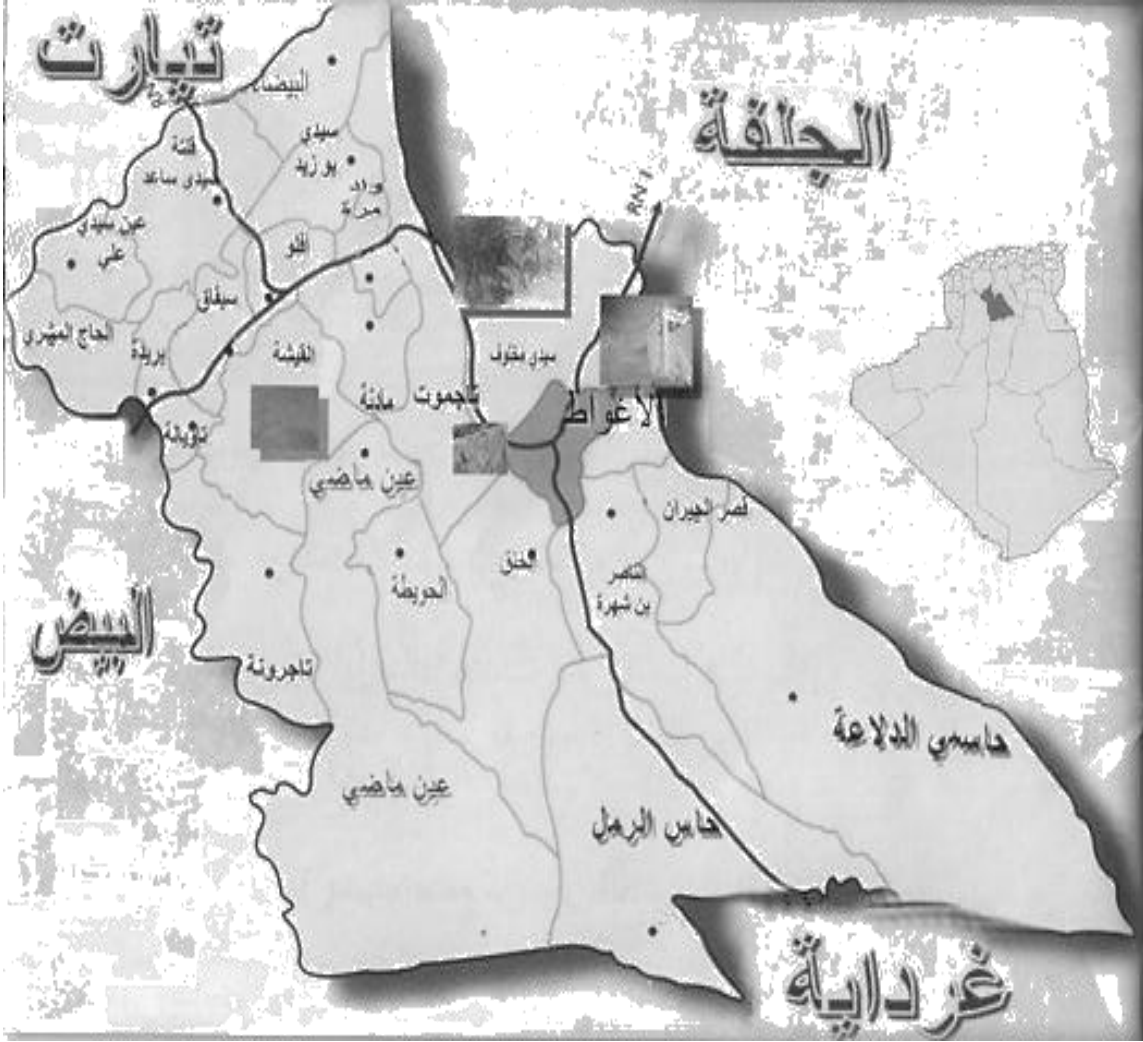
لكل منطقة تاريخ حضاري وأصول، ولكل فرد وجماعة عمق وجذور الاغواط هي جزء من هذا الكل، حيز جغرافي له موقعه وخصائصه التاريخية والجغرافية وكذا الاجتماعية والثقافية، معقد التركيبة الاجتماعية من حيث تعدد السلالات والقبائل والعشائر والعائلات، فإن الشواهد والآثار بولاية الاغواط تؤكد على أنها عرفت حضارات بشرية تراكمت على ترابها ذكرها ابن خلدون، وحقبات ومراحل تبرز مدى عمقها التاريخي يبدأ من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة. فإن التعرف على تاريخ وأصول الاغواط، يعد من أهم العمليات التي يسعى الباحث إلى تحقيقها بهدف ربط المناطق وأصولها بالحاضر، والذي يفيد في معرفة تغيراتها وتحولاتها وانتقالاتها من جيل إلى جيل ومن حال إلى حال. وهذا ما يدعونا إلى التعرف على أصول سكان المجالات العمرانية والبلديات بصفة عامة التي تتعدد بالولاية، وتختلف أسباب نشأتها، والتي لا زالت بها آثار واضحة على الحياة الاجتماعية، ما يؤثر تأثيراً كبيراً على الظاهرة المدروسة، فمن الملاحظ أن معظم المجالات الحضرية وخاصة منها البدوية والريفية متكونة من قبيلة واحدة غالبية في المجال العمراني والاجتماعي والثقافي للبلدية، والباقي منها تلاحظ فيه أما اندماج اجتماعي حاصل بين القبائل في مجال عمراني وتعاون وتوافق، وإما في تناحر وتنافر

وتصارع واختلاف على تقسيم المجال أو تقسيم الأراضي الرعوية والفلاحية، والسكنات الاجتماعية

والريفية وغيرها. فالصراعات القبلية الحادثة في المجتمعات محلية بالولاية حول من هو أصل للقرية والمنشئ لها، ومن هو الغريب عنها والمستقر حديثاً بها¹

¹ ابن عون الزويبر، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة، نفس المرجع السابق

الشكل رقم 03: خريطة تبين التقسيم الإداري لولاية الاغواط¹



¹ ابن عون الزويبر ، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة ، نفس المرجع السابق ، ص: 261

ب - المجال البشري:

حيث يقصد به المجتمع الذي تجري فيه الدراسة الميدانية و معرفة خصائصه و تنوعاته حسب المجالات الاجتماعية ، ي ثان المجال البشري يقصد به العينة او مجتمع البحث التي تجري عليه الدراسة ، او المعاينة ¹.

حيث يعتبر مجتمع البحث في العلوم الانسانية مجموعة منتهية او غير منتهية من العناصر المحددة مسبقا ، و التي تركز عليها الملاحظات ، و هو كذلك من العناصر لها خاصية او عدة خصائص المشتركة تميزها من العناصر الاخرى ، و التي يجري عليها البحث و التقصي ².

فلقد كان تحديدي لمجتمع البحث صعبا جدا كون ان جميع الناس معرضين لتلقي او اهداء الهدايا مهما كان نوعها ماديا او معنويا ، لذا فقد قمت بتقسيم هذا المجتمع التفاعلي الى مجالات تفاعلية فرعية حسب الطبيعة و البنية الاجتماعية لكل مجال ، معتمدة في ذلك على بعض المؤشرات لتحديد هذه المجالات ، فقد ساعدتني كثيرا في تحديد و تعريف مجتمع البحث ، و قد كانت كالاتي :

✓ الطبيعة او البنية الاجتماعية :

و اقصد بها نوع او طبيعة الاسرة ، هل ان هذا المجال التفاعلي يتميز بالانتشار الاسري ذو الطبيعة الممتدة (اي عائلة ممتدة تتكون من الاب و الام و الاولاد و الجد و الجدة و الاعمام و العمات ... الخ) ، ام ان هذا المجال التفاعلي يتميز بالانتشار الواسع للاسر النووية اي (الاب و الام و الاولاد فقط .)

¹ غريب محمد سيد احمد ، تصميم و تنفيذ البحث الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1983 ، ص : 81
²²² موريس انجرس ، منهجية البحث في العلوم الانسانية (تدريبات عملية) ، ترجمة :بوزيد صحراوي و اخرون ، دار القصة للنشر ، ط 2 ، الجزائر ، ص : 298 .

✓ طبيعة النشاط الاقتصادي :

حيث حاولت ان اعرف النشاط اليومي الذي يمارس في كل مجال تفاعلي اي اذا كانوا يمارسون الصناعة او الزراعة او التجارة الرعي ، ام ان هذه المنطقة تتميز بالطابع الخدماتي ؟

✓ طبيعة المجال العمراني :

و فيه اعتمدت على شبكة الملاحظة لتصنيف المجالات الاجتماعية التفاعلية في معرفة الطابع العمراني السائد في المنطقة هل هو عمران شعبي؟ اي هي بيوت عادية و بسيطة ، ام انها عمارات و فلات ؟ او انها خيم و بيوت من الطوب و القصدير ، وهذه التصنيفات ولدت من جراء نزولي للميدان عدة مرات و مشاهداتي التي قمت بها ، و كذا الدراسة الاستطلاعية التي انتفعت بها بالقدر الكبير جدا .

✓ طبيعة التعداد البشري :

و اقصد به تعداد السكان ، اي : هل ان هذا المجال التفاعلي الذي انا بصدد التعرف عليه و دراسته يضم تعداد بشري كبير و ضخم ؟ . ام انه لا يضم الا القليل من السكان مقارنة بالمكجالات الاجتماعية الاخرى ؟

❖ المؤسسات الادارية و الحكومية :

اي مدى تواجد هذا النوع من المؤسسات في هذا المجال العمراني ، و اقصد بذلك (مؤسسات التربية و التعليم – البريد و المواصلات – دار البلدية – قباضة الضرائب مثلا – صندوق الضمتن الاجتماعي و الوكالات العقارية و دار المالية ، غيرها كثيرة جدا ، هذه على سبيل المثال فقط .

اما المؤسسات الحكومية كالامن الوطني و الدرك الوطني و الجيش الشعبي و

الحرس البلدي و السجون و الحماية المدنية و الجمارك ... الخ

فمن خلال هذه المؤشرات حددت مجالات مجتمع البحث ، و صنفتها كما يلي :

- مجال بدو .
- مجال شبه بدو .
- مجال شبه حضر .
- مجال حضر .

كما حرصت الى الاشارة بدقة اكثر الى مجتمع البحث الذي سيكون محل الدراسة هم سكان ولاية الاغواط المحدد باختيار مجالات تفاعلية داخل الولاية حسب المؤشرات السالف ذكرها ، لذا فقد اخترت بعض المناطق التي تطابقت و مؤشرات التصنيف .

✓ المعاينة :

و هي طرق اختيار جزء من مجتمع شامل من اجل الاستدلال او الاستنباط المتعلق بهذا المجتمع¹

كما تعتبر مجموعة من العمليات تسمح بانتقاء مجموعة فرعية من مجتمع البحث بهدف تكوين عينة²

حيث ان مجتمع البحث في دراستي هذه كان ولاية الاغواط ، و منه انتقيت مجموعات فرعية ، و شكلتها في مجالات تفاعلية اجتماعية بهدف تكوين واختيار وحدات العينة بطريقة علمية

اما العينة فهي مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين³.

¹ محمد نبيل جامع ، علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية ، دار الجامعة الجديدة ، الازارطية ، 2009 ، ص : 72 .
² موريس انجرس ، منهجية البحث في العلوم الانسانية ، مرجع سابق ذكره ، ص : 300 .
³ موريس انجرس ، مرجع سابق ذكره ، ص : 302 .

اما نوع العينة التي تناسب و دراستي هذه فقد كانت عينة من النوع الاحتمالي فاعتمدت في سحبي لها على طريقة العينة القصدية بقصد المجالات الاجتماعية و استجواب المتفاعلين بها بالطريقة العشوائية

✓ طريقة سحب العينة :

لقد كانت تلك المجالات التي اخترتها او شكلتها بالاحرى فضاء لاختر منها وحدات الدراسة او العينة ، وهي مجموعة حالات او الافراد سحبتهم بطريقة المعاينة العشوائية البسيطة .

حيث ان هذا النوع من المعاينة تتضمن كون كل حالة في المجتمع او كل مجموعة من الحالات تمتلك نفس الفرصة للظهور في العينة¹ .

كما يعتبر اجراء اساسي يظهر من جديد في مرحلة ما او اخرى الى الاصناف الاخرى من المعاينات الاحتمالية ، كما ان مصطلح عشوائية يعني اننا نستعين بالحظ او الصدفة في اختيارنا للعناصر² .

حيث انني توجهت لهذه المجالات الاجتماعية الحضرية منها و الريفية و قد اجريت دراسة استطلاعية بطبيعة الحال و كانت مطولة ، فاخترت وحدات للدراسة داخل هذه المجالات بطريقة السحب العشوائي ضمن الطريقة القصدية للمجال الاجتماعي ، لكن لم يكن سحبي للعينة هكذا مفاجئ بل اخضعته لمقاييس منهجية اعتمدها ، و مثال ذلك كان تكون معظم وحدات العينة ، او الفرد المراد استجوابه ينتمي الى ذلك المجال التفاعلي حقا و ليس مجرد زائر مثلا و هذا ما قد سجلته في معظم الحالات ، اي مراعاة الاصل في العادات و التقاليد و القيم و الاعراف السائدة ، اي الثقافة بمفهومها الواسع في تلك المنطقة او المجال الاجتماعي بصفة عامة .

¹ محمد نبيل جامع ، مرجع سابق ذكره ، ص : 75 .
² مورس انجرس ، مرجع سابق ذكره ، ص : 304 .

اما بالنسبة لحجم العينة فقد اخذت من كل مجال تفاعلي عدة وحدات للدراسة كون ان المجتمع الاصلي واسع جدا ، لذا فقد اكتفيت بهذا العدد فقط عندما احسست ان نفس الاجوبة تتكرر من طرف المستجوبين في كل مجال و خصوصا في البدوية و شبه البدوية فان الاجوبة كنت متقاربة جدا و تكررت لذا فقد اكتفيت بهذا بالقدر الكافي .

و بجمع وحدات البحث من المجالات المذكورة خرجت بالعدد الاجمالي للعينة و الذي بلغ (16) وحدة دراسة متنوعة بين نساء و رجال و شباب و شيوخ لنعرف مدى تاثير الثقافة السائدة في عملية التطبيع الاجتماعي و الثقافي في عملية التهادي .

ج -المجال الزمني :

و اقصد بالمجال الزمني للدراسة هو الوقت الذي استغرقته الدراسة الميدانية بدءا من النزول للميدان و التقاط مؤشرات البحث في الزيارات الاستطلاعية التي قد قمت بها في مجالات عمرانية من الولاية ، حيث ان هذه المرحلة قد مرت بعدة مراحل نذكر اهمها

✓ المرحلة الاولى :

و قد امتدت هذه الفترة من نهاية شهر مارس 2011 ، حيث اني نزلت للميدان و هذا طبعاً بعد التزود ببعض الامور النظرية من القراءات التي قمت بها سالفا ، حيث اني قمت بالدراسة الاستطلاعية في هذه الفترة ، و عرفت حينها ان المؤشرات تختلف من مجال لمجال اجتماعي اخر ، فقد بدأت ببلدية تاجموت و المصنفة في الدراسة (شبه حضر) بحكم اني اقيم بها ثم بعد ذلك

ذهبت الى عدة مرات الى منطقة الجقجيجة البدوية و تعرفت على عائلة من هناك ، ومن خلالها استطعت الوصول الى عدة عائلات من نفس المنطقة و قد تكررت الزيارة عدة مرات مع الوالد (رعاه الله) ثم بعدها الى مدينة الاغواط حيث انه يوجد لي عدة اقارب هناك و هذا ما ساعدني كثيرا في التقرب من اهل المنطقة ، بالاضافة الى ان زياراتي لمدينة الاغواط تعتبر كثيرة بحكم انها تربطني بها عدة مصالح .

و اخر زيارة استطلاعية قمت بها هي لبلدية واد مزي .و قد استغرقت هذه الدراسة الاستطلاعية وقتا كبيرا جدا ، من مارس 2011 الى اكتوبر من نفس السنة ففي هذه الفترة استطعت صياغة الاشكالية و الفروض و استخراج مكونات و ابعاد و مؤشرات الفرضية التي التقطتها من الواقع الاجتماعي و في نفس الوقت كنت اجمع المعطيات النظرية .

✓ المرحلة الثانية :

وقد امتدت هذه المرحلة من جانفي 2011 تقريبا الى سبتمبر من نفس السنة

و في هذه المرحلة كنت اجمع المادة العلمية و الانشغال في تحريرها في

صيف 2011 ، فقد حاولت ان ادون معلومات نظرية تخدم موضوع الدراسة و قسمتها الى فصول نظرية تتواءم و طبيعة متغيرات الفرضية الاصلية .

✓ المرحلة الثالثة :

في هذه المرحلة و بعد جمع المادة العلمية النظرية و صياغة الاشكالية و الفرضية و استخراج ابعاد و مؤشرات الدراسة ، حددت مجتمع البحث وكذلك التقنيات المناسبة لجمع البيانات ، فقامت بتحرير دليل المقابلة ، و كل هذه الامور كانت ما بين سبتمبر و اكتوبر 2011 .

و بعد تحرير دليل المقابلة زاولت نزولي للميدان لاجراء مقابلة مع المبحوثين ، حيث استغرقت حوالي عشرون يوما تقريبا مع المبحوثين في مختلف المجالات الاجتماعية ، بدءا بالمنطقة التي اسكن بها .

✓ المرحلة الرابعة :

و تبدا هذه المرحلة من منتصف شهر جانفي 2012 ، فقد اشتغلت في عملية تحليل المعطيات التي جمعتها من الميدان و تفسيرها و كتابة النتائج التي توصلت اليها من خلال تصنيف و فهم الفوارق بين النماذج الاجتماعية المتواجدة في المجال العمراني محل الدراسة و الخروج بنتائج عامة للدراسة حيث امتدت هذه الفترة الى غاية شهر فيفري من نفس السنة

4- كيفية معالجة المعلومات و البيانات :

لقد اعتمدنا في معالجة المعلومات المتحصل عليها من الميدان عن طريق اجراء شبكة الملاحظة و المقابلة و بالجوء الى استخدام دراسة حالة النماذج الثقافية السائدة من خلال الوصف و التفسير و التصنيف و فهم العلاقة بين متغيرات الدراسة ، و الاستنتاج بالاسقاط السسيولوجي للمقاربات المعتمدة و الواردة في الجانب النظري و الميداني من خلال القراءة السسيولوجية للنتائج، عن طريق :

✓ الاعتماد على التحليل الكيفي للبيانات باعتبار ان ولاية الاغواط عبارة عن مجال عمراني متنوع فيه المجالات الاجتماعية بنماذجها الثقافية .

حيث اننا عرضنا البيانات المحصل عليها في كل مجال اجتماعي للتحليل و التفسير كل واحدة على حدى ، و استنتاج الاختلاف الوارد بين النماذج

الثقافية السائدة في المجال العمراني المدروس (حضر – شبه حضر – بدو – شبه بدو) كما كان افتراضنا في بادئ الدراسة .

✓ باعتبار اننا نتكلم عن النموذج الثقافي السائد في كل مجال اجتماعي فقد حددنا مؤشرات كل نموذج ثقافي استطعنا الوصول اليه في الولاية ، و هذا ما ساعدنا كثيرا في عملية التحليل من خلال تفسير العلاقة بين مؤشرات المتغيرات الاساسية للدراسة ، و كذا مقارنة الاختلافات بين المجالات الاجتماعية ..

كما قد استخدمت التحليل الموضوعاتي في تفسير النتائج المحصل عليها فقد اعتبر البديل الذي طرحه بير بورديو ، و هو المنهج الذي يعني كشف الاثار المتحيزة التي تظهر في تحليلات الباحثين ، اي الاجتماعية السابقة لتحصيل الباحث العلمي و انعكاساته اللاشعورية الذاتية على تفسيراته لما يدرس من جماعات ظواهر ، اي ان الباحث يستطيع ان يستفيد من تجاربه الشخصية السابقة و ذلك باخضاعها للضبط المنهجي على اساس ان الماضي للباحث يمكن ان يولد منافع ابستمولوجية و ظاهرية للبحوث الميدانية .

و هذه المسألة مهمة ، لانها تخرج بنائج اكثر صرامة و علمية عن حقائق الظاهرة المدروسة بعيدا عن سياسات الاغراق في بحوث التصنيفات و التشويهات العلمية التي تزخر بها معظم البحوث الاكاديمية .

يؤكد بورديو ان اصعب الاشياء التي تواجه الباحثين في فهم ما يلاحظونه من أنشطة ، بمعنى ان الصعوبة تكمن في عدم معرفة كيفية المواءمة بين تجربة الباحث العادية ، و بين حقيقة ممارسته غير العادية منة خلال تجريدها عن نفسه ان الموضوعاتية ملاحظة سلوك الباحث الاجتماعي و نقده اثناء عمليات التحليل و التفسير ، فضلا عن سلوك المبحوث و هذا هو المائز الحقيقي بين

مستوى الملاحظة التي دعا اليها بورديو و حاول تطبيقها كمنهج المشاركة و الموضوعاتية بالمشاركة جديد في مجال العلوم الاجتماعية¹

5- صعوبات الدراسة :

كما هو معروف فان لكل بحث علمي صعوبات تعيق مساره لنيل الدقة و الموضوعية ، و خصوصا في العلوم الاجتماعية و الانسانية ، و من الصعوبات التي التي قد واجهتنا في بحثنا هذا فقد كانت على الصعيدين :

✓ على الصعيد النظري :

- ❖ عدم توفر المراجع التي تتناول موضوع التهادي .
- ❖ قلة الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التهادي على المستوى القريب المدى (اي المجتمع الحالي) و بغض النظر عن الدراسات القديمة التي كانت على السكان الاصليين .
- ❖ ا توجد دراسات اجتماعية بل الدراسات السابقة كن طرحها انثروبولوجي و ليس سسيولوجي ، و هذا ما جعل الباحثة تجد الصعوبة في التحليل السسيولوجي .

✓ على الصعيد الميداني :

- ❖ عدم انسجام المبحوثين و موضوع البحث ، و اعتبروه الموضوع في حد ذاته امر بديهي ، مما جعل الباحثة تبذل جهدا اكثر في اقناع المبحوثين للتعامل مع الموضوع بجدية اكثر .
- ❖ صعوبة التفريق بين المجالين الحضري و شبه الحضري ، و بين البدوي و شبه البدوي .

¹ عبد الباسط حسن ، اصول البحث الاجتماعي ، القاهرة ، ص : 34

❖ تفرق وحدات الدراسة بين عدة مجالات اجتماعية ، مما اخذ الوقت الكبير في عملية التنقل من منطقة لاخرى لاستجواب المبحوثين ، و هذا انعكس سلبا على وقت تسليم الرسالة .

❖ صعوبة تحديد العينة داخل كل مجال اجتماعي ، لان جميع الناس يتلقون و يهدون الهدايا ، و العملية تقتصر على افراد معينين ، و هذا ما جعل المبحوثة تتوقف عن استجواب المبحوثين عند احساسها بتكرار الاجوبة داخل كل مجال اجتماعي .

الفصل السادس

دراسة المجال الاجتماعي و النموذج

الثقافي و طبيعة التمادي في

المجالات العمرانية

. مقدمة

1. دراسة حالة النموذج الثقافي الحضري (مدينة الأوغاط)
 2. دراسة حالة النموذج الثقافي شبه الحضري (بلدية تاجموت)
 3. دراسة حالة النموذج الثقافي البدوي (منطقة الجقيقية)
 4. دراسة حالة النموذج الثقافي شبه البدوي (بلدية واد مزية)
- . خلاصة الفصل

تمهيد:

إن لكل إنسان ثقافة معينة، فإن هويته تتحدد بانتمائه إلى تلك الثقافة التي يمكن تسميتها بالثقافة القاعدية، التي هي أسلوب للحياة في المجتمع، والثقافة الفرعية في أي مجتمع هي جزء فرعي من الثقافة المجتمعية أو الكلية في المجتمع. أنها طريقة الحياة التي تعيشها جماعة من الناس يشتركون في أنماط متميزة من القيم والمعتقدات والتصورات والعادات والتقاليد والذهنيات والمدرجات المتفق عليها، وباعتبارها تتكون من المعاني والقيم والمعايير والتفاعل والعلاقات والتي تتجسد في أفعال وأنشطة ظاهرة في العالم الواقعي السوسيوثقافي، وتختلف الثقافات باختلاف المجتمعات، وقد تتعدد الثقافات داخل البناء الاجتماعي الواحد فنجد الثقافة البدوية والثقافة شبه بدوية و الثقافة شبه الحضرية والثقافة الحضرية لأنها تعتبر كأساليب وأنماط معيشية للحياة.

وإذا نظرنا في المجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع الاغواطي بصفة خاصة، سوف نجده ينتظم في أشكال ومجالات مورفولوجية محدد هي العمران البدوي، والعمران الريفي، والعمران شبه الحضري، والعمران الحضري. ولكل مجال من المجالات نمطه وطابعه وطراره العمراني، وبنيته الاجتماعية في شبكة علاقات تتميز بخصوصيتها وطابعها المتميز، وكل مجال إلا ويتكون من مجموعة من الأنساق الاجتماعية كالنسق الاجتماعي والنسق الثقافي والنسق الاقتصادي والنسق القيمي والنسق القرابي ولكل نسق من هذه الأنساق وظيفة منوطة به.

تطرقنا في الجانب النظري من الدراسة إلى عرض وتحليل لظاهرة التهادي عند مجتمعات السكان الاصليين ، و طرحنا معظم التصورات المثالية والنظرية لعلماء

الاجتماع التي تُعني بتحديد الخصائص والسمات المميزة للأنماط المجتمعية، فقد استدعى نظر المهتمين بدراسة المجتمعات وجود طابعين أو نمطين من المجتمعات تختلف كل منهما عن الأخر، بحيث قدموا لنا موازنات بين المجتمعات من أمثال ابن خلدون الذي يعد أول من استخدم التنائية بين البدو والحضر، وقد قصد بالأول المجتمع الريفي والبدوي معا في مقابل مجتمع المدينة، وكذا فردناند الذي ميز بين مجتمع تسود فيه الإرادة والأمن بالعلاقات الاجتماعية ومجتمع آخر تسود فيه الإرادة العقلانية، وإميل دوركايم الذي اهتم بقضية الفروق الريفية الحضرية، فالأول تسود فيه التضامن الآلي فيه التجانس العقلي والأخلاقي والثاني يسود فيه التضامن العضوي بسبب المصلحة الخاصة وتقسيم العمل، وهربرت سبنسر بحيث فرق بين المجتمع المتجانس والمجتمع غير المتجانس¹، وتشارلز كولي الذي ميز بين الجماعة الأولية التي تميز بين المجتمع الريفي، والجماعة الثانوية التي تميز المجتمع الحضري، وهاروديكر الذي ميز بين المجتمع المتدين والمجتمع العلماني والديوي.²

ف نجد البداوة أو الريف بطابعها البسيط ذو الثقافة التقليدية الذي يتسم بعلاقات اجتماعية قائمة على أساس القرابة والمصاهرة أو الجوار بعلاقات حميمية عاطفية في تماسك ميكانيكي يظهر عليه التجانس العقلي والأخلاقي وتضامن الجماعة وتماسكها وبساطة تقسيم العمل والعلاقات التلقائية والتطوعية، ونمط الاتصال قصير وأولي، وسلوك تقليدي متأثر بالعاطفة، وبنمط ثقافة

¹ ابن عون الزويبر ، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة ، نفس المرجع السابق، ص : 262
² ابن عون الزويبر ، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة ، نفس المرجع السابق ص : 263

مقدسة، وصغر الحجم قلة الكثافة السكانية وكل سكانه ينشطون في أنشطة اقتصادية مثل رعي المواشي باختلاف أنواعها أو بالفلاحة ... الخ.

ونجد كذلك في المقابل نمط تقليدي يستدعى الى استدماج قيم الحداثة والتغير الاجتماعي الى الاحسن من ثقافة بدوية او ريفية الى ثقافة حضرية، سواء كان هذا الانتقال من حال الى حال في الجانب المادي أو الرمزي وهذا ما يتمثل في النمط شبه الحضري، وهذا النمط ظهر في المجتمع الجزائري بدافع عدة عوامل منها ما يدخل في تقدم المجتمعات المحلية وتطلعها الى التقدم وبالتالي يكون المجال العمراني في سيرورة اجتماعية في تغير اجتماعي وثقافي دينامي، وكذا بفعل تدخل الدولة الحديثة في انشاء المدن الجديدة والمستحدثة وفق مقاييس ومعايير محددة (في نمط للعمران، وطبيعة للنشاط الاقتصادي) من أجل الحد من النزوح الريفي بانشاء تجمعات سكانية تتوفر فيها كل ضروريات الحياة بهدف فك الخناق والضغط عن المدن، الى غير ذلك ويكون النشاط الاقتصادي مزيج بين النشاط الرعوي، والفلاحي، والتجاري والخدماتي، واتساع العمران. ونجد كذلك نمط رابع حديث وهو النمط الحضري المتمثل في المجال العمراني والاجتماعي الحضري في المدينة والتي تتميز بالحياة المركبة وبناء اجتماعي معقد التركيبية الاجتماعية يتميز باللاتجانس ونمو الروح الفردانية والتفرد، ويقوم على كل ما هو علماني دنيوي وتسود فيه علاقات المنفعة والمصلحة الآنية والرسمية وإحلال الروابط الثانوية السطحية محل الروابط الأولية ويتلاشي الأساس التقليدي للتماسك الاجتماعي. كما تتميز بهيمنة المهن والأعمال التجارية والصناعية والخدماتية والحرفية فضلا عن تمتعه بدرجة عالية من تقسيم العمل والتخصص وقيام الروابط الاجتماعية على أساس غير قرابي بل على أساس مادي، وبثقافة متحررة وتحرر الأفراد والجماعات من الروابط التقليدية، وقد تستمر العلاقات القرابية حسب طبيعة المجتمع وخصائصه. وبهذا فإن لكل مجتمع من المجتمعات هويته التي تطبعه وتطبع

أفراده فتكون لدينا هوية البدوي والريفي وهوية الفرد شبه الحضري فالحضري، وان كانت مشكلة مازالت تطرح نفسها على أرض الواقع، ينتجها ويعيد انتاجها من جديد مجتمع من المجتمعات المحلية، بإشكال وصيغ مختلفة وفي مناسبات متعددة، الا أن معالجتها بهذا الشكل قد لا تفضي الى كثير من النتائج رغم الحقيقة النسبية التي تحملها وبدافع المتصل بين المجتمعات المحلية وبين المجتمعات الخارجية. فإذا بحثنا في هوية كل مجتمع محلي التي يصعب وصعب عليها اثباتها نظراً لتعقدها وتداخلها، ولأنها ليست وليدة ظروف خاصة محلية فقط، وإنما هي مشكل يدخل في نطاق الثقافة المجتمعية، ومشكل إقليمي إن لم نقل انه مشكل عالمي، وإذا استطعنا تحديد هوية المجتمعات المحلية في تمايزها، فإننا نستطيع تحديد طبيعة التنظيمات السياسية بكل مجتمع من المجتمعات، وطبيعة تشكلها وخصائصها، والهويات المتشكلة بداخلها والمتسربة إليها والفاعلة فيها.

و منه فسوف نتناول تحليل الحالات التي صادفتنا في الميدان كل واحدة على حدى من خلال تلك المقاربات السسيولوجية المتبناة و جاءت كالتالي:

اولا : دراسة حالة النموذج الثقافي الحضري (مدينة الاغواط)

الحالة رقم : 01 .

السن :24.

الجنس : انثى.

المستوى التعليمي:جامعي.

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية .

ترى المبحوثة ان مدينة الاغواط عبارة عن بنايات مكتضة و اهلة بالسكان و الناس و العمارات مجاورة لبعضها البعض وهذا ما قد يساعد الناس كثيرا في التواصل و التماسك الاجتماعي في المنطقة ، الا انها ترى ان هذا العامل يساعد الناس على التواصل لكنه ليس لوحده الكافي ، لان الجانب العمراني لوحده ليس بالمقياس الوحيد لمعرفة مدى تماسك و تواصل الناس مع بعضها البعض ، حيث تقول ان هناك وسائل النقل متوفرة بالقدر الكافي لتسهيل عملية التواصل بين الناس ، و هذا ما يسمح لهم بتبادل الزيارات و خصوصا بين الاهل و الاقارب و الاصدقاء .

حيث تؤكد ان معظم الاسر الغالب وجودها بالمنطقة هي الاسر النووية و ترى السبب الاول في ذلك هو البحث عن الاستقرار و الاستقلالية

حيث ان اهل المدينة يمارسون نشاطات عديدة تختلف بين النساء و الرجال حيث ان الرجال يعملون بالتجارة و قطاع النقل و المواصلات و كذلك المقاولات الخاصة و قطاع التربية و التعليم و يشغلون مناصب متنوعة بتنوع الهياكل الادارية .

اما بالنسبة للنساء فمنهن من هي مأكثة بالبيت و منهن من هي في القطاع الاداري او القطاع التعليمي ، و نجد منهن من تمارسن التجارة في محلات للالبسة او الهواتف النقالة او محلات خاصة بالديكور او الزرابي .

فهي ترى ان مدينة الاغواط عبارة عن خليط غير متجانس من السكان و معظمهم لا يعرفون بعضهم البعض الا الاهل او الاقارب و الاصدقاء ، او ربما الزملاء بالعمل او الدراسة لان المدينة مختلطة جدا و هم ليسوا من نفس العرش الا نادرا لان العروش المتواجدة بالولاية كثيرة جدا ، و هناك من يقطن المدينة و هو ليس من الولاية اصلا ، و هذه الفئة تمثل نسبة كبيرة من السكان .

حيث تقول ان علاقتها شخصيا بالجيران جيدة الى حد ما فهي تبادلهم الزيارة في مناسبات معينة كالاعیاد او مرور طارئة تحدث عندهم ، كالأعراس و الوفاة او المرض و غيرها . لانها تقول ان الجيران يتعاونون في السراء و الضراء ، لكن تقول ان هذه الميزة ليست هي الغالبة في علاقة الجيران ببعضهم البعض ، لان معظم الناس لا يحبون الاحتكاك بالجيران ، لان مثل هذه العلاقات في رأيهم تسبب المشاكل و تقول (الشركة هلكة) .

و عندما سألته عن الناس الذين يتبادلون الزيارات ، هل يتبادلون الهديا اجابت ان الناس لا يتبادلون بصفة عامة ، الا اذا كان جد مقرب و في مناسبات واضحة كالاعیاد بانواعها ، كراس السنة الميلادية و الهجرية يتبادلون ما يعرف بالذواقة (اي يعملون عشاء مميز و يتبادل الجيران هذا الاكلات) و كذلك بمناسبة الاعتذار و الشكر و النجاح في الدراسة و الولادة و السفر و الحج و السكن الجديد و الوظيفة و غيرها من المناسبات

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي .

ترى ان في تبادل الهداي اثر كبير في تحسين العلاقات الاجتماعية و كذلك في بناء علاقات اجتماعية جديدة و خصوصا بين الجيران او في عزائم وولائم و سهرات معينة ، لذا تقول ان الرسول صلى الله عليه و سلم اوصى و حذا في تبادل الهدايا حيث قال (تهادوا تحابوا) ، لكن عندما سألته هل الهدية تستطيع ترقيع علاقات اجتماعية قد هزت من قبل ، سكتت طويلا ثم اجابت بلا .

ثم تحدثت و قالت الامر ليس بالهين ، خصوصا اذا مست الكرامة و كبرياء الشخص ، فلا اظن ان الهدية تستطيع اصلاح هذا الامر الا اذا كان بين الابناء و الوالدين ، لان الابناء امام الوالدين لا يوجد لديهم كرامة اصلا

المحور الثالث : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

تقول المبحوثة ان عملية التهادي هي عادة متداولة من القديم منذ ان خلق الانسان اصلا ، الا ان دلالتها و قيمتها تتغير بتغير الزمن و حسب افكار كل جيل ، لكنها ترى ان الناس من القديم يتبادلون الهدايا في مناسبات معروفة لدى العامة من الناس و كذلك يهدون هدايا تحددھا طبيعة المناسبة ، هذا اذا كانت هناك مناسبة ، لانھا تقول هناك هدايا يتبادلھا الافراد بدون مناسبات اصلا كقارورة عطر او فستان من الابن لامه ، او من الرجل و لزوجته ، لذا فليس بالضرورة ان تكون هناك مناسبة بين الاقارب في تبادل الهدايا .حيث تقول الا ان الامر المعروف من القديم ان الناس يتنافسون في قيمة الهدية و ليس في دلالتها المعنوية حيث تقول ان بالنسبة لها ان كل شئ جميل و ذو قيمة اعتبره هدية فقالت (الحجرة من عند الحبيب تفاحة) ، حيث ترى ان الناس يتبادلون العطور و الورود و الحلويات و الاكسسوارات و الساعات و المذكرات و توابع الديكور و ادوت التجميل كالمكياج و سيشوار و الاقلام و الملابس ، و كل من قدم لك شيئا جميلا سواء ماديا او معنويا ، و تكون المبادلات بين الاهل و الاقارب و الاصدقاء و الجيران و الزملاء و غيرهم .

كما تقول ان الفرد في المجتمع الحالي يقيم بما يقدم من هدايا و عطايا من الناحية المادية حيث ان الناس من ذوي المكانة الاجتماعية و الاقتصادية نجد ان معاملاتهم في التهادي باشياء ثمينة ، لان مركزهم الاجتماعي و الثقافي يفرض عليهم الالتزام بذلك .

كما تقول ان اثر الهدية المعنوية بالنسبة لها اكبر بكثير من الهدية المادية ، لانھا ترى ان الانسان عندما يكون مزعوجا او متضايق من امر ما يحتاج لمن يواسه و يصبره او ينصحه او يرفع من معنوياته بكلمة طيبة خصوصا من انسان

عزيز لان الرسول صلى الله عليه و سلم قال : (الابتسامة في وجه اخيك صدقة فهي لا تعتبر النقود هدية ابدا بل تعتبرها واجبة يجب ارجاعها و الا فان مكانتك الاجتماعية سوف تتدهور و تصبح (ما تعرفش الواجبة).

حيث تقول ان الهدية المادية تغيرت كثيرا بين الماضي و الحاضر ، لان في الماضي كانوا لا يهدون امورا اصبحت الان نوعا بارزا من الهدايا كالهواتف و الذهب و الكمبيوتر و غيرها من الاشياء المادية الثمينة .

فالفرد عادة ليس مجبرا او ملزوما بارجاع الهدية لانها هدية اصلا و لا تنتظر المقابل ، اما الواجبة فالامر يختلف و ردها الزامي على الفرد

حيث ان المبحوثة تلقت عدة هدايا و هناك من تحتفظ بها (اي الصالحة للاحتفاظ) خصوصا تقول اذا كانت من شخص عزيز ، حيث انك تحس انه يكن لك شعورا جميلا عندما اهداك تلك الهدية ، حيث انها لا تفكر ابدا في ارجاع الهدايا ، و عندما سالتها لماذا ، قالت : لانها ليست واجبة و انها غير ملزمة بارجاعها . كما انها قدمت هدايا كثيرا هي الاخرى و اهتمت بشكلها الخارجي كالتغليف و كتابة عبارات مميزة بها ووضع ورود عليها ، لانها ترى ان هذه الامور تزيد من عنصر التشويق لمعرفة ماذا بداخلها ، كما انها تزيد من فرحة المتلقي لها .

استنتاج :

من خلال هذه المقابلة توضح لي ان سكان مدينة الاغواط عبارة خليط غير متجانس يربطهم ذلك المجال العمراني و الحياة الاجتماعية المشتركة بصفة كبيرة جدا ، و هذا ما يجعل فيها العلاقة الاجتماعية ترتدي ثوبا من نوع خاص

الحالة رقم : 02

السن : 31 سنة

الجنس : ذكر

المستوى التعليمي : سنة ثالثة ثانوي

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

يرى المبحوث ان مدينة الاغواط كبيرة و لا يستطيع الناس ان يتنقلوا بسهولة الا اذا استخدموا وسائل النقل في ذلك ، لان التنقل من منطقة لاخرى على الرجلين امر مستحيل ، الا ان هذا ليس عائقا ابدا ، لان الناس يستخدمون وسائل النقل و يتنقلون عبر تراب المدينة بشكل كبير . فالاصدقاء و الاقارب يتزاورون من وقت لحين ، لان المسافة ليست عائقا في تبادل الزيارات بين الناس .

حيث يقول ان نعظم و ان قلنا ان كا الاسر المتواجدة بالمدينة هي اسر صغيرة حيث يقول الناس اصبحت تبحث عن الاستقرار النفسي و الاستقلالية المادية لان في العائلات الكبيرة يبقى الانسان يحس انه تابع ، و لا يستطيع ان يشعر بالمسؤولية و لا الحرية في تصرفاته و قراراته ، لذلك فالناس كلها تفضل الاستقلال بسكنات خاصة تضم اسرهم على المستوى الضيق .

حيث يقول ان النشاطات في مدينة الاغواط كثير و الناس تتنوع نشاطاتهم ووظائفهم بين العمل في الشركات الخاصة و العامة و الادارات المتنوعة الخدمات و قطاع النقل و التجارة ، و المقاولات الخاصة و التعليم بجميع مراحلها

و صناعة الحلويات و التجارة بها و المطاعم و المقاهي و غيرها من الاعمل الحرة .

حيث يقول ان مدينة الاغواط كبيرة و يتنوع فيها السكان ، حيث تربطهم علاقات العمل او الزمالة و الصداقة او الجيرة او المصاهرة و علاقات الدم و القرابة . حيث يقول هذا الشاب انه ليس من مدينة الاغواط بل هو من الشرق الجزائري الا انه يعمل تاجر البسة بالمدينة منذ ثلاث سنوات

كما يقول انه لا يعرف اصل سكان المنطقة ، لكن يبدو هل اناهل المنطقة ليسوا من نفس العرش بل ان الاغواط عبارة عن خليط من السكان المحليين و المتعددة العروش و السكان القاطنين من الولايات الاخرى .

حيث يقول ان سكان الاغواط ليسوا مقربين من بعضهم البعض كما يبدو له ، و على حسب ما يسمع عنهم حيث ان الاهل او الاقارب او الاصدقاء او الاحباب يتبادلون الزيارات و الهدايا في مناسبات معينة كاعيد الميالاد و اعياد الزواج و النجاح و الخطوبة و السكن الجديد او الولادة وغيرها .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي :

يرى المبحوث ان للهدية اثر كبير وواضح في التحسين من العلاقات الاجتماعية بين الناس و خصوصا بين الاهل و الاصدقاء و الناس المقربة من بعضها البعض او الناس الذين لهم مصالح ببعضهم البعض كذلك يتبادلون الهديا .

حيث يقول انه ليس بمقدور الهدية بناء علاقة اجتماعية جديدة مع شخص لا تعرفه ، لانها لا توجد ثقة في الناس و ليس بمجرد انه اعطاني شيئا ما ، اثق

به هذا ليس سهل ابدا حيث قال (لا دير لمان في بلاد لمان و اذا درتوا بات عساس) .

كما يقول ان الهدية يمكن ان تصلح العلاقات الاجتماعية التي قد كسرت في حالات فقط و حسب المشكل و حسب الشخص كذلك و مكانته في قلبي بشرط ان يكون المشكل الذي حدث لم يمس كرامتي او تكون خديعة مقصودة في حقي فلن اسامح مهما كان ثمن الهدية و تبقى عدم الثقة في الناس هي الحل الامثل بالنسبة لي ، و خصوصا عندما لا تكون بين اهلك .

الا اذا كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس حسنة فان الهدية بطبيعة الحال ستزيد من قوتها و صلابتها و كذا محبة الناس بعضهم لبعض .

المحور الثالث : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

يقول المبحوث ان عملية التهادي هي قديمة و الناس من القديم يتبادلون الزيارات و الهايا في المناسبات المختلفة ، حيث انهم نفس الاطراف هم الذين يتبادلون الهديا ، حيث يعطون اشياء معروفة و كل الناس تستعملها و معروفة

و لها معنى ايجابي للفرد المتلقي .حيث ان الناس يتبادلون كتب القران

و الكوادر و امور الديكور و الالبسة و ادوات الزينة و الهواتف و الاثاث

و الساعات و الخواتم و الفواكه و الحلويات و بطاقات التهئة و غيرها .حيث يتبادلها الازواج و المخطوبين و الاصدقاء و الاهل و الاقارب و الزملاء

و الاحباب و غيرهم حيث يتبادلونها في مناسبات عديدة كالزواج و الخطوبة و اعياد الميلاد و اعياد السنة الميلادية و المرض و النجاح و شراء سيارة جديدة و غيرها .

حيث يقول ان الناس من نوي المكانة الاجتماعية و الثقافية و المادية متواجدون بكثرة في هذه المدينة ، حيث انهم يتبادلون الهدايا هم ايضا ، لكن يقول ان هداياهم تختلف بشكل كبير مع بقية الناس ، على حد ملاحظته فهداياهم دائما تكون ثمينة كالذهب و الهواتف الراقية و الكمبيوتر و المال الاثاث ... الخ .

حيث يقول ان الهدية المعنوية هي موجودة لكن تأثيرها ، ليس له مفعول بالقدر الكافي لانه يرى ان المجتمع هو مجتمع مادي و منفعي ، حيث يقول ان الهدية المعنوية ليس لها ملموسية و لا تفيدني في اي شئ حيث قال لي اذا اردتي اهدائي هدية فلا تقولي لي (شكرا او يعطك الصحة) بل خالصي فطور ، حيث قال ان تقديم الخدمات لا يكون هكذا فقط بل تقابلها خدمة اخرى لذا فانه لا يعتبر تقديم الخدمات نوع من انواع الهدية . كما يقول انه لا يوجد اجمل من المال كهدية ، لان الفرد ربما يكون يحتاج النقود اكثر من اي شئنا اخر ، و هو يتصرف به و يعرف ماذا يحتاج ، لانه يقول ربما تعطيه شئنا ما هو ليس بحاجة اليه ، لذا فلا يفرح به كثيرا مثلما يفرح بالمال .

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و لمضمون .

يرى ان الهدية من ناحية معناها ام تتغير و لن تتغير ابدا لانها دائما تخل الفرحة و السرور في نفسية المتلقي و ترفع من معنوياته ، هذا بالنسبة للجانب النعوي و الدلالة ، اما بالنسبة للجانب المادي و نوعيتها فهو يقول انها تغيرت كثيرا جدا ن لان الوقت قد تغير و تطور و اصبحت هناك امور تقدم كهدايا لم تكن موجودة في السابق اصلا ، كالهواتف النقالة مثلا ، او الاجهزة الالكترونية حيث يرى المبحوث ان الهدية عادة فرضتها علينا العادات و التقاليد و كذلك المصالح و الوقت الحالي ، هو الذي فرض علينا مثل هذه المعاملات التبادلية

لان الوقت يقول اصبح وقت مصالح ، و لا يوجد من يعطيك شيئا هكذا الا اذا كان ينتظر منك المقابل المادي او المعني (قال لا تنزعجي مني فانا صريح و هذا هو الصح ، نكذب عليك ؟) حيث يرى ان الهدية هي دين يجب ارجاعه ماديا او معنويا كان تقدم للشخص الذي اهداك خدمة معينة ، فيقول انه تلقى هدايا بسيطة من عند الفتيات فقط و ليس من اي احد ، - يقول هذا و يضحك كثيرا و هو لا يحتفظ بها لانه يرى ان الامر جد سخي ، يقول انه ارجع هدايا اخرى اهتم بشكلها و جمالها ، لكي تقول عنه الفتايات انه مرتب و يعرف فن المعاملة مع الناس .

استنتاج :

من خلال هذه المقابلة توصلت الى ان مدينة الاغواط ليست عبارة عن مجتمع بقدر ما هي مجال اجتماعي ، لان الناس بالمدينة تتنوع ثقافتهم ، و انتماءاتهم العرقية و الاجتماعية و الثقافية ، و هذا ما يجعلها تشهد تنوع كبير في الاراء و الاتجاهات و حتى في العلاقات الاجتماعية .

الحالة رقم : 03

السن : 54

الجنس : انثى

المستوى التعليمي : /

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية

ترى المبحوثة ان مدينة الاغواط اصبحت مدينة كبيرة و الناس لا يستطيعون تبادل الزيارات في جميع الاوقات و خصوصا في ايام البرد او الليل لان المسافة كبيرة و الناس لا يستطيعون التنقل الا باستخدام وسائل النقل .

حيث تقول المبحوثة ان اغلب الاسر المتواجدة في المدينة و في الوقت الحالي هي اسر نووية ، لانها تقول ان الوقت قد تغير و الكنة اصبحت امراة عاملة و هذا لا يناسب وضعيتها اذا كانت في البيت الكبير، بالاضافة حب الاولاد في التفرد و الاستقلالية .

حيث تقول المبحوثة ان سكان المدينة معظمهم يشغل المناصب الادارية و الحكومية ، و كذلك يشتغلون في النقل و المقاولات و التجارة و الشركات و التعليم و غيرها من الوظائف

فهي تقول ان السكان تربطهم مصالح العمل و القرابة و الجيرة و الصداقة كما انها ترى انهم ليسوا من نفس العرش ، فتقول ان العروش كثيرة كالحجاج و اولاد سيدي الحاج عيسى و النوايل و الزكازكة و اولادرحمان و اولاد زيان و اولاد سيدي عطاء الله و اولاد عطية و تقول ان الغرباء كثيرون .

حيث ان الناس لم تعد تتبادل الزيارات كما في السابق ، الا اذا كانت مناسبة كبيرة تجمعهم كالعرس او الوفاة ، لانها تقول ان الناس اصبحت مشاغلها كثيرة و القلوب بردت عن بعضها البعض على حد قولها .

حيث تقول ان في وقتنا الحالي لم تعد هناك هدية بدرجة كبيرة بل عندنا واجبة الزفاف و الولادة و الاختتان و السكن الجديد و السيارة الجديدة و غيرها .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي

حيث تقول انه من المعروف ان الهدية تحسن من العلاقات الاجتماعية و تزيد من المحبة و اللفة بين الناس اذا كانت هدية خالصة ، اي لا يوجد لها مقابل او منتظر ردها . كما اناه تستطيع بناء علاقة اجتماعية جديدة في نطاق ضيق جدا حيث فكرت طويلا ثم قالت بالنسبة للجيران فقط . او بين رجل و امرأة خاتم الخطوبة بدية علاقة جديدة .

الا ان الهدية يمكنها ان تغذي العلاقات الاجتماعية و تقويها ، خصوصا بين الاهل و الأزواج بصفة خاصة و المخطوبين . كما تقول انه ليس بمقدور الهدية ان ترفع علاقة اجتماعية قد تمزقت بدرجة كبيرة ، الا اذا كان المشكل خفيفا اي ارجعتها لدرجة المشكل .

المحور النموذج الثالث : اثرالنموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

حيث تقول انه ليس هناك دخل للعادات و التقاليد في عملية التهادي ، هو صحيح ان عملية التهادي في حد ذاتها عادة ، الا ان الفرد ليس مجبرا ان يقلد الناس في هداياه التي يقدمها ، او يتقيد بمناسبات معينة ، لان الهدية يمكن ان تكون بدون مناسبة اصلا .

فالناس يتبادلون الالبسة و النقود و الاواني و الذهب والاعراض الخاصة بديكور المنازل و الهواتف و ما الى ذلك .

حيث يتبادلها الاهل و الاصدقاء و كل الناس الذين يعرفون بعضهم البعض و بينهم علاقات اجتماعية طيبة .

فتقول ان الناس تختلف هداياهم باختلاف مراكزهم الاجتماعية و امكانياتهم المادية .

حيث تقول ان للهدية المعنوية اثر كبير في العلاقات الاجتماعية كابتسامة و ترحيب و فرحة الفرد عند رؤيتك ، ترى انها اجمل بكثير من الماديات حيث قالت (حل عبستك ما ردت خبزتك)

حيث تقول ان الانسان عندما تحتاجه و تجده معنويا اكبر هدية او يقدم لك خدمة انت في امس الحاجة لها ، كذلك هدية لها مفعول سريع وواضح في العلاقات الاجتماعية ، حيث انها تعتبر النقود هدية لكن ليست اذا كانت مقرونة بالرد

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

حيث تقول ان الهدية تغيرت كثيرا من ناحية معناها ، لانها تقول انه في السابق ابسط شئ يمكن ان يكون كهدية ، اما الان فالامور قد تغيرت كثيرا لان الوقت تغير سواء بالنسبة للشياء المقدمة كهدايا او قيمة الهدية في حد ذاتها .

حيث ترى المبحوثة ان الهدية تقديمها ارادي و من تلقاء النفس .

حيث تقول انها تلقت هدايا كثيرة و خصوصا من عند ابنائها المسافرين يحضرون لها هدايا عند عودتهم ، و هي تحتفظ بها لانها تعني لها الكثير فهي من عند اعز الناس .

كما تقول انه سبق لها و ان قدمت هدايا هي الاخرى ، و اهتمت بشكلها لان شكل الهدية مهم جدا و يرفع من معنويات الفرد .

استنتاج :

ومنه نستنتج ان العلاقة الاجتماعية في هذا المجال الاجتماعي تختلف كثيرا في نوعها و مدة تواجدها بين الناس ، و ذلك راجع للدلالة التي يعطيها الناس للهدية في معاملاتهم لانها تاخذ الاتجاه المنفعي في المعاملات بين المتهادين .

الحالة رقم : 04

السن : 26

الجنس : انثى

المستوى التعليمي : جامعي

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية .

ترى المبحوثة ان مدينة الاغواط ليست مدينة كبيرة جدا بالمقارنة بالمدن الكبرى و التنقل فيها ليس صعبا و لا مكلفا ، و هذا ما يساعد الناس كثيرا في التواصل مع بعضهم البعض حيث تقول ان معظم الاسر و العائلات تتبادل الزيارات في مناسبات معينة و بدون مناسبات ، و هي ترى كذلك ان الاسر الغالب وجودها في المنطقة هي الاسر النووية ، حيث تقول ان هذا راجع لكثرة المشاكل بين الاخوة و زوجاتهن و اولادهم ، و كل واحد صار يبحث عن الانفرادية و الاستقلالية .

حيث تقول ان سكان مدينة الاغواط يشتغلون بالقطاعات العمومية و القطاعات الخاصة من مقاولات و تجارة و النجارة و الحدادة و الميكانيك و البناء و كذا بالقطاع التربوي ة التعليم ، و جميع الاعمال الحرة .و كذلك البطالين كثيرون فهي ترى اناهل المنطقة تربطهم علاقات العمل و القرابة و الصداقة و الجيرة و المحبة اكثر من اي شئى اخر ، بالرغم من انهم ليسوا من نفس العرش فنسبهم يختلف لان العروش بالمدينة كثيرة .

كما تقول ان الجيران في الاغواط لا يزورون بعضهم البعض ، و هذا لانها تقول ان الناس اصبحت تخاف من بعضها البعض ، و خصوصا الدخلاء .

كما تقول ان سكان الولاية يتبادلون الزيارات بين الاهل و الاقارب و الاصدقاء الذين يعرفون بعضهم البعض ، و يتبادلون الهدايا في مناسبات عديدة ، كاعيد الزواج و اعياد الميلاد و الاعراس و الولادة و النجاح و عيد الحب اعياد راس السنة .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي .

ترى المبحوثة ان للهدية الدور الكبير في توطيد اواصر المحبة و التواصل بين الناس لانها ترفع من المعنويات و تزيد من تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الناس

و عندما سالتها عن ما اذا كانت الهدية تستطيع بناء علاقة اجتماعية جديدة ، لانها ليست وحدها كافية ابناء علاقات اجتماعية .

و الهدية تستطيع اصلاح العلاقات الاجتماعية ، اذا كانت المشاكل التي حدثت ليست بالكبيرة .اي تستطيع تغذية العلاقة الاجتماعية و تمثيلها فقط .

المحور الثالث ك اثر النموذج الثقافي داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي ترى المبحوثة ان عملية التهادي هي عملية او ظاهرة قديمة ز معروفة في المعاملات الاجتماعية بين الناس ، سواء بالنسبة للمناسبات او الاطراف او القيمة المادية للعطايا .

حيث ان الناس يتبادلون الكتب و المذكرات و خاصة كتب القران و المزهريات و الورود و الافرشة و الساعات و بطاقات التهئة و الذهب و الحواسيب و الالبسة و الاقلام و العطور و غيرها من الامور الجميلة .حيث يتبادلها الاهل و الاصدقاء و المتحابين و الزملاء و كل الناس الذين تربطهم علاقات اجتماعية جيدة .

كما تقول ان الناس ذوي المكانة الاجتماعية و الاقتصادية تختلف هداياهم عن بقية الناس ، فهي تقول لان هذا مفروض عليهم و المكانة التي يحتلونها هي التي فرضت عليهم ذلك و تقول المبحوثة كذلك ان الهدية المعنوية لم تعد ذات مفعول و تاثير واضح بين الناس ، لان الناس صاروا يتعاملون بالماديات اكثر من اي شياً خر و خصوصا النقود .

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون

تقول ان الهدية اكيد تغيرت كما يتغير كل شئء ، فقديما كانت هناك هدايا و الان هدايا اخرى اي من نوع اخر .

حيث تقول ان الهدية في الوقت الحالي اصبحت اجبارية و الزامية على الفرد لكي يحافظ على مكانته الاجتماعية بين ذويه . ، و تقول انها تلقت عدة هدايا بعضها تحتفظ به و البعض الاخر استعملته و انتهت صلاحيته مع الوقت ، كما

انها ارجعت الكثير من الهدايا و اهتمت بشكلها و جمالها ، لانها تحب هي ايضا ان تهدي لها هدية انيقة المظهر .

استنتاج :

ان الهدية في مدينة الاغواط تتجرد من شرعيتها الاجتماعية ، و تنتحى نحو الدلالة الاستراتيجية ، مما يجعلها تعبر عن القوة و الهيمنة الاجتماعية الممارسة و تثبت التراتب الاجتماعي و الثقافي بين الوحدات الاجتماعية .

الحالة رقم : 05 .

السن 55

الجنس : ذكر

المستوى التعليمي : /

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية

يرى المبحوث ان مدينة الاغواط ، مدينة كبيرة و يصعب التنقل فيها بسهولة حيث ان الناس يستعملون وسائل النقل في ذلك ، فهم يتبادلون الزيارات بالمناسبات و في غير المناسبات ، و خصوصا بين الاهل و الاحباب و الاصدقاء ، كما يقول المبحوث ان الجانب العمراني لا يساعد الناس لكي يتبادلوا الزيارات في كل حين لان المسافات ليست بالقريبة لبعضها البعض .

كما يرى المبحوث ان الاسر الغالب وجودها في الولاية هي الاسر النووية ، اما بالنسبة للعائلات الكبيرة فيقول انها موجودة لكنها ليست كثيرة ، و ليست كما كانت في السابق .

اما بالنسبة للنشاط الذي يمارسه اهل المنطقة فتنوع نشاطاتهم بين التجارة و القطاعات العمومية و كذلك الخاصة ، بالاضافة الى البطالين الذين لا يمارسون اي شغل.

يقول المبحوث ان العلاقة بين سكان مدينة الاغواط علاقة غير محددة بشكل واضح فالعلاقات الاجتماعية كثيرة و متعددة ، فهناك علاقات القرابة

و الجيرة و الصداقة و علاقات العمل و الدراسة ، حيث يقول ان سكان المدينة ليسو بعضهم بالعرش الواحد ، فالعروش متعددة و كثيرة ، و خصوصا في الونة الاخيرة يقول ان المدينة اصبحت مختلطة كثيرا ، بالناس الدخلاء عن المدينة .

حيث يقول انه ليس من المدينة بل يسكنها منذ سنوات و يعرفها جيدا .

و يرى كذلك ان الجيران بمدينة الاغواط تختلف علاقاتهم ببعضهم البعض ، فهناك من علاقته بجاره جيدة و هناك من يقول ان جاره هو من يسبب له المشاكل و العناء . و يفضل قطع العلاقة معه .

و الناس بالاغواط يتبادلون الزيارات في مناسبات او غير مناسبات و كذلك يتبادلون الهدايا و يقدمون العطايا لبعضهم البعض كالاعیاد مثلا (عيد الميلاد – راس السنة الهجرية و عاشوراء و المولد يقول ان الجيران يتبادلون ما يعرف بالذواقة) كما يتبادلون الهدايا في مناسبات اخرى كالاعراس و الاختتان و شراء سكن جديد او سيارة جديدة ، و غير ذلك من المناسبات .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي :

يقول المبحوث ان الهدية لها الاثر الكبير و الواضح في توطيد العلاقات الاجتماعية و خصوصا بين الاهل و الاقارب و الاصدقاء و المتحابين بين سكان المنطقة .

حيث يقول ان بالهدية ترجع المياه الى مجاريها بين المتخصصين و الذين مروا بمشاكل مع بعضهم البعض ، لانها تصفي النفوس من الاحقاد والشرور و تصنع علاقات طيبة بين الناس .

المحور الثالث : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

يرى المبحوث ان عملية التهادي عادة تداولها الناس منذ القديم ، في مناسبات معروفة و بين اشخاص معروفين ، الا ان الاغراض المتبادلة تغيرت كثيرا .حيث يقول ان الناس اصبحوا يتبادلون العطور و الذهب و اللوحات و الاشياء الثمينة حيث يتبادلها الاهل و الاصحاب و الزملاء و المتحابين بصفة عامة .في مناسبات معينة كالاعراس و الولادة والاعیاد .

يقول المبحوث ان الاشخاص الذين يحتلون المكانة الاجتماعية و الثقافية في المنطقة تختلف هداياهم عن بقية الناس الاخرين ، لانها يعتبرون انفسهم الافضل و يقدمون الافضل في تبادلاتهم و هذا ما يراه المبحوث في المنطقة .

حيث يقول المبحوث ان للهدية المعنوية اثر كبير في العلاقات الاجتماعية بين الناس لانها تطيب خاطر و تهدئ النفس ككلمة طيبة مثلا او خدمة بدون انتظار مقابل .

و عندما سألته عن النقود و اذا كان يعتبرها هدية اجاب بنعم ، لانها تمكن الانسان من الحصول على الشيء الذي يريده و يحتاجه .

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

يرى ان الهدية تغيرت دلالتها كثيرا بين الماضي و الحاضر ، فيقول انه في السابق كانت الهدية عبارة عن زجاجة سمن او ابريق قهوة او شاي ، لها مفعول الهدية الكامل ، اما الان فيقول ان هذه الامور لا تعتبر هدية ابدا .

حيث يرن ان الهدية الزامية في مجتمعنا الحالي و تقابل بالرد لان التعاولات اصبحت تفرض علينا هكذا .

و يقول انه تلقى هدايا و هو كذلك اهدى هدايا و اهتم بشكله و جمالها لانه يزيد من فرحة المتلقي .

استنتاج :

ومنه نفهم ان النموذج الثقافي بمدينة الاغواط هو ليس بالموحد ، لان الناس بالمدينة يحملون عدة نماذج ثقافية تجعلهم يضيفونها في ممارساتهم الاجتماعية و اليومية في عملية التهادي ، حيث ان التشيؤ في التهادي يبدو غالبا في هذا النوع من الممارسات ، باعتبار ان الناس يفضلون الهدية المادية اكثر من المعنوية و اثرها اكبر بكثير من المعنوية في ترتيب و تحسين العلاقة الاجتماعية بين الناس .

ثانيا : دراسة حالة النموذج الثقافي شبه حضري (بلدية تاجموت)

الحالة رقم 01 :

السن : 16 سنة

الجنس : انثى

المستوى التعليمي : سنة رابعة متوسط .

-المحور الاول : طبيعة العمران و اثره على التواصل الاجتماعي في المجال العمراني .

ترى المبحوثة ان منطقة تاجموت ليست بالمنطقة الكبيرة جدا لدرجة ان الناس لا تعرف بعضها البعض ، فهي تقول ان تاجموت عبارة عن مجموعة من القصور كالقصر القديم و القصر الجديد و قصر قرنبو و غيرهم على حد قولها ، و كلها

مقاربة مع بعضها البعض ، كما تقول ان سكانها يتواصلون و يتبادلون الزيارات حتى انها قالت ان المتنقل بين هذه القصور لا يحتاج وسيلة نقل بل يصلها راجلا فقط ، و كل الناس تقريبا تعرف بعضها البعض ، الا من كان ساكنا جديدا فهو معروف لدى اصحاب البلاد انه دخيل لان العرش الغالب وجوده هم اولاد سيدي عطاء الله .بحكم تواجد ضريح ولي الله الصالح بالمنطقة .

كما اكدت ان نوعية الاسر الغالب وجودها هي الاسر النووية و المكونة من الاب و الام و الاولاد ، لانها ترى انه من يصبح اب لطفل او طفلين على الاكثر ينتقل لمسكن خاص .

كما استدرجتها القول عن النشاط السائد فصرحت قائلة ان شباب تاجموت معظمهم في الاطار الخدماتي ، لكن تكون نسبة كبيرة منهم من ينتقل لمقر الولاية لياشر عمله ، لان الوظيفة العمومي محدود مقارنة بالولاية الا في سلك التعليم .

اما بالنسبة للنساء فهي تقول ان كثيرهن يمارسن حرفة النسيج صيفا و شتاءا ليتاجرن بها . و خصوصا مضرب العروس المتعدد الانواع (الكسر و القطع و الجاكار و مضرب غرداية و اللحوف ... الخ و اخاطة الصالونات و الستائر و الالبسة) و الكثير من الاشغال اليدوية .

اما بالنسبة للرجال فكبار السن و المتقاعدين يقضون معظم اوقاتهم في البساتين لممارسة نشاطهم الفلاحي لاكتفائهم الذاتي و كذا للمتاجرة في الغلة المتنوعة من الخضر و الفواكه الموسمية المشمش و الرمان و الخوخ و التفاح ... الخ .

كما تقول المبحوثة ان سكان صحیح ان اغلبهم هم اولاد سيدي عطاء الله لكن هذا لا يعني انهم وحدهم المتواجدون في المنطقة ، فتاجموت تتنوع فيها العروش و الناس تربطهم علاقات القرابة و الجيرة و المصاهرة و علاقات العمل و الدراسة و غيرها كثير من العلاقات الاجتماعية . لانها ابنة هذه المنطقة و اصلها منها ابا عن جد لذا تقول انها بنت البلاد الاصلية على حد تعبيرها (تاجموتية قح) يعني اصلها من تاجموت .

حيث ترى ان الناس يتبادلون الزيارات في المناسبات و في غير المناسبات و خصوصا عندما استدرجتها للحديث عن علاقة الجيران ببعضهم البعض ، فقالت ان الجيران بهذه البلدة تتنوع علاقاتهم فهناك ابناء العم و جيران في الوقت نفسه لذا ترى ان علاقتهم متلاحمة اكثر ، و في بعض الاحيان يكونون ابناء العم و جيران لكنهم لا توجد بينهم اي تفاعلات او اي زيارات و كانهم غرباء عن بعضهم البعض كما انها تقول كذلك ان اهل تاجموت يتبادلون الزيارات في مناسبات او غير مناسبات الا ان الهدايا عندهم تقدم في المناسبات فقط كمناسبات الزواج و اعياد الميلاد و الخطوبة و زيارة المريض و ازدياد مولود جديد والاستقرار في سكن جديد و غيرها من المناسبات حيث ترى ان الهدايا تختلف باختلاف المناسبة ، فعندما سالتها عن نوع الهدايا اجابت العطور و الالبسة و الذهب و الاواني للساكن الجديد و المذكرات و الساعات و غيرها قالت (حجرة من عند الحبيب تفاحة) .

المحور الثاني : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي ، فهي ترى ان الهدايا تحسن من العلاقات الاجتماعية و تعيد المياه

لمجاريها بين الناس (الأهل و الأصدقاء و الأزواج و كل الناس . كما تقول ان الهدية تفتح باب المحبة و الصداقة اذا كانت نية المهدي خالصة و صادقة في كسب ود المهدي له لانها ترى ان هذا الامر معروف حيث قالت مثل شعبي متداول في المنطقة (من عندي و عندك تطبع و من عند واحد فريد تتقطع) ، عندها سالتها هل رد الهدية يكون اجباري فاجابت بنعم و تعتبرها دين يجب رده او رد احسن منه ، فقلت لماذا ؟ قالت لان الشخص عندما لا يرد الهدية يكون كما قالت: (ما يعرفش الواجبة)

المحور الثالث: معنى الهدية بين الماضي و الحاضر

و هذا امر متعارف عليه منذ القديم اي موروث ثقافي و لم يتغير خصوصا في الامور المادية لانها لا تعتبر الامور المعنوية هدية اصلا .

لانها تعتبر ان الهدية مادية فقط و خصوصا النقود ، لانها ترى ان المجتمع صار يتعامل بالنقود فالمريض ياخذون له النقود و في الاعراس النقود (الباروك) كما قالت المبحوثة و كل المناسبات صارت بالنقود خصوصا عند الناس ذوي المراكز الاجتماعية و المثقفون في المنطقة.

استنتاج :

من خلال ما سلف توصلت الى ان بلدية تاجموت تتنوع فيها العلاقة الاجتماعية الى حد ما ، بين العلاقة الاجتماعية التواصلية و العلاقة الاجتماعية الاستراتيجية من خلال الاثر الذي تتركه الهدية في التعاملات الاجتماعية بين الناس ، بالاضافة الى ان العلاقة بين الناس تتنوع بين العلاقة الاجتماعية و العلاقة العمرانية التي تجعل من التفاعل الاجتماعي يبدو في تباين كبير بين الانخفاض و الارتفاع

الحالة رقم : 02

السن: 63

الجنس: ذكر

المستوى التعليمي : لم استطع الحصول عليه صرح انه درس لبضع سنوات في وقت المعمر الفرنسي .

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية

يرى المبحوث ان تاجموت صارت مدينة كبيرة مقارنة بالسابق حيث قال انها كانت عبارة عن قصر واحد و هو القصر القديم حاليا و له بابان الباب الشرقي و الباب الغربي و كل الناس تقطن ذلك القصر مما يسهل عملية التواصل و التماسك الاجتماعي ، اما الان فيقول انها قد توسعت كثيرا و صار سكانها عبارة عن خليط ، لدرجة انه يقول انه ابن البلاد و صار لا يعرف الناس بها

فيقول انه كل شئ قد تغير حيث ان الاهل صاروا تقريبا لا يرون بعضهم بالشهور بالرغم من انهم من نفس البلاد ، فقال ان الاهل سابقا كانوا يسكنون في بيت واحد ، حيث تجد الاخوة و ابناء العم كلهم اسرة واحدة ، اما الان فكل واحد يعيش حياة خاصة و مستقلة .

فقال المبحوث انه كان يشغل وظيفة حكومية و تقاعد منها ، و الان يمارس نشاطا خدمتيا (قطاع النقل) لانه يرى ان بلدية تاجموت لا يوجد فيها اي عمل على غرار النقل او التجارة او الفلاحة بالنسبة لامثاله ، و عندما سألته عن النساء قال انهن يمارسن حرفة النسيج اما بالنسبة للمتقفات فهن يشغلن مناصب ادارية و تعليمية في البلدية او خارج البلدية .

و يرى كذلك ان سكان تاجموت تربطهم علاقات الدم و المصاهرة و الجيرة و الصداقة ، لانهم عبارة عن فرق و عروش كما قال اولاد سيدي عطاء الله

و المخاليف و اولاد نايل و اولاد زيان و الزكازكة و الزناكحة و الحرازلية
و اولاد يوسف و الجوادات زوو غيرهم .

فهم يتبادلون النسب بالمصاهرة و الصداقة ، فهم يتبادلون الزيارات و الهدايا في
المناسبات .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي :

يقول المبحوث ان سكان المنطقة يتبادلون الهدايا في مناسبات مختلفة
كالاعراس والحج و العمرة و اسكن الجديد و الوظيفة الجديدة و النجاح في
الدراسة و اعياد الميلاد و غيرها ن فهو يرى ان الهدية تساهم في تحسين
العلاقات الاجتماعية و يقول كذلك ان الرسول صلى الله عليه و سلم اوصى بها
حينما قال : (تهادوا حابوا) لانها تذهب الضغائن و الاحقاد من النفوس و
تطيب خاطر ، كما يعتبرها المبحوث مساعدة الناس لبعضهم البعض
وخصوصا في الاعراس ، او بدون مناسبات اعتبرها بمثابة صدقة للناس
المحتاجين و الفقراء و خصوصا فيما يخص النقود فهو يراها افضل هدية و
ذلك نظرا لمتطلبات الوقت الحال ، حيث يقول ان كل شئ صار بالنقود .

المحور الثالث : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في
عملية التهادي

حيث يقول انه من المعروف ان عملية التهادي ليست بالظاهرة الجديدة بل هي
يراهنا على اساس انها هي في حد ذاتها عادة اعتادها الناس في تعاملاتهم ، فهم
يتبادلون الاموال و الاغنام و الاثاث و الامور التقليدية و الالبسة و العطور و
تجهيزات المنازل و غيرها

حيث يقول ان عملية التهادي لا تقتصر على افراد معينين بل على كل الناس و خصوصا الاهل و الاحباب و الاصدقاء و الجيران و المتزوجين و المخطوبين و الزملاء في العمل و الدراسة ، و خصوصا بالنسبة للافراد ذوي المكانة الاجتماعية العالية يرى المبحوث ان الاشياء التي يتعاملون بها كهدايا ليست بنفس القيمة المادية مع الافراد العاديين ، لانه يقول تكون ثمينة و غالية الثمن .

حيث يعتبر المبحوث ان تقديم الخدمات ليس هدية لانه يرى في مجتمعنا الحالي ان تقديم اي خدمة يكون بالمقابل و خصوصا في الامور الادارية ، فقال (ان الناس تعرف صوالحها فقط) .

المحور الرابع: مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى

يقول المبحوث ان الهدية تغيرت كثيرا عما كانت عليه في السابق حيث ان الاشياء المتبادلة كانت بسيطة و غير مكلفة مثلا كسلة ثمار من البستان او مائة دينار تكفي لكي تكون هدية اما الان فيراها اصبحت غير كافية لتقديمها كهدية كما يرى ان ردها كان غير اجباري اما الان فيقول ان ردها ضروري و الزامي و الاسقطت مكانة الفرد الاجتماعية . لذا فهو يعتبر الهدية واجب اجتماعي فرضته العادات و التقاليد و يعتبرها كذلك دين يجب رده .

حيث يقول انه كلما اهدى هدية ما الا و ردت اليه الا نادرا . حيث يقول انه في كل مرة يهتم بشكلها الجمالي في التغليف و وضع الورود خاصة يقول اذا كانت تتعلق بالعطور ، لان الامور الشكلية تضي على الهدية سحرا خاصا .

استنتاج:

تاجموت عبارة عن مجال عمراني واحد ، و كذا مجال اجتماعي واحد الى حد بعيد ، تتنوع فيها العلاقات الاجتماعية و تطغي عليها العلاقات القرابية ، مما يجعل فيها التفاعل الاجتماعي بين الناس يبدو بدرجة كبيرة ، الا ان الملاحظ

انه بالرغم من كل هذا الا ان العلاقة المصلحية و الغرضية يبدو حضورها بارزا في العلاقة الاجتماعية ، و خصوصا عندما يتعلق الامر بالتهادي لان الناس يعطون للهدية طابع الزامي في المعاملات ، و خصوصا الهدايا المادية الثمينة ، مما يجعل الناس في صراع خفي و ممارسة هيمنة على بعضهم البعض باستخدام الهدايا في قيمتها و نوعها في اضافة التميز و التراتب الاجتماعي بين الناس .

الحالة رقم : 03

السن : 20 سنة .

الجنس : انثى

المستوى التعليمي : سنة اولى جامعي

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية

ترى المبحوثة ان قرية تاجموت ليست بالكبيرة او المتفرقة من الجانب العمراني بل بناياتها مكتضة ببعضها البعض و هذا ما يسهل كثيرا من عملية التواصل الاجتماعي و تبادل الزيارات بين سكانها لكن سكانها عندما يريدون الوصول الى اي شخص فانهم يتواصلون اليه ، حيث تقول ان الجانب العمراني و البعد في المسافة ليس له اي علاقة بالتواصل لانها تقول انه يوجد جيران لا يزورون بعضهم البعض بالسنوات ، كما تقول ان النوع الغلب وجوده من الاسر في تاجموت هي الاسر النووية و المنفردة ، و عندما سالتها عن رايها في السبب الرئيسي لذلك قالت (ما يتعشرونش و كل واحد يحب يسكن وحده) .

اما بالنسبة للنشاط فتقول ان الرجال تتنوع نشاطاتهم بين التجارة و النقل و التعليم و غيرها و يكون الراتب للمعيشة فقط ، و كذلك المتقاعدين ، بالاضافة الى تربية المواشي و التجارة بها و الفلاحة للاكتفاء الذاتي و احيانا التجارة بها في (رحبة الخضرة) كما قالت .

كما تقول ان طبيعة العلاقات الغالب وجودها هي علاقات المصلحة و لا وجود لعلاقات صداقة وود الا علاقات الاقارب ، لانها من المنطقة و تعرف سكانها جيدا . كما تقول ان السكان الاصليين و البارز وجودهم هم اولاد سيدي عطاء الله و تقول انها واحدة منهم اما الاخرون فهم خليط من العروش الاخرى .

و تقول كذلك ان علاقات الجيران تتنوع بين العلاقات المتماسكة و اخرى عدوانية و السبب في ذلك ترى انه يعود الى عامل السن و التنشئة الاجتماعية .

كما تقول ان الناس في تاجموت يتبادلون الزيارات بالمناسبات فقط ، و تتبع هذه الزيارات هدايا و تقول انها ليست ثمينة لانهم بخلاء في بعضهم البعض ، اما عندما تكون الهدية مهداة الى اخر ليس من البلاد فربما قد تكون ثمينة ، و قالت هذا على حسب الامكانيات المادية لكل واحد .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي .

كما تقول ان سكان المنطقة يفرحون بالهدية مهما كانت قيمته المادية حيث تقول اهم شئ ان لا تدخل فارغ اليدين لاي بيت ، و هذه الهدية تحسن من العلاقات الاجتماعية و تزيد التماسك و الترابط بين الافراد و الاهل .

كما ان الهدية في نظرها تستطيع بنا علاقات اجتماعية جديدة لبعض الناس فقط و تقول هذا راجع للعقليات المختلفة . كما تساهم كذلك في ترقية العلاقات الاجتماعية التي قد تمزقت لظروف ما بالنسبة للناس المسامحين فقط ، دائما تقول حسب العقلية .

المحور الثالث : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

فالمبحوثة ترى ان تبادل الهدايا لم يكن جديدا ابد بل هي عبارة عن عادة اكتسبها الناس من الاسلاف الى الاخلاف بالنسبة للامور المتبادلة و المناسبات و كذا بالنسبة الاطراف التي تتبادل الهدية .

كما تقول ان الاشياء المتبادلة عيارة عن العطورو المذكرات و الالبسة و الاثاث و الذهب للانسان العزيز و الفواكه و الساعات و النقود و الحناء و الصابون و غيرها ، حيث يتبادلها الاهل و الاصدقاء و الازواج و المخطوبين و الاحباب و الجيران ، و زملاء العمل و الدراسة في اعياد الميلاد و اعياد الزواج و الخطوبة و مناسبات النجاح و الاختتان و كذلك في زيارة المريض و في الزيارات العادية فيما بين القربون .

كما تقول ان الناس من ذوي المكانة الاجتماعية و الثقافية في تاجموت لا تختلف هداياهم عن هدايا العامة في حالة ما اذا كانوا هم الذين يقدمون الهدايا اما في حالة ما اذا كانوا عبارة عن متلقين فالناس دائما يضعون اعتبارا لهدية هذا الفرد . لانها تقول ان هذه امور تدخل في التربية و تنشئة الفرد دائما الفرد عالي الشأن تحترمه الناس و تقدره و المعاملة معه تكون لها اعتبارات .

كما تقول المبحوثة ان الهدية المادية عندنا دائما اكثر قيمة من الهدايا المعنوية لان الناس اصبحت تتعامل بالماديات اكثر من اي شئى اخر . كما ان لها الدور البارز و التأثير السريع في تغيير مجرى العلاقات الاجتماعية

و عندما سالتها عن الهدايا المعنوية فيما تتمثل لديها ، قالت العزائم و المدح و تقديم الخدمات الادارية و غيرها .

المحور الرابع : مقارنة معنى و قيمة الهدية بين الماضي و الحاضر .

ترى ان دلالة الهدية لم و لن تتغير عن الماضي لانها تبقى دائما وسيلة لتصلح العلاقات بين الناس ، الا ان قيمتها تغيرت لانها ترى ان كل شئ ارتفعت قيمته المادية عن السابق.

لذا فهي تعتبر ان الهدية واجب اجتماعي فرضته العادات و التقاليد ، وهذا لا يعني بالنسبة لها انها الزامية بل ترى ان كل واحد و امكانياته ، اي ان الفراد اذا كان قادرا على رد الهدية يردھا ، اما انه اذا كان غير قادر فهذا ليس ضروري ابدا .

كما تقول انه قد سبق لها وان تلقت عدة هدايا ، و كانت تعني لها الكثير و هناك امور لا تزال تحتفظ بها ، و قد قمت انا كذلك باهداء هدايا اعتنيت بها كثيرا لانها تقول ان مظهر الهدية يعبر عن شخصية الفرد المهدي .

استنتاج :

توصلت من خلال هذه المقابلة الى ان السكان ببلدية تاجموت هم من نفس العرش ، اي تربطهم علاقات قرابية بشكل كبير و هذا ما يساعد على التفاعل الاجتماعي بينهم ، كما يجعلهم ينتمون لمنوذج ثقافي واحد يفرض عليهم نمط معين من الممارسات الاجتماعية ، و خصوصا عندما يتعلق الامر بعملية التهادي و تبادل العطايا فيما بينهم ، و خصوصا تلك العطايا المادية التي تغطي على هذا النوع من المبادلات .

الحالة رقم 04 :

السن 50 سنة

الجنس :انثى

المستو التعليمي : سنة خامسة ابتدائي .

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية

ترى المبحوثة ان الناس في تاجموت يتبادلون الزيارات بحكم تقارب المسافة لانها تقول ان تاجوت ليست بالبلدة الكبيرة .

و ترى ان اغلب العائلات هي اسر نووية و ترجع السبب في ذلك الى كثرة المشاكل التي تنشعب بين الكنة و الام .، اما العائلات الممتدة فهي نادرة الوجود بالمنطقة ، لان الوقت تغير كثيرا فالمرأة تقول في القديم كانت مقيدة ببيت الزوجية ، الا ان الوقت الحالي حرية المرأة زادت اصبحت تعمل و تحب ان تعيش حياة خاصة و مستقلة عن سيطرة ام زوجها .

اما بالنسبة للنشاط السائد فهي تقول ان معظم الرجال يشغلون مناصب ادارية و حكومية او التجارة ، اما بالنسبة للشيخ و العجائز فهم مازالوا يمارسون الفلاحة اما بالنسبة للنساء فتقتصر نشاطاتهم على حياكة الصوف و الغزل و النسيج و الخياطة و قتل الكسكس ، فمنهن من تتاجر بها و منهن من تحقق بها اكتفاءها الذاتي لبيتها . اما بالنسبة للفتيات فتقول ان نسبة كبيرة جدا منهن جامعيات و متقفات ، و تشغلن مناصب ادارية و خاصة في سلك التعليم .

اما بالنسبة للعلاقة بين سكان تاجموت ، فتقول المبحوثة انها علاقة جيرة و محبة و صداقة من القديم منذ ان كانت تاجموت عبارة عن قصر واحد ، و تقول كذلك ان اغلبهم تربطهم علاقة دموية ، اي انهم من نفس العرش (اولاد سيدي عطاء الله) و هناك عروش اخرى لكن نسبة تواجدتها في المنطقة ليس بالكثير ، و تقول ان اصلها من تاجموت ، لكنها ليست بنت سيدي عطاء الله .

ترى ان علاقة الجيرة ليست كما كانت في السابق ، فهي تقول انها قد تدهورت فالجيران في السابق يتبادلون الزيارات كثيرا و (الذواقة فيما بينهم و خاصة

في شهر رمضان) على حد قولها و اصبح الجيران يتخاصمون كثيرا و يشكون في بعضهم كذلك ، و هذا يرجع لنقص النية الصادقة فيما بينهم .

اما بالنسبة للزيارات فهي تقول انها لا تزال موجودة فيما بينهم ، و كذا تبادل الهديا في المناسبات كالاعراس و الولادة و الاختتان و الخطوبة و السكن الجديد و النجاح في الدراسة و زيارة المريض و اعياد الميلاد و غيرهم .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي .

و تقول ان الهدية تزيد من الفرحة في نفوسهم و تعزز العلاقات الاجتماعية بين الناس ، و يحس الافراد انه لا يزال هناك الصدق و المحبة بينهم فالهدية ترى انها تساهم في خلق علاقات اجتماعية جديدة ، فمثلا قالت الجار الجديد نزوره و نبارك له سكنه و ناخذ له الهدايا (عبارة عن عشاء) .

كما ترى ان الهدية تحسن من العلاقة الاجتماعية في حالة ما اذا كان الشخص المهدي له طيب القلب و يود المصالحة هو كذلك ، اما اذا كان حقود و لا يريد الصلح فان الهدية و الزيارة لا تؤثر فيه .

المحور الثالث ك اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي

تقول ان تبادل الهديا ليس بالظاهرة الجديدة فهو متعارف عليه منذ القديم حيث يتبادل الناس الهدايا في المناسبات ، و اصبحت عادة متداولة بينهم ، في نفس المناسبات و كذا نفس الاطراف و الاشياء المتبادلة ، فهم يتبادلون اشياء تتحدد بالمناسبة و امكانيات الفرد ، فهي تختلف فيتبادلون الالبسة و الاواني و الاثاث و الذهب و النقود الالعب للاطفال في مناسبات الاختتان .فيتبادلها الاهل و الجيران و الاصدقاء و الازواج و المخطوبين .و تقدم في الاعراس و الخطوبة

و النفاس و السفر المرض و الوظيفة الجديدة و السكن الجديد و النجاح في الدراسة و غيرها .

اما بالنسبة للقيمة المادية للهدية فهي تقول ان هدية الغني صاحب المركز الاجتماعي و الثقافي تختلف هديته عن هدية العامة .

اما بالنسبة للهدايا المعنوية فقالت انها كلمة طيبة بالنسبة للناس الفقراء فيهدون كلمة طيبة فقط ، (كمبروك عليكم ، او بالصحة و العافية ...)، لكنها تقول ان ليس لها نفس التأثير مع الهدية المادية في اضاء التماسك و التواصل الاجتماعي .

المحور الرابع :مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

ترى ان في الماضي كانوا ياخذون اشياء رمزية فقط اما الان فاصبحوا يتعاملوت باشياء ثمينة كهديا ، و ذلك راجع لتغير الزمن ، فهي تقول انه في السابق كان الناس يتبادلون (القهوة و المسمن او الحلويات فقط) .

حيث تعتبر الهدية الزامية و لو بالشئ القليل ، المهم ان لا تذهب فارغة اليدين و تعتبرها دين يجب ارجاعه .

و تقول انها تلقت هدايا مادية و معنوية ، و هناك امور لا تزال تحتفظ بها كما انها قد ارجعت هدايا لمن اهداها الا ان معظم هداياها كانت عبارة عن نقود .

استنتاج :

نلاحظ هنا ان الهدية اخذت شكلها المادي و الاستراتيجي في العلاقات الاجتماعية بين الناس في هذا المجال الاجتماعي ، اي انها اصبحت وسيلة و ليست غاية لبلوغ المصالح الشخصية و لتثبيت التمايز الاجتماعي و الثقافي بين

المتفاعلين ، و خرجت تماما عن شرعيتها و مرعيتها في التواصل و التكامل الاجتماعي من خلال تشيؤها و الزاميتها .

الحالة رقم : 05

السن : 70

الجنس : انثى

المستوى التعليمي : محو الامية

المحور الاول : اثار النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية

ترى المبحوثة ان تاجموت بلدة صارت مختلطة كثيرا و الناس يسكنون بجيرة بعضهم البعض لكنهم لا يتبادلون الزيارات ، فهي ترى ان الجانب العمراني ليس له اي دخل في تفاعل الناس مع بعضهم البعض . لانها ترى ان الصدق ذهب و صارت القلوب فارغة النية مع بعضها البعض ، و تقول كذلك لكثرة المشاكل و السرقات و قلة الادب بين الناس هي السبب الرئيسي الذي جعل الناس يبتعدون من بعضهم البعض .

كما تقول ان كل عائلات تاجموت هي اسر نووية و ذلك بسبب كثرة المشاكل و قلة الحياء و مشاجرات الاطفال و قلة القدر (كما قالت) لا توجد عشرة .

اما بالنسبة للنشاط السائد في المنطقة فهي تقول ان تاجموت غلب عليها الغرباء من بدو رحل حيث صارو يمارسون تربية المواشي و الرعي ، اما بالنسبة لاهل البلاد من كبار السن فهم يمارسون الفلاحة و لكنها ليست بالقدر الكبير لانهم يشترون خضارهم من السوق ، هذا بالنسبة لكبار السن من الرجال اما

بالنسبة للرجال فنشاطهم متنوع بين التعليمي و الدارة و المقاولات الخاصة و البطالين .

اما بالنسبة للنساء فمعظمهن ماكثات في البيت و هناك منهن في سلك التعليم كذلك او الادارة و يمارسن الطرز و الخياطة و النسيج ، لكنها تقول ان النسيج قل و ليس كما كان في السابق .

كما ترى ان العلاقة بين الناس في تاجموت اغلبها علاقات صداقة و محبة و الاهل و الجيران و المصاهرة .

وتاجموت عبارة عن خليط من العروش كاوولاد سيدي عطاء الله و اولاد يوسف هم اصحاب البلاد و هناك الجودات و اولاد زيان و اولاد موحدة اولاد عطية و الناس القاطنين بتاجموت اكثر بكثير من اهل البلاد . كما تقول ان هناك اماكن في تاجموت جيرانها يتبادلون الزيارات و ، هناك اماكن اخرى لا يتزاورون الا في المناسبات الكبيرة الاعراس او الوفاة . لانها تقول ان القلوب و النية لم تعد كالسابق .

هذا لا يعني ان سكان تاجموت لا يتبادلون الزيارات و الهدايا في المناسبات كالاعراس و النفاس و النجاح في الدراسة و الاختتان و السكن الجديد و الحج و العمرة و الوظيفة الجديدة .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي .

كما ترى المبحوثة ان للهدية دور كبير في توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس بالتعاون و التبادل و تطيب خاطر لانها ترى تدخل في اطار الاحترام و التقدير وكما ان الهدية قادرة على بناء علاقة اجتماعية جديدة و دائما يرجع الي عقليات الناس . و تقول انها سكنوا بجوارها جيران ، اخذت لهم هدية عبارة عن عشاء ، منذ ذلك اليوم صارت علاقة الجيرة بينهم جد طيبة .

كما ان الهدية يمكنها ان تحسن و ترفع العلاقات الاجتماعية لانها تقول ان قلبها ابيض و دائما تقول (الله ينعلك يا ابليس) .

المحور الثالث :اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

كما تقول ان تبادل الهديا منذ قديم الزمان اي انها عادة مكتسبة عبر الاجيال و في نفس المناسبات و نفس الاطراف المتبادلة للهدايا ، لكن ليست الامر نفسه لنوعية الهدايا .

فالناس يتبادلون الاواني و النقود و اللباس و الذهب .يتبادلها من كل من يعطيك هدية تعطيه بين الاهل و الاقارب و الاصدقاء و الجيران و الاحباب و الانساب .كما تقول ان هناك اناس كثيرون من المنطقة من ذوي المكانة الاجتماعية و الثقافية لكنها ترى انه لا يوجد اختلافا في نوعية الهدايا التي يتعاملون بها عن بقية الناس الاخرين .

و الهدايا المعنوية هدايا جميلة و تترك في النفس اثر طيبة كالشكر و المدح او تقديم خدمة معينة و غيرها . كما تقول ان اجمل هدية هي النقود لانها تشتري كل شئ تريده .

المحور الرابع :مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

كما تقول ان الهدية تغيرت دلالتها بين الماضي و الحاضر و ذلك لانه في القديم يفرحون بالقليل ، اما الان فلا و اصبح الناس يتعاملون بالمثل .و ترى انها خير يجب رده ، حيث تدخل في اطار القدرية ، فهي دين يجب ارجاعه و تقول هنا نوعان من الهدايا ، هدايا التبادل و هدايا القدرية.

كما تقول انها تلقت عدة هدايا ، و كذلك قدمت عدة هدايا ، و تقول من اهداني هدية كثر خيرو و (لي تفكرني ما حقربي) و سترجعها له و تهتم بجماله الشكلي لانه يمنح الهدية لمسة خاصة و يشوق.

استنتاج :

هنا فهمت ان الهدية في هذا المجال الاجتماعي هي عبارة عن واجب اجتماعي فرضته العادات و التقاليد ، و اصبحت عملية التهادي عادة ممارسة بين الناس الا ان الملاحظ هنا ، هو تغير قيمتها المادية و المعنوية بين الماضي و الحاضر مما جعلها تخضع لتغير النموذج الثقافي السائد ضمن المجال الاجتماعي و العمراني على حد سواء ، و الخاضعين لمؤشر التغير الاجتماعي .

ثالثا :دراسة حالة النموذج الثقافي البدوي (منطقة الجقيجية)

الحالة رقم : 01

السن : 35

الجنس : ذكر

المستوى التعليمي : السنة السادسة من التعليم الابتدائي

يرى المبحوث ان منطقة الجقيجية منطوقو محدودة و صغير و كل الناس تعرف بعضها البعض و مساكنهم متقاربة لدرجة انها تبدو كمزرعة واحدة ، و هذا ما يسهل على الناس التواصل و التماسك الاجتماعي .

و يقول المبحوث كذلك ان الاسر الغالب وجودها في المنطقة هي الاسر الممتدة حيث نجد ان معظم العائلات تتكون من الكبارين و هما الجد و الجدة و الاعمام و العمات و ابناء العم ، كلهم في البيت الكبير، و حتى اذا كانوا لا يسكنون مع

بعضهم البعض فانهم كل يوم يتزاورون و ينامون عند بعضهم البعض و ياكلون عند بعضهم البعض في معظم الاحيان .

و يقول المبحوث ان النشاط السائد في المنطقة هو النشاط الفلاحي و الرعوي هما النشاطان السائدان في المنطقة بالاضافة الى التجارة بالمواشي و الصوف و اللبن ، بالاضافة الى الصناعات التقليدية كنسيج التليسة و الحايك و الزربية و صناعة الحلفاء (الكسكاس و القنونة) هذا بالنسبة للنساء

اما بالنسبة للعلاقة التي تربط الناس بعضها ببعض في هذه المنطقة ، فيقول انها علاقات قرابة بالدرجة الاولى ، فالاغلبية الساحقة هم مخاليف (اولاد علي بن عمر) كما قال و كذلك علاقات نسب و مصاهرة و جيرة و اخوة و صداقة بينهم لانه يقول انه من المنطقة و ولد وترعرع بها و يعرفها جيدا .

و يقول ان السكان يتبادلون الزيارات بدون مناسبات و الهدايا بالمناسبات كالاعراس و الاختتان و الولادة و الحج و المرض

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي

حيث يرى المبحوث ان الهدية تزيد من صلابة العلاقات الاجتماعية بين الناس و كذلك تقويها و تغذيها و تعيد المياه الى مجاريها اذا كانت هناك خلافات بين الناس .كما انها تبني علاقات محبة و صداقة بين الناس و خصوصا بين الجيران الجدد (اخذ عشاء)

المحور الثالث : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي

يقول انه من العادة اهداء الهدايا في مناسبات او في غير مناسبات ، اي ان هذا الامر اصبح طبيعي و روتيني بالنسبة للأفراد و كل الناس تعرف هذا الامر .

و يقول ان الناس هنا يتبادلون الاغنام في الاعراس والبرنوس الابيض و الاشعل للعريس و الخيل و البنديقيات لاقامة الافراح و السكين الحادة و السروال العربي و القشبية و العمامة ، كما يتبادلون الزرابي (التليسة) . هذا بالنسبة للرجال ، اما بالنسبة للنساء فهن يتبادلن اطراف الاقمشة و الصابون و الحناء و اللبن والدهان العربي و غيرها .

حيث يتبادلها كل سكان المنطقة و ليس هناك اطراف معنيون بهذا ، حيث يقول انه لا يوجد اختلاف في الهدايا التي يقدمها الناس لبعضهم البعض في المنطقة .

و يقول ان الكلمة الطيبة او الابتسامة و الترحيب او تقديم خدمة بدون مقابل من اجمل الهدايا بالنسبة لديه .

كما يعتبر المبحوث ان الهدية النقدية هدية جميلة ، لكنها لا تعتبر هدية خالصة فممكن ان تكون مساعدة او صدقة (زكاة)

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث النعنى و المضمون

يقول ان الهدية لم تتغير و لن تتغير لانها من القديم تفرح الناس و لها هدف معين هو تحسين العلاقات الاجتماعية بين الناس .

حيث يقول ان الهدية ليست اجبارية ابدًا ، فهناك اناس لا يقدرّون اهداء هدايا ، و ذلك لظروفهم المادية ربما ، لذا فهي ليست الزامية بل هي عبارة عن عادة متداولة بين الناس فقط.

و يقول انه اهدى الكثير و تلقى الكثير من الهدايا و ليس بنية الارجاع ، و انما لاجل المحبة و الصداقة و الجيرة الطيبة .

و لم استطع ان اساله عم الشكل الخارجي للهدية او عن موضوع تغليف الهدية
لانه لم يذكر لي شىي يصلح لان يغلف من الهدايا التي يتبادلها السكان بالمنطقة

استنتاج :

من خلال هذه المقابلة عرفت ان منطقة الجيجيقية عبارة عن مجال عمراني
واحد يسوده ذلك المجال الاجتماعي الموحد بنموذجه الثقافي ، و الذي يجعل
منه وحدة اجتماعية متكاملة ، متساندة في حيز تفاعلي يسوده الانسجام و
التواصل الاجتماعي ، و هذا من خلال تطابق المؤهلات الاجتماعية و الثقافية
و العرقية للمتفاعلين به .

الحالة رقم : 02

السن : حوالي 65

الجنس : انثى

المستوى التعليمي : /

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات
الاجتماعية

ترى المبحوثة ان منطقة الجيجيقية منطقة صغيرة جدا، و الناس كلها تعرف
بعضها البعض و من نفس العشيرة او العرش ، فهم كلهم مخاليف تجمعهم
علاقات القرابة و المحبة من القديم و يعيشون حياة واحدة و في مستوى واحد
و الناس بهذه المنطقة يعشرون بعضهم البعض بالسراء و الضراء.

و تقول المبحوثة كذلك ان الناس هنا يشبهون الاسرة الواحدة الكبيرة فالصغار
يشاورون الكبار في امور دنياهم و يقدرونهم و يسمعون كلمتهم و الابناء لا
يفارقون والديهم ابا ، و اذا فارقوهم فيسكنون بالجوار فقط ، لكن في كل وقت

تكون الزيارات متبادلة بينهم ، حيث ان الناس بالمنطقة يمارسون الفلاحة و الرعي و التجارة بالاغنام و الصناعات التقليدية بالنسبة

للنساء كغزل الصوف وصبغته و نسيج البنوس و القشبية (اللباس الشتوي للرجال) و الزرابي و الصناعات المتعددة للحلفاء و تليين الحليب و غيرها .

كما تقول المبحوثة ان سكان المنطقة كلهم مخاليف و اولاد عم سواء من القربا و البعيد و كذلك تربطهم علاقات النسب الجيرة و الاخوة .

حيث تقول عن الجيران انهم حل واحد في السراء و الضراء .

فالسكان يتبادلون الزيارات و الهدايا في النفاس و الاعراس و الاختتان و المرض و كذلك في الوعدات التي تقام لاولياء الله الصالحين .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي .

تقول المبحوثة انه بالهدية نستطيع ان نكسب الناس و نكسب ودهم و ثقتهم و كذلك بالهدية ندعم بعضنا و نساعد بعضنا و خصوصا في المناسبات و الولائم التي تقام بالمنطقة . و تحسن العلاقة بين الاهل و الجيران و الاحباب .

المحور الثالث : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي.

ترى المبحوثة ان الناس منذ القديم يتبادلون الهدايا في المناسبات حيث انها صارت عادة بين الناس في معاملاتهم . ، حيث يتبادلون النقود و الصوف و الاغنام و الذهب و الحطب و السجادة من جلد الماعز و الاغنام و الاكل كالمردود و الرفيس و لزيير بالتمر للمرأة النفاس و البرنوس و العمامة للعريس حيث يتبادلها الاهل و الاصدقاء و الجيران

و الانساب فيما بينهم في مناسبات مختلفة كالأعراس و الاختتان و الخيل و البنديقية لاقامة

الاحتفالات و خصوصا في الولائم و الوعدات التي تقام لاولي الله الصالحين

حيث ان الناس في هذه المنطقة من نفس الطبقة الاجتماعية (من الناحية المادية و الثقافية خصوصا) .

كما انها تقول ان الناس كذلك يواسون بعضهم البعض و يهنؤون بعضهم البعض بكلمات التهئة و تقديم المساعدات المعنوية في الاعراس كالمساعدة في قضاء امور العرس .

و كذلك يساعدون بعضهم البعض بالنفود ، و هي اجمل هدية بالنسبة للمبحوثة

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

تقول المبحوثة ان الهدية عمرها ما تتغير لانها ذات القيمة المعنوية الطيبة بين الناس منذ القديم .

حيث تعتبر المبحوثة ان الهدية واجب فرضته العادات و التقاليد على الناس بالاضافة الى انها تعتبر دين يجب ارجاعه سواء من الناحية المادية او الناحية المعنوية .وتقول انها تلقت عدة هدايا و كذلك اهدت عدة هدايا .

استنتاج :

نستنتج من هذه المقابلة ان هذا المجال التفاعلي عبارة عن مجتمع تتوحد فيه طبيعة الممارسات الاجتماعية التي يفرضها ذلك النموذج الثقافي الذي يعمل على انتاج و اعادة انتاج علاقات اجتماعية تواصلية بين المتفاعلين في هذا الحيز الاجتماعي و الثقافي الواحد .

اي ان النموذج الثقافي هنا يعمل على تدوير اليات انتاج التكامل و التواصل في العلاقة الاجتماعية بين الناس .

الحالة رقم : 03

السن :29

الجنس: ذكر

المستوى التعليمي : السنة الثامنة من التعليم المتوسط .

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية ترى المبحوثة ان المنطقة صغيرة جدا و الناس كلها تعرف بعضها البعض و تزور بعضها بالمناسبة و بدون مناسبة ، حيث ان العائلات في المنطقة هي عائلات ممتدة و كبيرة يتراسها الجد او الجدة الكبيرة .

حيث تقول النشاط السائد هو النشاط الفلاحي و الرعوي و الصناعات التقليدية كصناعة الحلفاء و الزرابي و نسيج الخيم و غيرها .

و تقول كذلك ان كل سكان الجقيجيقة هم اولاد على بن عمر (مخاليف) و تربطهم كذلك علاقات النسب بدرجة جد كبيرة . وعلاقات الجيرة

الطيبة و الاخوة .حيث يتبادلون الزيارات بدون مناسبات و الهدايا في مناسبات معينة كالاعراس و الاختتان و المرض ، و الوعدات التي تقام

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي .

ترى المبحوثة ان الهدية تقوي و تحسن من العلاقات الاجتماعية بين سكان المنطقة و تزيد من ترابطهم ، كم انها تصلح العلاقات الاجتماعية التي اهتزت لانهم في الاخير تقول اهل و اخوة و لا توجد علاقات عدوانية بينهم بشكل كبير الا تلك المناوشات التي تزول في وقتها .

حيث تقول اناهل المنطقة يتبادلون في الاعراس الهدايا بالنسبة للعروس فهي تاخذ معها اطراف القماش لاهل زوجها و كذلك الحناء و الصابون و بالنسبة للرجال يتبادلون البندقية و الحصان و السيف و السكين الحادة و البنوس لشعل و الابيض للعريس في ليلة الدخلة و النعجة و الزربية و التليسة و العمامة و سروال العرب و النقود ...الخ .

كما تقول ان المرأة النافس يهدوها المرودود بصراير (قرطوفة -دققت زعتر -الحلباء - الفليو -لزير - العرعار ...الخ) و بالكليلة و الرزيزة .

و كذلك يتبادلون اللبن و الزبدة الغنمي و السمن و الرفيس ،وبعض المصنوعات كالقنونة و كسكاس الحلفاء و الشكوة ...الخ حيث يتبادلها كل سكان المنطقة .

كما تقول ان الناس يتبادلون العبارات الطيبة كالمعايدات مثلا حيث ترى ان للهدية المعنوية اثر بليغ في زرع الطمانينة في النفوس .

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

تقول المبحوثة ان الهدية قديمة و هي عبارة عن عادة متداولة بين الناس ولا ارى اي اختلاف بين الماضي و الحاضر .

كما تعتبر ان الهدية ليست بالالزامية بل هي ارادية و من تلقاء النفس

استنتاج :

نرى ان النموذج الثقافي الموحد بين المتفاعلين هو الذي يلبس الهوية التواصلية للهدية في الممارسات الاجتماعية لعملية التهادي ، و يزيل تلك التراتبات الاجتماعية بين الناس ، لان الهدية في هذا المجال التفاعلي تتحدد بالقيمة المعنوية اكثر من القيمة المادية ، كون الناس في نفس المستوى الثقافي و الاجتماعي ، و كذا من نفس القبيلة ، هذا الامر يعد وحده الكافي لاثبات توحيد النموذج الثقافي للمتفاعلين ، ومنه الهوية التي يضيفها على ترتيباتهم و ممارساتهم الاجتماعية .

رابعاً :دراسة حالة النموذج الثقافي شبه البدوي : (بلدية واد مزي)

الحالة رقم : 01

السن : 22

الجنس :انثى

المستوى التعليمي : اولى ثانوي

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية

ترى ان سكان المنطقة من نفس العرش ، و هم القمامة حيث ان معظمهم يعرف بعضه البعض ، و يتبادلون الزيارات في المناسبات و في غير المناسبات ، اما بالنسبة لنوع الاسر الغالب وجودها بالمنطقة ، تقول المبحوثة هي الاسر النووية و ذلك لكثرة المشاكل بين الاخوة و زوجاتهم ، او بسبب الام و الكنات .

اما بالنسبة للنشاط الغالب وجوده فهي تقول انه النشاط الرعوي بدرجة كبيرة و كذلك تربية الدواجن و الارانب و التجارة بها ، بالاضافة الى الصناعات التقليدية كصناعة الحلفاء كذلك .

اما بالنسبة لعلاقة السكان ببعضهم البعض فتقول انها تربطهم علاقات القرابة اكثر من اي علاقة اخرى ، لانهم من نفس العرش .

حيث تقول ان سكان المنطقة يتبادلون الزيارات و الهدايا في المناسبات و في غير المناسبات ، حيث يتبادلون الهدايا في الزواج و النفاس و الاختتان و السكن الجديد و غيرها . فتقول ان الهدايا تزيد من صلابة العلاقة الاجتماعية بين الناس و تقويها ، الا انها ليست كافية لانشاء علاقة جديدة مع انسان لا اعرفه و ليس من البلاد ، لاني لا اثق في الغريب .

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي

كما ان الهدية تستطيع ارجاع المياه الى مجاريها لكن هذا يعود الى نوعية و درجة المشكل الذيحدث بين الطرفين .

المحور الثالث :اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

اما بالنسبة للعادات و التقاليد في عملية التهادي فتقول ان العملية في حد ذاتها عبارة عن عادة متداولة بين الناس منذ القديم و العادات تتحكم في هذه العملية بشكل كبير جدا .

حيث تقول ان الناس تتبادل الاشياء التقليدية بالاضافة الى المجوهرات للانسان العزيز و الالبسة و التمر و الصابون و الحناء و الافرشة و العطور ... الخ .حيث يتبادلها الشباب و الأزواج و الاقارب بصفة عامة و الاصدقاء و كل من يقدر على ان يهدي هدية .

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون

حيث تقول ان الهدية المادية هي الاكثر تاثير في المجتمع الحالي ليس كما في السابق كانت الهدية المعنوية هي الغالب وجودها و الناس يفرحون بامور بسيطة ، ليس كما في الوقت الحالي .

كما ترى ان تقديم الخدمات هو عبارة عن مساعدة و ليس هدية و نفس الامر بالنسبة للنقود .

و تعتبر ان الهدية الزامية و بمثابة دين في وقتنا الحالي .

و تقول كذلك انها لا تهتم ابدا بالشكل الخارجي للهدية بقدر ما تهتمها الهدية في حد ذاتها .

استنتاج :

من خلال ما سلف توصلت الى ان العلاقة الاجتماعية في هذا المجال التفاعلي تتنوع بين العلاقات الاجتماعية طويلة المدة ، و العلاقات الاجتماعية قصيرة المدى ، و بين العلاقات الاستراتيجية و العلاقات التواصلية ، اما بالنسبة للهدية فهي التي تمنح خصوصية للعلاقة الاجتماعية من خلال الدلالة التي يضيفها عليها النموذج الثقافي السائد ، حيث ان الزامية رد الهدية في هذا المجال الاجتماعي توضح لنا و بشكل جلي مدى استراتيجية العلاقة الاجتماعية ضمن هذا النموذج الثقافي الواحد الذي تعمل فيه الهدية على تدوير عملية انتاج العلاقات الاجتماعية المتنوعة .

الحالة رقم : 02

السن : 46

الجنس : ذكر

المستوى التعليمي : /

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية . يقول المبحوث ان منطقة واد مزي ليست بالكبيرة ، حيث ان الناس يتبادلون الزيارات في كل وقت و الطابع العمراني للمنطقة يساعد السكان للتواصل الاجتماعي كثيرا .

حيث يرى المبحوث اغلب الاسر الغالب وجودها في المنطقة هي الاسر الممتدة حيث يكون افراد العائلة تحت امرة الكبير .

و يقول بالنسبة للنشاط السائد هو تربية المواشي و التجارة بالصوف و الصناعة التقليدية (الزرابي) .

و كل الناس تربطهم علاقات القرابة و النسب في واد مزي حيث يرى انهم يتبادلون الزيارات في المناسبات و في غير المناسبات و كذلك يتبادلون الهدايا في الولايم و الاعراس و النفاس و المرض و شراء بيت جديد ... الخ .

المحور الثاني: اثر الهدية في التواصل الاجتماعي

و يقول ان الهدايا تقوي و تحسن العلاقة بين الناس ، الا انها لا تستطيع بناء علاقة اجتماعية جديدة بين الناس الذين لا يعرفون بعضهم البعض و من خارج المنطقة ، الا في حالة اذا تعرفنا عليه مسبقا . كما ان الهدية لا تستطيع ارجاع العلاقات الاجتماعية كما كانت عليه في الاول لان الشيء اذا كسر لا يرجع كما كان ، و هذا طبعا يرجع لطبيعة المشكل الذي حدث . لانه يحسها وسيلة لبلوغ غاية معينة .

يقول ان علاقة الجيرات ببعضهم البعض جيدة و يعيشون ظروف واحدة ، و يتساندون في السراء و الضراء و خصوصا في الاقراح يقفون وقفة الرجل الواحد .

المحور الثالث : اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي

يقول المبحوث ان العادات و التقاليد تتحكم بشكل كبير في عملية التهادي و خصوصا بالنسبة للامور التي يهديها الناس ، حيث يقول انه لا يستطيع اهداء امر ليس من عاداتنا يتبادلون الملابس و قال لي قارورة خمر مثلا .

حيث يعتبر ان النقود هي ائمن هدية لان الشخص المتلقي يعرف ما الذي ينقصه ، و يشتريه بتلك النقود .

حيث ان الناس يتبادلون الاواني و الافرشة و العطور و العسل الحر و الدهان الحر و غيرها .

و يقول ان المركز الاجتماعي يفرض على الفرد قيمة الهدايا التي يتعامل بها لان المركز الذي يحتله يفرض عليه ذلك .

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

حيث يقول المبحوث انه توجد هدايا معنوية كالمجاملة او تقديم المساعدة في عرس ما مثلا او تقديم خدمة معينة ، لكنها ليست بنفس الناثير مع الهدايا المادية و خصوصا في الوقت الحالي ، لان الوقت تغير بالنسبة له كثيرا .

و يقول انه لا يهتم بالشكل الخارجي للهدية ابدا لانه لا يهتمه بقدر ما تهمة الهدية في حد ذاتها .

استنتاج :

نصل الى ان الهدية في هذا المجال الاجتماعي تاخذ مفعوليتها على العلاقة الاجتماعية بتشيوها ، اي ان اثر الهدية المادية اوضح من الهدية المعنوية على العلاقات بين الناس في عملية الانتاج و اعادة الانتاج للعلاقات الاجتماعية .

حيث وصلت الى ان هذه الدلالة التي تتركها الهدية في العلاقات الاجتماعية لم تتغير عبر الزمن ، الا ان قيمتها المادية هي التي تغيرت

بفاعل مؤشر التغيير الاجتماعي و تغيير النموذج الثقافي من جانبه المادي .

الحالة رقم : 03 .

السن : 48.

الجنس : ذكر.

المستوى التعليمي : ابتدائي .

المحور الاول : اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية .

يرى المبحوث ان بلدية واد مزي عبارة عن قرية صغيرة و الناس كلها تعرف بعضها البعض و يتبادلون الزيارات و يتواصلون مع بعضهم البعض في كل حين .

كما الاسر الغالب وجودها بالمنطقة هي الاسر الممتدة و يتراسها كبير العائلة من الجد او الجدة و ترجع اليه زمام الامور في كل حاجاتهم و يشاوره افراد العائلة في امور تخص حياتهم .

اما بالنسبة للنشاط السائد فهو النشاط الرعوي و التجارة بالاغنام وخيراتها بصفة عامة ، بالاضافة الى صناعة الحلفاء بالنسبة للنساء و نسيج الزرابيو التليسات و القشبية و البرنوس و الحايك و الملحفة ..الخ .

حيث يقول المبحوث ان سكان المنطقة تربطهم علاقات القرابة و النسب بالدرجة الاولى بالاضافة الى الجيرة و الصداقة و المحبة ، لانهم من نفس العرش (قمامة) اولاد علي جبايلية .و المتحدث منهم .

حيث ان علاقة الجيران ببعضها يقول انها جيدة و الجيران يتعاونون في الافراح و الاقراح و يتبادلون الزيارات بالمناسبات و بدون مناسبات و يتبادلون الهدايا في المناسبات كالأعراس و الطعم (الزردات و الوعدات التي تقام) بالاضافة الى مناسبات النجاح و الدراسة و السكن الجديدو المرض ... الخ .

المحور الثاني :اثر الهدية في التواصل الاجتماعي .

حيث ان الهدية تقوى و تغذي العلاقات الاجتماعية بين سكان المنطقة و خصوصا عندما يتساندون في الاعراس و الولائم الكبيرة و يساعدون بعضهم البعض بالهدايا ، فانها تزيد من الترابط و التماسك الاجتماعي بينهم .كما لها الدور الكبير في تصليح العلاقات بين الجيران و ابناء العم لانها تزيل الاحقاد بينهم

المحور الثالث :اثر النموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .

حيث يرى ان عملية التهادي في حد ذاتها هي عملية قديمة و فرضتها التقاليد منذ القديم ، حيث ان الناس يتبادلون الهدايا ، و هذه الهدايا تحددتها طبيعة المناسبات .حيث يتبادلون الاموال و الشياه و الصوف و الالبسة المنسوجة

(كالقشبية) .

كما انهم يتبادلون الالبسة و الاواني و الذهب و العطور بالنسبة للنساء و الشباب و الصابون و الحنة بالنسبة للنساء و غيرها .

حيث يتبادلها الاهل و الاصدقاء والمخطوبين) الخطيب اصبح يهدي خطيبته هاتف) .

و عندما سألته عن الافراد من ذوي المكانة الاجتماعية و الثقافية اجابة بان معظم الناس تقريبا من نفس الطبقة الاجتماعية و لا يوجد اختلاف كبير بينهم الا الجيل الاخير يقول انه مثقف لانه واصل دراسته بعيدا عن المنطقة .

و يرى كذلك ان الهدية المعنوية ذات اثر كبير وواضح في العلاقات بين الناس لانها تمس الانسان في مشاعره ككلمة طيبة من القلب و ابتسامة صادقة في وجه الضيف و الترحيب به ، اكثر من اي شيئا خر بالنسبة له .

و يقول المبحوث ان النقود صارت هي اكثر الهدايا شيوعا في الوقت الحالي بين الناس ، و الاكثر تأثيرا كذلك .

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

يقول المبحوث ان الهدية لم تتغير و لن تتغير بين الماضي و الحاضر ، لانها عملية متعارف عليها من القديم ، الا ان الاشياء المتبادلة يقول انها تغيرت كثيرا لان الوقت هو الذي تغير ، و تغيرت معه الاغراض المقدمة كهدايا . اما بالنسبة للمناسبات التي تقدم فيها الهدايا ، فيرى المبحوث انها لم تتغير و كذلك نفس الامر بالنسبة للاطراف المتبادلة للهدايا .

و يعتبر المبحوث ان الهدية اصبحت دين يجب التزام الفرد بارجاعها بالرغم من انها مجرد عادة . و يقول انه يبدي عناية كبيرة للهدايا التي يقدمها للناس لانها تعكس شخصيته كما يقول .

استنتاج :

توصلت الى ان هذا المجال الاجتماعي عبارة عن مجال عمراني يسوده نموذج ثقافي واحد ، لكن تتضارب فيه المصالح و الاستراتيجيات في تبادل الهديا ، و تتنوع فيه العلاقة الاجتماعية بين التواصلية و البرقراطية بين الاطراف المتبادلة للهدايا ، من خلال الزاميتها و اعتبارها دين يجب قضاؤه حتى في شكل الهدية و الاعتناء بالمظهر الخارجي لها يعطي دلالة اجتماعية كبيرة في نوع المعاملات بين الناس ، و احترام المراكز الاجتماعية و الثقافية في عملية التهادي .

الفصل السابع
معرض و تفسير نتائج الدراسة و
تحليلها سوسولوجيا

1. النموذج الثقافي الحضري و دور الهدية في
العلاقة الإستراتيجية
 2. النموذج الثقافي البدوي و العلاقة الاجتماعية
التواصلية
 3. العلاقة بين المجال الاجتماعي و طبيعة العلاقة
الاجتماعية
- . الخلاصة العامة للدراسة

اولا : النموذج الثقافي الحضري و دور الهدية في العلاقة الاستراتيجية

1-1 التحليل السسيولوجي و تحقق الفرضية للمجال الاجتماعي

الحضري

لقد توضح لي ان مدينة الاغواط تحتوي على عدة نماذج ثقافية و هذا حسب استجابي للمبوحثين فقد ذكروا ان طرق كسب المعاش بالمدينة كثيرة ، كما ان الناس ليسوا من نفس العرش ، او تجمعهم علاقات قرابة كبيرة ، فالاتجانس كما ابدوا كان كبيرا وواضحا في هذا المجال العمراني و ليس المجال الاجتماعي ، لانها لا تربطهم علاقات متكاملة و متواصلة .

و هذا المجال العمراني هو مجال واسع ، و التواصل به يبدو قليلا و مقتصرنا على بعض الاهالي و الاقارب او الاصدقاء المقربون .

فالمجال العمراني الحضري يحمل عدة ثقافات مختلطة ، و ذلك بسبب نزوح النماذج الثقافية من المجالات المتعددة عبر عملية التناقل الثقافي ، فمعظمهم صرح ان نسبة كبيرة من سكان المدينة هم ليسوا من المنطقة اصلا ، و هذا ما يجعل النموذج الثقافي الاصلي للمجال العمراني يتبنى نماذج اخرى مغايرة و هو السبب الرئيسي في لا تجانسه الاجتماعي ، و الناس في الغالب علاقاتهم عمرانية و ليست اجتماعية ، و خاصة عندما حاولت الوصول الى نوعية العلاقة بين الجيران ، عندها عرفت ان الناس بالمدينة لا يحبون الاحتكاك ببعضهم

البعض و ذلك راجع للتباعد في النماذج الثقافية لديهم ، الا اذا كانت تجمعهم مصالح .

اما بالنسبة للعلاقات الاجتماعية فهي تبدو لي ومن خلال انها علاقات قصيرة المدى بين الناس العاديين ، تتمثل في قضاء مصالح معينة ، لكن هناك

علاقات اجتماعية طويلة المدى تكون بين الاهل و الاقارب فقط ، لكنها ليست بارزة في جميع الاوقات بل في مناسبات معينة ، و تعيد الاختفاء في الايام العادية من خلال القطيعة التي تحدث بين هؤلاء الاهل . هذا من جهة .

و من جهة اخرى فقد توصلت الى ان الهدية في المجال الاجتماعي الحضري لها الاثر الكبير في تحسين و توطيد العلاقات الاجتماعية ، و تصفي النفوس و تذهب الضغائن و الاحقاد ، و تصلح الخلافات بين الناس ، اي ان لها هوية تكاملية و تواصلية .

لكن هذا ليس في جميع الحالات فقد تغيرت كثيرا بتغير عامل الزمن ، لانه يلعب دوره بشكل بارع في اضاء دلالات معينة على الهدية ، و خصوصا في هذا المجال الاجتماعي بالذات ، لان حركة التغير الاجتماعي تبدو سريعة نوعا ما ، كما انها قد اضفت بصماتها على معاني و عملية تبادل الهبات خصوصا في الاشياء المقدمة كهدايا .

ففي القديم كانت الهدايا ذات قيمة مادية بسيطة لكن معنيها الاجتماعية التواصلية كبيرة ، اما في الوقت الحالي فيبدو العكس من ذلك هو طغيان الفعل المصلحي على العلاقات الاجتماعية بشكل عام ، و هذا يظهر بشكل واضح في المناسبات و في شكل الهدايا ، و هذا كله راجع في تغير حدث في النموذج الثقافي بشكل خاص ، و تغير اجتماعي في المجال التفاعلي بشكل عام .

اي ان الهدية في وجهة نظر المبحوثين منتوج ثقافي رسخته العادات و التقاليد في السلوكات الاجتماعية ، فجعلت منه عادة تطبع الناس عليها و خصوصا فيما يتعلق بالمناسبات التي تقدم فيها العطايا .

كما ان دلالة الهدية المادية اكبر بكثير من دلالة الهدية المعنوية في توطيد العلاقة الاجتماعية بين الناس ، و هذا ما يفسر ان التبادلات المادية اكثر منها معنوية ، و هذا ما يجعل الافراد في خضوع دائم لهذا النوع من التبادلات لانها تلمع مراكزهم الاجتماعية و تجعلهم منصاغين لها بشكل غير شعوري ، و هذا ما قد التمسته عن المجتمع الاغواطي .

وهذا ليس على المستوى المطلق في تجرد هذا المجال الاجتماعي من العلاقات الاجتماعية ، بل توجد الدلالة الايجابية للهدية المعنوية في هذا المجال التفاعلي لان لها اثارها هي الاخرى على العلاقة الاجتماعية ، لانها تعتبر البلمس المرطب لهذه العلاقة بين الناس .

بالاضافة الى ان هذا المجال الاجتماعي تميزه الفردانية في علاقاته الاجتماعية من خلال نوع الاسر الغالب وجودها بالمدينة ، بالاضافة الى ان هذا المجال يتميز بخصوصية ثقافية تجعل منه حيزا للتفاعل الاجتماعي و الاستراتيجي في الحين ذاته .

اما بالنسبة للمجال العمراني للمنطقة فهو واحد ، و النماذج الثقافية متعددة و متنوعة هذا من جهة .

و من جهة اخرى فالعلاقة الاجتماعية بين سكان المدينة تبدو علاقة مصلحة بدرجة كبيرة اكثر مما هي علاقة تواصل و تلاحم اجتماعي الاستراتيجية يبدو وضوحها اكبر .

كذلك بالنسبة لهوية الهدية فهي تبدو في هذا المجال الاجتماعي استراتيجية منفعية اي فعل تقوده المصلحة و ابراز للمكانة الاجتماعية للفرد المهدي حيث يمارس بها

الفرد عنف خفي من خلال ذلك الفعل الغرضي الذي يقوم به دون ان يشعر انه يثبت ذلك التراتب الاجتماعي .و انه يمارس يخضع لسلطة لا مرئية من خلال ذلك الفعل الغرضي الذي يقوم به و المتمثل في عملية التبادل في حد ذاته

و منه نصل الى ان الفرضية التي تقول : ان النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي الحضري يعمل على انتاج و اعادة انتاج العلاقة الاستراتيجية في تبادل الهدايا داخل هذا المجال التفاعلي .فقد تحققت هذه الفرضية من خلال الدراسة الميدانية

2-1 التحليل السسيولوجي و تحقق الفرضية للمجال الاجتماعي شبه الحضري :

تعتبر تاجموت عبارة عن مجال عمراني و مجال اجتماعي في الحين ذاته ، و ذلك لان معظم المبحوثين يقولون ان الجانب العمراني للمنطقة لا يصعب ابدا من عملية التواصل و التكامل الاجتماعي ، بالاضافة الى ان هذا المجال الاجتماعي يتضمن نوع من العلاقات الاجتماعية التواصلية ، خصوصا ان المنطقة عبارة عن عروش تجمعهم علاقات النسب و القرابة و الصداقة و الجيرة ، اي انهم يتفاعلون في اطارهم الاجتماعي و الثقافي المتقارب جدا فهم يتبادلون الزيارات و الهدايا في المناسبات ، فيتضامنون و يتواصلون مع بعضهم البعض بشكل جد عادي و طبيعي .

كما انهم يشتركون في نشاطاتهم اليومية الى حد ما ، خصوصا عند النساء ، و هذا ما يجعلهن يحتككن ببعضهم البعض .

و الامر ذاته ينطبق على اللهجة المحلية المستخدمة و كذا طريقة التبادل و التواصل ، فهي تختلف من فرد لآخر و ليس بين العروش ،لان هذا يرجع الى المكانة الاقتصادية و الاجتماعية لديه ، مما تجعله يتميز في تبادلاته مع

الآخرين فالمجال العمراني للمنطقة يخدم التواصل الاجتماعي و يعزز تلك الروح التعاونية بين الافراد في هذا المجال الاجتماعي الشبيه بالمجتمع ، و سميت كذلك لانه خليط من العلاقات و العلاقات المادية المصلحية ، بالرغم من انها في اطار مجال اجتماعي و نموذج ثقافي واحد .

فلا يمكنني ان اقول عنه انه مجتمع متجانس لان الناس فيه هم حقيقة من عروش متعددة و علاقاتهم الاجتماعية متنوعة هي الاخرى .

بالاضافة الى ان تاجموت اصبح بها هي الاخرى عدة عائلات ليسوا من المنطقة فهم يتبنون نماذج ثقافية مغايرة ، لكن وجودهم ليس بالكثير و هو الامر الذي جعلني اتجنب ان اطلق على هذا المجال الاجتماعي انه مجتمع متجانس او اطلق عليه مجتمع ذو بنية ثقافية واحدة و بصفة خالصة و مطلقة ، لانه تتخلله شوائب ثقافية دخيلة عن النموذج الثقافي الاصلي لهذا المجال التفاعلي .

الافراد الحاملون حيث ان هؤلاء الافراد الحاملون لنماذج ثقافية دخيلة يجعلهم يعيشون علاقات عمرانية و ليست علاقات اجتماعية مع اهل هذه المنطقة في بادئ الامر ثم ينصاغون في علاقات اجتماعية معهم مع مرور الوقت مما يجعلهم يتطبعون بثقافات بعضهم البعض بواسطة علاقات الجيرة ثم الصداقة و المحبة لان اهل تاجموت يرحبون بالغريب و يندمجون معه بصورة جد عادية .

اما بالنسبة للعلاقات الاجتماعية فهي تبدو علاقات قرابة و مصاهرة و جيرة طيبة و نسب و محبة ، بالاضافة الى انني توصلت الى ان هذه العلاقات هي في غالب الاحيان هي علاقات تتنوع بين المادية و المعنوية، لكنها في معظم الاحيان هي علاقات طويلة المدى .

اما بالنسبة للهدية في هذا المجال الاجتماعي فهي تترك اثارها الطيبة في العلاقات الاجتماعية و تساهم في خلق علاقات المودة و التواصل بين

المتفاعلون في هذا الحيز الاجتماعي خصوصا بين الجيران ، و هذا ما لم المسه بشكل كبير في المجال الاجتماعي الحضري .

حيث ان هوية الهدية في هذا المجال التفاعلي تتنوع بين الهدية الغرضية في دلالتها و الهدية الاجتماعية التي ترمي الى اضاء التواصل الاجتماعي .و ذلك قد لمستة من خلال محادثتي مع المستجوبين .

كما ان الهدية المعنوية لها الاثر الكبير و البارز في تحسين العلاقات بين الناس بدرجة كبيرة ، و هذا ما يجعل منه مجتمع يبحث عن التجانس و التكامل في في تلك العلاقات البراقماتية التي تحاول البروز في واجهة التبادل بين الافراد .

حيث ان هذا المجتمع مزيج بين العلاقات الاجتماعية التواصلية و العلاقات الاجتماعية و المصلحية و كل واحدة تحاول التغلب و السيطرة على المناخ التفاعلي .فهم في صراع دائم متمظهر في علاقات التبادل بين الافراد ، و هذا ينطبق على فكرة بيار بورديو (الصراع بين الحقول لانتاج و اعادة انتاج العلاقة الاجتماعية بطريقة الية) باعتبار ان الهدية محرك العلاقة التبادلية .

فالهدية ذات الدلالة التواصلية كانت منذ القديم بغض النظر عن نوعها و قيمتها ، اما للهدية الغرضية و المنفعية فقد بدا بروزها مؤخرا و هذا الى حسب ما قد فهمته من المبحوثين ، اي ان هوية الهدية تتحدد و تتغير بتغير عامل الزمن من حيث المعنى و القيمة ، و خصوصا عندما يتعلق الامر بالمصالح و المراكز الاجتماعية ، عندها تنتشر عن هويتها الغرضية

في هذا المجال التفاعلي و تنسجم مع افعالهم اليومية بشكل جد عادي .

ومنه فان الفرضية القائل نصها : ان الهدية تمارس عملية الانتاج و اعادة الانتاج الواجب الاجتماعي في التبادل بفعل تاثير النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي شبه الحضري قد تحققت لكن ليس بالصفة المطلقة ، لانه من خلال

الدراسة الميدانية توصلت الى ان الهدية عبارة عن تبادلات منفعية احيانا وتواصلية احيانا اخرى و يتبادلونها كواجب اجتماعي .

ثانيا : النموذج الثقافي البدوي و العلاقة الاجتماعية التواصلية :

1 1 التحليل السسيولوجي و تحقق الفرضية للمجال الاجتماعي

البدوي

لقد توصلت الى ان منطقة الجقجيجة عبارة عن مجال اجتماعي يحكمه نموذج ثقافي موحد في العادات و التقاليد و الاعراف و القيم ، حتى انه عبارة عن عرش واحد تسيطر عليه علاقات القرابة و النسب و الجيرة و الصداقة ، فهي علاقات اجتماعية يميزها الانسجام و التجانس الاجتماعي على حد فكرة تالكوت بارسونز .

لذا فان هذه المنطقة عبارة عن مجال اجتماعي و مجال عمراني واحد ، فالمنط العمراني بها جد متقارب في الشكل و النوع و حتى في المسافة ، و هو الامر الذي يساعد اهل المنطقة في التواصل الاجتماعي و احتكاك السكان ببعضهم البعض ، و يعزز علاقات المودة بينهم في تبادل الزيارات ، و هذا ما يجعل العلاقة الاجتماعية تاخذ طابعها الاصلي و ليس المزيف بالمصالح كما و ان سبق لنا ملاحظته في المجالين السابقين .

و من جهة اخرى فان المتفاعلون في اطار هذا الحيز الاجتماعي يمارسون نفس النشاط و المتمثل في النشاط الفلاحي لتحقيق الاكتفاء الذاتي للمنطقة ، و النشاط الرعوي و المتمثل في تربية المواشي و التجارة بها .

اما بالنسبة للنموذج الثقافي فالحديث عنه هو المهم لانه عبارة عن مركز تحكم في العلاقات الاجتماعية بين الاطراف المتهادية ، فهو يبدو موحدا و يسيطر على العلاقة الاجتماعية بشكل كبير و خصوصا في عملية التبادل ، لان الافراد

لا يستطيعون الخروج عن الاصل او العادة التي فرضها هذا النموذج ، و الا فان هذا الفرد يعتبر منحرف عن النموذج الثقافي الاصلي للمجال الاجتماعي و خصوصا في مناسبات تقديم الهدية و الاطراف الذين يتبادلون هاته العطايا اكثر من نوعها لان هذا البعد خاضع لمؤشر التغير الاجتماعي اكثر من سابقه لذا فان عملية اعاءة انتاج العلاقة الاجتماعية التي تعمل الهدية على تدويرها بين الانتاج و اعادة الانتاج اصلها تطبع ناتج عن تنشئة الافراد الاجتماعية في هذا المجال مما يجعلهم يكتسبون ثقافة معينة يستهلكونها و ينتجونها من خلال عملية تبادل الهبات (راسمال ثقافي) كما سماه بيار بورديو .

لكن الملاحظ في هذا المجال ان الفاعلون الاجتماعيون لا يستخدمون رؤوس اموالهم لممارسة ذلك العنف الرمزي على بعضهم البعض بالشكل الكبير الذي قد لاحظته في باقي المجالات الاجتماعية الاخرى ، بل يستعملونه في تعزيز روح التعاون و التضامن و تثبيت العلاقة الدمية بينهم بواسطة التساند في الافراح و الاقراح و الوقوف مع بعضهم وقفة الرجل الواحد ، و اتخاذ القرارات التي تخص امورهم ماخذ الشورى ، و هذا ما يجعله مجتمع ذو وحدات متجانسة نادرة و و قليلة الانحراف و الخروج عن النمط الاجتماعي و الثقافي السائد .

اما بالنسبة لهوية الهدية في هذا المجال التفاعلي فهي تسلك مسلك تواصلية في ذلك الفعل المتمظهر في عملية تبادل الهبات في هذا المجال الاجتماعي بتاثير ذلك الفهم المشترك في كونها رمز او لغة لتكريس روح التعاون و الانسجام بين افراد هذا المجتمع .

لذا فان الفرضية القائلة :ان الهدية تكتسب هويتها الاجتماعية التواصلية منة خلال خصوصية النموذج الثقافي البدوي داخل المجال الاجتماعي قد تحققت بدرجة كبيرة جدا من خلال هذه الدراسة الميدانية .

1-2 التحليل السسيولوجي و تحقق الفرضية للمجال الاجتماعي شبه

البدوي

ان بلدية واد مزي عبارة عن مجال عمراني واحد و كذلك مجال اجتماعي واحد و نموذج ثقافي مالوف و منتج لافعالهم و سلوكاتهم و معتقداتهم ، حيث انه و من خلال استجابي للمبحوثين في هذا المجال ادركت ان المجال العمراني للمنطقة يعتبر من اهم العوامل المساعدة على التواصل الاجتماعي بطبعه المتقارب و المنسجم و الموحد و البسيط .

بالاضافة الى ان هذا المجال يتضمن نوع من العلاقات الاجتماعية التواصلية بصفة كبيرة جدا ، خصوصا ان المنطقة عبارة عن عرش او قبيلة واحدة لا تتضارب فيها المصالح و الاستراتيجيات بشكل كبير مما جعلها تعيش علاقات قرابة و نسب و جيرة و صداقة .

فهم يتبادلون الزيارات و الهدايا في المناسبات و يتضامنون مع بعضهم البعض في منة او غير مناسبة .

كما انهم يشتركون في نشاطاتهم اليومية و المتمثلة في النشاط الرعوي الذي يميز المنطقة ، بالاضافة الى الصناعات التقليدية بالنسبة للنساء .

كذلك لاحظت ان المتفاعلون ينطقون نفس اللهجة و هي لهجة محلية تميز المنطقة عن غيرها ، حيث يبدو التباين واضحا في نطق الكلمات في هذا المجال الاجتماعي و غيره من باقي المجالات الاجتماعية الاخرى ، و هذه الامور كلها جعلت من سكان المنطقة ينتمون لنموذج واحد و هذا بالنسبة للمناسبات و كذلك الاطراف المتفاعلة و المتبادلة و الاشياء التي يتبادلونها كهدايا فهي موحدة ولا وجود لفروقات بين المتفاعلون داخل هذا المجال الاجتماعي .

فالمجال العمراني يضم نموذج ثقافي داخل مجتمع صغير يميزه التجانس الاجتماعي بين وحداته في العادات و التقاليد و القيم و الاعراف و طريقة كسب المعاش و التركيبة السكانية الاصلية (القمامة) و المستوى الثقافي لافراده ، و طريقة اللباس و نوع العائلات المتواجدة ، و كذلك الذوق في عملية التهادي ،كلها امور موحدة جعلت هذا النموذج الثقافي يسيطر على نوع العلاقات بين الناس .

اما بالنسبة للهدية في هذا المجتمع فهي تلبس الهوية التواصلية الطاغية على العلاقات الاجتماعية حيث لا تساهم في بناء علاقات جديدة كون ان جميع افراد هذا المجال الاجتماعي تربطهم علاقات القرابة و النسب و الجيرة ، بل تساهم الهدية في تقوية و تغذية و حتى في ترقيع العلاقات الاجتماعية التي قد تعرضت الى تمزق او انهيار وهذا الامر معروف منذ القديم و لم يتغير ابدا .

لكن الامر الذي تغير هو نوعية و القيمة المادية للهدية و هذا ارجعه الى عامل التغير الاجتماعي الذي حدث على المستوى العام و ليس الخاص .

ومنه فان الفرضية التالية : يعمل النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي شبه البدوي على دعم الهدية في انتاج علاقة اجتماعية متماسكة داخل هذا المجال التفاعلي للافراد قد تحققت هي الاخرى من خلال الدراسة التي قد قمت بها .

ثالثا : العلاقة بين المجال الاجتماعي و طبيعة العلاقات الاجتماعية :

ا- العلاقة بين المجال الاجتماعي و النموذج الثقافي :

في حديثنا عن المجال الاجتماعي باعتباره ساحة للتفاعل الاجتماعي بين الافراد فان التفاعل في حد ذاته انساني بمحتوى ثقافي ، اي أن ها التفاعل هو عبارة عن تبادل رموز و اشارات ذات دلالات معنوية موحدة لد التابعين لذلك المجال الاجتماعي فيخلق ما يعرف بالنموذج الثقافي الواحد و المفسر لتلك المعاني و

الدلالات ، و هنا يجرنا الحديث عن الهدية و التهادي باسقاط فكرة هابرماس عندما يرى أن الرموز لها معاني و هي وسيلة للتفاعل الانساني ، كما يعتبرها عامل للتغيير الاجتماعي عند حدوث الفهم المشترك و التواصل الفكري بين الفاعلين (المتهادين) و كل هذا يحدث ضمن مجال اجتماعي يحمل خصائص ثقافية و اجتماعية و تاريخية تميزه عن غيره من المجالات الاجتماعية بنماذجها الثقافية المختلفة

ب – العلاقة بين النموذج و العلاقات الاجتماعية :

باعتبار أن المجال الاجتماعي ما هو الا حصيلة علاقات اجتماعية بين العقل و ذوات الاخرين مفرزا تفاعلا اجتماعيا يحدث من خلال تلك الرموز المعاني المشتركة بين الفاعلين يهدفون من وراء فهمهم المشترك لها انتاج نوع من الافكار و المبادئ و القيم المشتركة فيما بينهم ، فينجرون في نموذج ثقافي موحد هو من نتاج تفاعلاتهم و علاقاتهم الاجتماعية مع بعضهم البعض ، و هذا النموذج يميز علاقاتهم عن باقي العلاقات الاجتماعية في نموج و مجال اجتماعي اخر لانه يضيف على افعالهم خصوصية شرعية ذلك النموذج الثقافي بكل تفاصيله الاجتماعية

ج – العلاقة بين الهدية و العلاقات الاجتماعية :

في اطار الحديث عن الهدية و ما لها من وقع في تغيير الحياة الاجتماعية لكثير من الشعوب ، و هذا ما قد رايناه في الدراسات السابقة ، فالهدية نظام منتشر في المجتمعات البدائية و المجتمعات الحديثة ، و يؤثر بطريقة الزامية على نوعية و طبيعة العلاقات الاجتماعية ، و ذلك من خلال منحها طبيعة معينة في دلالاتها يتوقف على المعنى الذي قصده الفرد المهدي عند اهدائه لهذه الهدية ، و تحدث عملية رجع الصدى تكون الهدية قد احدثت تغذية رجعية ، و

انتجت نوعا من التفاعل الاجتماعي كذلك علاقة اجتماعية معينة ، لان هدف الهدية هنا غرضي ، و تحدد نوع العلاقة بمضمون و دلالة الهدية المقدمة

الخلاصة العامة للدراسة :

بعد الحصول على البيانات الميدانية عن طريق شبكة الملاحظة ، و كذا بالمقابلات التي كانت في مختلف المجالات الاجتماعية المتواجدة ضمن المجال العمراني المدروس حان الوقت لان تخضع تلك المعلومات الى التحليل و التفسير العلمي المبني على اسس سسيولوجية ترتديها تلك المقاربات المتبناة في الدراسة .

فمن الفرضية العامة استخرجت تلك المفاهيم و فككتها الى ابعاد و مؤشرات حيث ان هذه الاخرى صارت مواضيع كل واحد منها يخدم الاخر ، لذا فقد حاولت ان احلل و استنتج هذه المقابلات و الملاحظات بناء على هذا المنظور و منه فقد شرعت في تحليل تلك المواضيع السسيولوجية في قالبها الميداني بمختلف المجالات الاجتماعية و النماذج الثقافية السائدة ، و المتمثلة في : (المجال الاجتماعي –المجال العمراني –العلاقات الاجتماعية – هوية الهدية – التواصل الاجتماعي). و عندها استنتجت ما يلي :

اولا : في المجال الاجتماعي :

بطبيعة الحال فان المجال الاجتماعي هو الاناء الحاوي للثقافة الفردية و الجماعية ضمنه حيث ان المجال التفاعلي يختلف من مجال عمراني لآخر حسب النموذج الثقافي السائد .

فقد توضح لي و بشكل جلي في المجال الاجتماعي الحضري ان هناك تباين كبير في النماذج الثقافية بين الوحدات التفاعلية ، فالمجال التفاعلي الحضري تغيب فيه العلاقات الاجتماعية نوعا ما ، اي انه تفاعل حاوي لعلاقة عمرانية اكثر مما هي اجتماعية .

و بمفهوم اخر فان الفضاء او الحقل الاجتماعي عقيم الى حد ما في انتاج اليات لتحريك العلاقات الاجتماعية ، بالاضافة الى انني ادركت ان هذا المجال العمراني

متشعب بتلك العلاقات الاقتصادية و المنفعية بدرجة كبيرة ، فهذا الحيز الاجتماعي مرهون بعلاقات و سلوكات براقماتية .

حيث ان مدينة الاغواط عبارة عم مجال عمراني واسع فيه عدة مجالات اجتماعية و هذا ما قد التقطته بتقنياتي المنهجية ، لان هذا المجال الاجتماعي ما هو الا عبارة عن علاقات موضوعية بدرجة كبيرة بين اطرافه ، فهم يحتلون داخله مواقع متباينة ، و يتبادلون الهدايا بطريقة الزامية الى حد بعيد و يعتبرونها ضرورية لانها تحدد مكانة الفرد الاجتماعية .

حيث ان معظم الاطراف المتفاعلة و المتبادلة للهدايا هم من العائلات من اولاد و اباء و ازواج و اقارب ، اي من عائلة لعائلة ، و بين افراد الاسرة في حد ذاتها ، و كذلك الاحباء و المخطوبين و الاصدقاء و الزملاء في العمل و الدراسة ، و كذلك بين الجيران ، و بين الاستاذ و التلميذ ، و كذلك تكون بين

الطبقات الاجتماعية اي ما بين الطبقات العليا فيما بينها لاجل قضاء المصالح و طريقة لفرض المكانة الاجتماعية ، و كذلك تكون بين الطبقة العليا و السفلى و هذا ما يعتبرونه صدقة او زكاة (اي انها اخذت شكلها الديني ، و كذلك من السفلى الى العليا و هنا تكون في شكل رد لهدية ما سابقة ، فهذا النوع من المعاملات ياخذ شكل السلطة الرمزية التي تمارسها الطبقة العليا على السفلى بسبب فرض نوع و قيمة الهدية المقدمة ، و اما ان تكون من اجل قضاء مصالح معينة بين الافراد و بين هذه الطبقات الاجتماعية و هذا ما قد سماه بعض المستجوبون (بالرشوة) و هذا كذلك ما لم لاحظ في باقي المجالات الاجتماعية الاخرى و خصوصا في المجال البدوي لانه عبارة عن تفاعلات تعيد انتاج العلاقات الاجتماعية البدائية (التطبع) لان هذا المجال العمراني البدوي هو عبارة عن مجال اجتماعي و نموذج ثقافي واحد ، تتشابه فيه الطبائع و تتقارب فيه النسائب بين الوحدات التفاعلية ضمنه .

ففي اطار هذه العلاقة الاجتماعية توصل الى ان الفرد الذي يحمل النموذج الثقافي البدوي او شبه البدوي يكتسب قوة اجتماعية تمكنه من التبادل و الاعتماد ، اي ان الفرد الحامل للثقافة البدوية يعيش في مجتمع و ليس في مجال عمراني ، لان طبيعة نموده الثقافي حولته الى ذات اجتماعية و ثقافية و تاريخية و ليست الى ذات منفعية و مادية ، لان الفرد البدوي خاضع لبناء الاجتماعي و النسق القيمي السائد ، و ما افعاله الانتاجي لها ، و ممارساته مرهونة بذلك النموذج الثقافي .

كما ان مجال العمراني الحضري عبارة عن تركيبية عمرانية معقدة تختلف فيها الانتماءات الثقافية للافراد ، فهم يختلفون في طرق كسب المعاش ، و كذلك السكان ، او حركة السكان تبدو واضحة من الخارج الى الداخل .مقارنة بالمجالات الاجتماعية الاخرى المدروسة .

بالإضافة الى ان الكثافة السكانية الكبيرة و تعدد المؤسسات الحكومية و الادارية و التنوع في العادات و التقاليد و كذلك في طبيعة العلاقات الاجتماعية فاللاتجانس يبدو واضحا بدرجة كبيرة .

و في حديثي عن طبيعة المجالات الاجتماعية ففي حقيقة الامر استنتجت انه في الاصل يوجد مجالين اجتماعيين (حضر - بدو) و كل واحد منهما يضم شبيهها و قرينه (شبه حضر - شبه بدو) فالتحليل على المستوى العام و ليس الخاص .

2- النموذج الثقافي :

يعتبر النموذج الثقافي حامل للهوية الشرعية للمجال الاجتماعي ، لانه يمنحه خصوصية معينة تجعله يختلف عن غيره من المجالات الاخرى ، و بعبارة اخرى فالنموذج الثقافي للمتفاعلين ضمن حيزهم الاجتماعي يحدد الاوضاع فيه و تتحدد هوية المتفاعلين فيجمعهم نموذجهم الثقافي ليجسدونه في ممارساتهم اليومية ، لان عملية التهادي هي ممارسة ، و كذا شفرة ثقافية استطعت من خلالها المرور لطبيعة البنى الثقافية السائدة في المجالات الاجتماعية ، حيث توصلت الى ان في المجال الحضري توجد عدة نماذج ثقافية و هذا هو السبب الرئيسي في اختلاف دلالات الهدية ، لان الثقافة هي راسمال رمزي ، و الدليل في ذلك ان معظم المستجوبين يرون ان عملية التهادي ظاهرة قديمة و موروثة منذ ، سالف الازمان فاكتمسبها الافراد من خلال التنشئة الاجتماعية او التطبع فاصبحت الهدية في جميع المجالات الاجتماعية تتميز بشرعيتها ، لان جميع الافراد يعترفون بها و يعتقدون انها ترتب العلاقة الاجتماعية بين الناس .

ففي المجال الحضري وجدت ان هناك عدة متفاعلين يحملون نماذج غير حضرية ، و هذا يعني انه ليس بالضرورة من يسكن الحضر يحمل النموذج

الثقافي الحضري ، و ذلك من خلال ممارساته و اعتقاده المادية و اللامادية التي لاحظتها ، و كذا استنتجتها من خلال حديثي معهم .

و على العكس من ذلك فلم لاحظ ابدأ ان هناك فاعلا اجتماعيا متشعبا بثقافة حضرية في مجال اجتماعي بدوي او شبه بدوي لكن وجدتها كثيرة في شبه الحضر ، فالنموذج الثقافي الحضري يختلف كثيرا عن المجال البدوي ، و كل واحد منهما لا يحمل التباين الكبير للمجال المشابه له (شبه بدو - شبه

حضر)

فالهدية في المجال البدوي ترتبط بالذات الاجتماعية و النسق القيمي للبنية السسيوثقافية ن اما في المجال الحضري فالهدية تتخذ مواقف القوة و الضعف المادي و تكون شبيهة بعلاقات حرب صامتة و سرية تتشكل في ساحتها الهدايا و الممارسات و تتخرب في الان نفسه العلاقات الاجتماعية ، لان الهدية عبارة عن موضوع لا يستهدف الذات الاجتماعية بقدر ما يستهدف المكانة الاجتماعية و الثقافية للفرد .

فالنموذج الثقافي البدوي يجعل الافراد يتبادلون الهدايا و هم يشعرون انهم يمارسون و بطريقة عملية تلك العادات الراسخة منها او الناجمة عن تحول اجتماعي سابق يعطي صفة التواصل ، عكس ما هو في الحضر .

صحيح ان في تبادل الهدايا شعور عملي بممارسة العادات و التقاليد لكن تتخللها ممارسات بها صفة استراتيجية ، لان اصل الممارسة خلق في ظروف مظطربة بالمكان و النموذج الثقافي المتميز بالمنفعة و الغرضية الى حد كبير

3- العلاقات الاجتماعية و التواصل الاجتماعي :

ان العلاقة الاجتماعية لا تنتج من فراغ ، و انما تنتج من خلال الممارسات اليومية التي تكون مشبعة بنسق قيمي و فكري معين .

حيث تنه و من خلال دراستي الميدانية توصلت الى ان العلاقة الاجتماعية في المجال الحضري ما هي الا علاقة قوة ، و اعادة انتاج علاقات سيطرة باستخدام الهدية لفرض الهيمنة الرمزية بسبب نوع و قيمة الهدية ، كما انها ليست علاقة اجتماعية كاملة بقدر ما هي علاقة منفعية او علاقات صراع لاجل الحفاظ على المكانة الاجتماعية او تغييرها و تحسينها ، لان التفاعلات التي تحدث داخل هذا الحيز اكتشفت انها تحدث في اطار مجال اجتماعي

و ليس مجتمع ، و هذا راجع لطبيعة العلاقات الاجتماعية لانها تتجرد من مميزات لان تصنع مجتمع متكامل و متضامن و متماسك بالتواصل الاجتماعي و ليس بالتواصل المنفعي ، و هذا عكس ما رايته تماما في المجال البدوي و شبه البدوي ، حيث ان العلاقات الاجتماعية فيه تعمل على انتاج و اعادة انتاج علاقات اجتماعية اخرى متماسكة و مترابطة ، حيث تجمعهم علاقات القرابة و النسب و الجيرة و الصداقة الخالصة ، و هذا ما افتقدت ملاحظته كثيرا في المجال الحضري و شبه الحضري نوعا ما .

فالمفاعلون في المجال البدوي يستمدون هويتهم التواصلية من هذه العلاقات الاجتماعية المترابطة و يعتبرونها ناقلة لارثهم التاريخي و الثقافي من خلال (التطبع و التنشئة الاجتماعية) .

اما في المجال الحضري و شبه الحضري فهم كذلك يستمدون هويتهم منها كعلاقة رمزية و اقتصادية و هذا راجع لطبيعة البنية الاجتماعية و كذا النسيج و النظام الاجتماعي ضمن المجال التفاعلي و المجال العمراني ، لان العلاقة

الاجتماعية هي التي تميز الحياة الاجتماعية و الثقافية ، و منه فالعلاقة الاجتماعية و مكانته الفراد هي التي تحدد و عيه و هويته الاجتماعية .

4- هوية الهدية :

من خلال ما سلف تبين ان هوية الهدية تختلف من مجال اجتماعي لآخر و ذلك راجع لطبيعة النموذج الثقافي السائد في كل مجال اجتماعي ، حيث ان الهدية على العموم وسيلة للمحافظة على المكانة المرموقة و العز و الجاه و تأكيد للهرمية الاجتماعية ، و ربما هي مثال للتبادل بحد ذاته ، و كذا طريقة للحفاظ على التماسك الاجتماعي على حد قول بيار بورديو ، لان هذا النوع من الممارسات يتطلب البراعة و المهارة و اللباقة و الذوق الراقي في تقديم الهدايا ، كلها امور تمنح الهدية هوية ما تجعلها تنتشر عن من خلال الممارسة كمعرفو موضوعانية و متعارف عليها في اطار سباحتها في مجالها الاجتماعي ، فتعددت و تنوعت دلالات الهدية حسب كل مجال اجتماعي بنموذج ثقافي ما ، و كذا من وقت لآخر ، الا انه في المجال الحضري تدخلت الاستراتيجية في تبادل الهدايا ضد النموذج الثقافي السائد ، وهذا ما اكسب الهدية دلالة استراتيجية في هذا النمط من النموذج الثقافي الحضري مما اخرج الهدية عن شرعيتها الاصلية في البناء المتكامل و التواصل الاجتماعي ، و هذا ما قد اكده بيار بورديو في نظريته عن الممارسة العملية .

فالهدية ممارسة مشفرة تكتسح المجالات الاجتماعية الحضرية و البدوية في المجال العمراني و المتمثل في ولاية الاغواط تنتج علاقات من المعني يحددها ذلك النموذج الثقافي .

ففي المجال الحضري تتأكد سلطة الهدية الرمزية بين الافراد و تحكم العلاقات الاجتماعية بد رجة كبيرة ، فصار الافراد يستثمرونها كرؤوس اموال لفرض

هيمنتهم اللامرئية على الافراد اللذين لا يستطيعون الوصول للمستوى الشرعي للهدية داخل مجالهم الاجتماعي و المتمثل في المستوى المادي للهدية المتبادلة و خصوصا في المناسبات الكبيرة ، كالأعراس و النجاح و السكن و الولادة . فالهدية في المجال البدوي عبارة عن اداة توليدى و تكوين و تنظيم افعال و سلوكات و ممارسات و تمثلات اجتماعية و كذلك في المجال شبه البدوي الى حد ما .

اما في المجال الحضري فقد تكون مقوعة موضوعيا لمرامي استراتيجية اكثر مما هي اجتماعية لممارسة ضغوطات اجتماعية و افرض هيمنة مكانة اجتماعية في التبادل الالزامي و النقدي (المالي) و المادي في الهدايا لان هذا راجع لاستعداداتهم الثقافية ، او تطبعاتهم التي يحملونها قد فرضت عليهم الالتزام بهذا النوع من اللعب الاجتماعي الموضوعي ، على حد قول بيار بورديو .

و هذا عكس ما هو في البدو فانهم يتبادلون اشياء و يعتبرونها هدايا و لها دلالات قيمة ، فالناس عندما استجوبتهم فظهر لي انهم لا يبذون اهمية بالغة للهدية اصلا و اعتبروها موضوعا تافها ، عندها استوعبت انهم يجهلون انهم يخضعون لسيطرتها و هم لا يشعرون انهم يمارسون ضربا من الخضوع لسلطة النموذج الثقافي السائد عليهم ، و كذا لسلطة بعضهم البعض في تأكيد تراتبهم الاجتماعي و الثقافي .

ودلالة الهدية في المجالات الاجتماعية تختلف باختلاف النماذج الثقافية ، لكن الملاحظ هو نزوح ثقافي من مجال لآخر ، فهناك تناقلات في الرموز اي انواع الهدايا و كذا معناها ، و المناسبات التي تقدم فيها الهدية عن المجال الحضري الى شبه الحضري ، و من شبه الحضري الى شبه البدو ، و من شبه البدو الى البدو ، و السيرورة تتم على هذا الترتيب ، و العملية لا تتم بالطريقة العكسية ، و هذا ما جعلني احبط كثيرا في التمييز بين دلالة الهدية في كل مجال اجتماعي و شبيهه لان كل نموذج ثقافي اصلي ينقل بصماته للنموذج الثقافي الفرعي التابع له

باعتبار ان الهدية في حد ذاتها تطبعاً قابل للتناقل من مجال اجتماعي لآخر بفعل الافراد لانهم هم الوحيدون و القادرون على ابراز ادواقهم .

فالهدية المعنوية لها اثر و صدى كبير في توطيد او اصرر المحبة و التماسك الاجتماعي بين الناس جميع المجالات الاجتماعية ، لكن ليس في نفس المستوى لانه في المجال الاجتماعي الحضري يكون اثرها اقل درجة من البدو و شبه البدو لانه في المجال الحضري تكون دلالة الهدية المشيئة اكبر بكثير من الهدية المعنوية او غير المشيئة ، و هذا من خلال ما توصلت اليه عن طريق المقابلات التي اجرينتها .

لان في المجال الحضري يمارس الناس انواعاً من السلطة الغير مرئية مع بعضهم البعض من خلال الهدايا المشيئة ، و بتعبير اخر فان العلاقات الاجتماعية تكون مستقلة عن ارادتهم ، و هو امر يبني على الهيمنة التي تمارس عبر التشيؤ او هي التشيؤ ذاته على حد تعبير بيار بورديو ، يمارس عبر الطقوس الاجتماعي و العادات الثقافية داخل المجال الاجتماعي باختلافه و استقلاليته ووظائف واليات كل نموذج ثقافي ، لذا فاننا نلمس علاقة وطيدة بين الفعل الاجتماعي و البناء من خلال الاسقاط النظري لمساهمة بورديو في الممارسة العملية .

كما ان الهدية ليست هي من تحدد هويتها الاجتماعية بقدر ما يحددها المتفاعلون فيما تعني لهم هذه الاشياء ، او الاغراض التي يتبادلونها كهدايا ، فيمكن ان تكون الهدية واحدة لكن تختلف دلالاتها من المجالات الحضرية الى المجالات

البدوية لان دلالاتها لا تختلف معها و انما هي نتاج للفراد او الاطراف المتفاعلة ضمن النموذج الثقافي السائد ، لان هذه المعني هي التي تتركها الهدية في عملية التفاعل و هي عبارة عن لغة متداولة في تعميمات الافراد فيما بينهم ، و الفرد هو صانع هوية الهدية من خلال طريقة فهمه ، و خارج نطاق ذاته و توفيقاً بين ذاته و ذوات الاخرين في فهم دلالة الهدية لتأخذ عملية التهادي ماخذ السلوك الاجتماعي و هذا ما قد اشار اليه جورج هربرت بلومر .

لذا فان الهدية ما هي الا رمز اجتماعي على موضوع يحدد من قبل المجتمع طبقا لعاداته و تقاليده العامة .

كما ان هذا النوع من التفاعل يشبع حاجات الفرد مع بقية افراد المجتمع و ذويه من المجال الاجتماعي التفاعلي المشترك . و هذه المعاني التي تتركها الهدية في ذوات المتفاعلين ما هي الا نتائج اجتماعية مخلوقة من المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية و الثقافية لتحديد انمط سلوك المتفاعلين .

فعند تبادل الهدية بين المتفاعلين في اطار مجال تفاعلهم تعمل على تماثلهم في ذلك النمط السلوكي ، يتبادلونها عندما يريدون التعبير عن مضامينها ، لان مضمونها يختلف باختلاف المواقف الاجتماعية .

و لان اثرها يبدو واضحا على ذوات الافراد الاجتماعية ، لانها اكتسبت من تلك الخبرات الاجتماعية عبر الزمن . ، حيث ان الهدية القديمة و تداولها بين الناس قديم ، فهي تعبر عن الانا الاجتماعي ، حيث يعمل الفرد في ردها على اتباع الثقافة السائدة التي يعيش فيها ، كما تسمح له بالتكيف مع مجتمعه لان الفرد هو الذي يفرض نوعية الهدية و هو الذي حدد المناسبات التي تقدم فيها .

و في الاخير لا يمكنني الا القول ان الفرضية العامة للدراسة قد تحققت و بشكل كبير حيث كان نصها كالآتي :

لكل مجال اجتماعي نموذج ثقافي يضيف عليه خصوصية معينه ، حيث انه كلما تغير هذا النموذج الثقافي للمجالات الاجتماعية و المتواجدة ضمن المجال العمراني محل الدراسة تغيرت هوية الهدية حسب كل مجال تفاعلي ، و المقسم بدوره الى اربع مجالات اجتماعية : (حضر - شبه حضر - بدو - شبه بدو)

خاتمة :

و في الاخير ما يسعنا الا القول ان الهدية مهما كانت قيمتها المادية كبيرة ، فان قيمتها المعنوية اكبر في اضاء روح المودة و التعاون و التماسك الاجتماعي بين الناس ، خصوصا اذا طانت هدية خالصة لا تنتظر المقابل ، و من دون ان تخرج عن شرعيتها الاجتماعية اذا كانت مادية او معنوية فهي تصفي النفوس و تذهب الغائن و تقتل الاحقاد في العلاقات الاجتماعية ، الا ان مجتمعنا الحالي لا يدرك ان الهدية وجدت لذلك ، و انما يدرك انها لتثبيت المكانة الاجتماعية و فرض للتمايز الاجتماعي بين الناس ، و هذا ما جعل العلاقة الاجتماعية تبدو في ريب مما يجب ان تكون عليه .

و بناء على ما توصلت اليه هذه الدراسة فان الهدية ليست معنية بتقديم دلالة معينة لهويتها ، بقدر ما هو مفروض على الفرد كفاعل اجتماعي التبرني و الايمان بتلك الدلالات الاجتماعية للهدايا التي فرضها عليه النموذج الثقافي و المجال الاجتماعي الذي يمارس فيه تفاعله ، و تمارس فيه الهدية شرعيتها .

ملخص الدراسة :

لقد كانت تهدف هذه الدراسة الى ابراز اهمية التفاعل الاجتماعي الرمزي في تحريك عجلة التغير الاجتماعي ، من خلال انتاج و اعادة انتاج علاقات اجتماعية تختلف باختلاف الزمكان و المجال التفاعلي ضمن نموذجه الثقافي السائد .

بالاضافة الى انواع العلاقات الاجتماعية المتواجدة ضمن المجال العمراني محل الدراسة و المتمثلة في ولاية الاغواط كمجال عمراني واسع به عدة مجالات اجتماعية ، تختلف بها النماذج الثقافية بين الحضر و شبه الحضر و البدو و شبه البدو ، هذا من جهة .

و من جهة اخرى حاولنا ابراز اهم الخصائص الثقافية و الاجتماعية السائدة في كل مجال اجتماعي ، و التركيز على مدى تاثيرها في اصفاء معاني و دلالات معينة للهدية داخل حيزها الاجتماعي و الزمكاني ، معتمدين في ذلك على اهم المعلومات النظرية التي تخدم الموضوع ، كالتفاعل الاجتماعي و اهم الدراسات السابقة التي تناولت الهبة كموضوع اجتماعي ، و بعدها الى اهم النظريات التي تخدم الدراسة ، حيث في اطارها و من خلالها فسرنا و حللنا و صنفنا المعلومات و البيانات المحصل عليها من الواقع الاجتماعي من خلال استخدام شبكة الملاحظة ، و كذا دليل المقابلة على عينة من الافراد الذين

ينتمون الى المجالات الاجتماعية ، و التي كانت دراستنا لها بطريقة قصدية لعدة اسباب ، معتمدين في تحليلها على المعالجة الكيفية لهذا النوع من المادة العلمية الميدانية بحكم طبيعة الموضوع .

حيث توصلت هذه الدراسة في الاخير الى ان المجال الاجتماعي يتحدد من خلال النموذج الثقافي السائد ، و الذي يعتبر منتج اجتماعي راسخ في البنية الذهنية للمتفاعلين في اطاره .

حيث ان هذا النموذج الثقافي هو الذي يحدد الهوية الاجتماعية للهدية او الهبة التي تعمل على انتاج و اعادة انتاج علاقات اجتماعية تواصلية او استراتيجية براقماتية داخل هذا الحيز الاجتماعي .

قائمة المراجع :

اولا : قائمة المصادر .

القران الكريم :

1 (سورة النمل ، الاية (36، 35 ، 37)

2 (سورة النساء ، الاية (86)

الاحاديث الشريفة :

3 (صحيح البخاري 9585

4 (صحيح البخاري 1077/ 2576

ثانيا : القواميس و المعاجم :

5) بيار بونت ، ميشال ايزار ، معجم الاثنولوجيا الانثروبولوجيا ، ترجمة

مصباح عبد الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع (

عمان ، ط 1 ، 2006.

6 (فيليب لابورت ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة محمد عبد الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، 2006

7 (محمد علي و اخرون ، قاموس علم الاجتماع ، كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، القاهرة .

8 (محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2008

9 (معن خليل العمر ، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2006 .

10 (مذكور ابراهيم ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975

ثالثا : المراجع باللغة العربية :

11 (السيد علي شتا ، التفاعل الاجتماعي و المنظور الظاهري ، المكتبة المصرية ، ط 1 ، 2000 .

12 (ابو زيد احمد ، البناء الاجتماع ، الجزء الثاني ، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية ، 2001.

13 (الخولي سناء ، الاسرة و الحياة العائلية ، المكتب الجامعي الحديث . 2001

14 (العدلي فاروق ، علم الاجتماع العام ، دار زهران ، ط 2 ، 1994 . 15)

- (15) السعد نورة خالد ، التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، دار السعودية للنشر و التوزيع .
- (16) الخشاب احمد ، علم الاجتماع الاسرى ، دار المعرفة الجامعية ، 1998 .
- (17) الجوهرى محمد ، الانثروبولوجيا ، (نظرية و تطبيقات عملية) ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .
- (18) الطويل احمد بن عبد الله ، الهدية بين الحلال و الحرام .
- (19) السيد عبد العاطي ، نظرية علم الاجتماع ، الاتجاهات الحديثة و المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، 2004 .
- (20) الحسن احسان محمد ، الاسس العلمية لمناهج البحث العلمي ، دار الطليعة بيروت ، لبنان ، 1986 .
- (21) احمد زايد ، علم الاجتماع ، النظريات الكلاسيكية و النقدية ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 ، 2006 .
- (22) ابراهيم عيسى عثمان ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، ط 1 ، عمان الاردن ، 2008 .
- (23) المعطي عبد الرحيم ، نظرية العنف الرمزي عند بورديو ، افكار مغربية 2009
- (24) احمد و ابن شيبية و البخاري ، في الادب المفرد ، صحيح الجامع الصغير
- (25) احمد عباس ، الانثروبولوجيا الاجتماعية ، دار العلم للطباعة و النشر ، 1983 .

- 26) القصير عبد القادر ، الاسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية ، دار النهضة ، 1991 .
- 7) حاتم محمد علي ، القواعد الاساسية ، الاقتصاد الدولي ، كتاب التبادل جامعة بغداد ، مطبعة الجاحظ ، 1976 .
- 28) حسين عبد العزيز الدريني ، الجماعات الصغيرة و الاحباط ، كلية التربية جامعة قطر ، 1984 ، العدد الثالث .
- 29) حسين سلطان ، احلال ثقافي في مجتمع العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 .
- 30) حلمي جلال ، علم الاجتماع الاسري ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1989
- 31) حسين المامون ، نحو سسيولوجيا الكشف عن الهيمنة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2001 .
- 32) سلوى عثمان الصديق ، هناك حافظ بدوي ، ابعاد العملية الاتصالية المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، 1999 .
- 33) سامية محمد جابر ، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الازارطية ، الاسكندرية .
- 34) شتا علي السيد ، نظرية علم الاجتماع ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، 1993 .
- 35) شتا علي السيد ، المدرسة الظاهرانية و المدرسة الاجتماعية المعاصرة المكتبة العربية للطباعة ، الاسكندرية ، 2004 .

36 (شكري علياء و اخرون ، دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي و التنمية دار المعرفة الجامعية ، 1991 .

37) شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ، مصر العربية للنشر و التوزيع ، 2009 .

38) عمار بوحوش ، محمد محمود الدينات ، مناهج البحث العلمي ، (طرق اعداد البحوث) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2 ، 2000 .

39) عبد الباسط حسن ، اصول البحث الاجتماعي ، القاهرة . 1999

40) عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان .

41) عبد السلام حيمر ، في سسيولوجيا الخطاب ، (من سسيولوجيا التمثلات الى سسيولوجيا الفعل) ، الشبكة العربية للابحاث و النشر ، لبنان ، ط 1 2008 .

42) عبد الحميد عطية ، محمد محمود مهدي ، الاتصال الاجتماعي و ممارسة الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، 2004 ..

43) علي عبد الرزاق حلبي ، اتجاهات اساسية في نظرية علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2001 .

44) علي غربي ، علم الاجتماع و الثنائيات النظرية التقليدية ، مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث و التنمية و الترجمة ، جامعة منتوري ، قسنطينة الجزائر ، 2007 .

- (45) علي عبد الرزاق حلي ، (نظرية علم الاجتماع ، الاتجاهات الحديثة و المعاصرة) دار الطباعة للنشر و التوزيع ، الاسكندرية ، 1999 .
- (46) عبد العاطي السيد و اخرون ، نظرية علم الاجتماع ، الاتجاهات الحديثة و المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية - بيروت ، 2004 .-
- (47) عبد الرحمان عبد الباقي عمر ، دراسات في العلاقات الانسانية ، مكتبة عين الشمس 1996 .
- (48) غريب محمد سيد احمد ، تصوير و تنفيذ و تنفيذ البحث الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1983 .
- (49) غريب سيد احمد ، علم الاجتماع الريفي ، دار المعرفة الجامعية ، 1998
- (50) فاروق احمد مصطفى ، محمد عباس ابراهيم ، الانثروبولوجيا الثقافية دار المعرفة الجامعية ، الازارطية ، 2008 .
- (51) فهمي نهى ، العلاقات القرابية في المجتمع المحلي و الحضري ، دراسة وصفية . (52) مجدي احمد محمد عبد الله ، السلوك الاجتماعي و ديناميته (محاولة تفسيرية) دار المعارف الجامعية ، الازارطية ، 2005 .
- (53) محي الدين احمد حسين ، مشكلات التفاعل الاجتماعي بين التحديد و المعالجة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1686 .
- (54) محمد عبد الفتاح ، الاتجاهات المظرية في دراسة المنظمات المجتمعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 2005 .
- (55) معن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، (دراسة تحليلية و نقدية) دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط 2 ، 1991 .

56) مغربي محمد علي ، ملاح الحياة الاجتماعية في القرن الرابع عشر هجري .

57) محمد نبيل جامع ، علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية ، دار المعرفة الجامعية ، الازارطية ، 2009 .

58) زايد احمد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية و النقدية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1984 .

59) محمد السويدي ، علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته ،

60)) ياس خضير البياتي ، النظرية الاجتماعية جذورها التاريخية و روادها ، الجامعة المفتوحة ، طرابلس

61) هادي محمد ، الصدقة و الاصدقاء ، الجزء الثالث .

رابعا :الكتب المترجمة الى اللغة العربية :

61) انصار بيار ، العلوم الاجتماعية المعاصرة ، ترجمة : نخلة فريفر ، ط 1 / بيروت ، المركز الثقافي العربي ، 1992 .

62) ايان كريب ، النظرية الاجتماعية من تالكوت بارسونز الى هابرماس ، ترجمة : محمد حسين غلوم ، عالم المعرفة ، الكويت .

63) بيار بورديو ، اسباب عملية ، ترجمة : انور مغيث ، الدار الجماهيرية للطباعة ، طرابلس ، 1996 .

64) بيار بورديو ، السلطة و الرمز ، ترجمة : عبد السلام بن عبد العالي ، ط2 ، الدار البيضاء ، دار توبقال ، 1990 .

65) بورديو و فاكونت ، اسئلة علم الاجتماع الانعكاسي ، ترجمة : عبد الجليل الكور ، ط1 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 1997 .

66) جون سكوت ، خمسون عالما اجتماعيا اساسيا (المنظرون المعاصرون) ، ترجمة : محمود محمد علي ، الشبكة العربية للابحاث و النشر ، بيروت ، 2009 .

67) دافيد هارقي ، حالة ما بعد الحداثة ، بحث في اصول التغير الثقافي ترجمة : محمد شيا ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2005 .

68) دنس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة : منير السعداني مركز الدراسات ، الوحدة العربية للنشر ، بيروت ، ط1 .

69) ريمون كيفي ، لوك فان كمنهود ، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية تعريب : يوسف الجباعي ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، ط1 ، 1997

70) موريس انجرس ، منهجية البحث في العلوم الانسانية (تدريبات عملية) ترجمة : بوزيد صحراوي و اخرون ، دار القصبية للنشر ، الجزائر .

71) مادلين غراويتز ، مناهج العلوم الاجتماعية ، ترجمة : الدكتور عمر سام المركز العربي للتعريب و الترجمة و التأليف و النشر بدمشق ، 1993 .

72) مير لوسي ، مقدمة في الانثروبولوجيا الثقافية ، ترجمة : شاكور سليم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .

73) مارسيل موس ، علم الاجتماع و الانثروبولوجيا ، بحث في الهدايا الملزمة ترجمة : الدكتور محمد طلعت عيسى ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1971 .

(74) فيليب لابورت ، تولرا فانييه ، اثولوجيا انثروبولوجيا ، ترجمة : محمد عبد الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 2004 .

(75) فيليب كابان ، علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية (اعلام و تواريخ و تيارات) ، ترجمة : اياس حسن ، دار الفرقة للطباعة و النشر و التوزيع ن سورية ، ط 1 ، 2001 .

خامسا: المراجع باللغة الاجنبية :

76)-Annuaire statistique de la wilaya de laghouat .pirection de la planification et damanagement du teritoir wilaya de laghouat .

-77)- biney david theoretical anthroplogy schoctel books . n y.1969 .

-78)- heidi gopher .methodologie des theorisa de la litterateur in

Theorie de la litterateur ..picard .paris.1981.

- 79-)Mustafa . a . f. ibrahim . a. m. reading in social science . 2004 .

- 80)-Piere bouedieu .maison pratique sur la theorie de la l
action (paris . seuil)
- 81)- Piere bouedieu .esquisse d une theorie de la pratique
precede de tudes dethnologie .kaby1 .paris .
- 82)-Piere bouedieu .selction from of pratice the logic of the
gift .tword and ethic .lonon.

سادسا : المقالات و المحاضرات و المنشورات :

83) الدكتور محمد المهدي بن عيسى ، الاستاذة بو سحلة ايناس ، تجاوز
الاعاقة الحركية بين اليات الدمج و تشكل الهوية ، الملتقى الدولي حول الهوية
و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السسيوثقافية في المجتمع الجزائري
جامعة ورقلة ، 2001 .

84) الزاهد مصطفى ، عبد الهادي يحيوي ، بورديو و اعادة الانتاج ، مقالة
جامعة قاضي عياض ، مراكش ..

85) ابراهيم عيسى عثمانى ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، مقالة حول
نظرية السلطة الرمزية عند بيار بورديو ، عمان ، الاردن .

86) الطالب بن عون الزوبير ، جامعة عمار تليجي ، (الاغواط) ، مشروع
جائزة ، البحث في علم الاجتماع ، اصل السكان و المعالم الاثرية بالاغواط
دراسة انثروبولوجية

87) بيار بورديو ، مقال بعنوان : الخيطة الرفيعة و الخيطة الرفيعة .

(88) بورديو ، ما هو الحقل ، مقالة ، منتدى الفلسفة و العلوم الاجتماعية
ترجمة : حسين حجيج .

(89) بيار بورديو ، مقال حول الراس مال الثقافي .

(90) عايد سبع السلطاني ، مقالة في التفاعل الاجتماعي ، وزارة التربية و
التعليم ، المديرية العامة لتطوير المناهج ، 2009/11/11 .

(91) محمد بقوح ، نظرية السلطة الرمزية ، مقال عن بيار بورديو ، رابطة
الجدل للثقافة .

(92) خالد عبد الفتاح ، نظرية الممارسة العملية لبيار بورديو ، بيروت 10/16
2010/ .

(93) محاضرة الاستاذ الدكتور محمد المهدي بن عيسى .

(94) محاضرة للاستاذ الدكتور عبد الرحمان بوزيدة .

سابعا : المجالات و المذكرات :

(95) الدكتور بن عيسى محمد المهدي ، ثقافة المؤسسة ، دراسة ميدانية
للمؤسسة الاقتصادية العمومية في الجزائر ، حالة بايب غاز ، غرداية ، رسالة
مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 2004 ،
2005

(96) اكرم حجازي ، الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية و المعاصرة
مجلة العلوم السياسية ، العدد الثاني ، 2005 .

(97) مجلة الفرات ، يومية سياسية ، تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة و
الطباعة و النشر ، دير الزور ، سوريا ، 2007/05/ 28 .

98) بن عون الزوبير ، تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة ، دراسة حالة المجالس المحلية المنتخبة بولاية الاغواط ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الاتصال ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، 2011/ 2012 .

ثامنا : المواقع الالكترونية و السجلات الادارية :

99) الهدية كشكل من اشكال التفاعل الاجتماعي : . alhadia .com

100) شلالي عبد القادر ، امجد بوديسة ، سجل من مقر بلدية تاجموت .

الملاحق

دليل المقابلة

- التاريخ :
- المكان:
- البيانات الشخصية :
 - السن :
 - الجنس:
 - المستوى التعليمي:
- المحور الأول: اثر النموذج الثقافي و المجال العمراني في العلاقات الاجتماعية
 - دعنا نتكلم عن العمران و طبيعة التفاعل الاجتماعي أولاً:
 - كيف ترى أن المجال العمراني لهذه المنطقة يسهل من عملية التواصل و التفاعل الاجتماعي ؟ اشرح لي ذلك .
 - ما هي طبيعة أو نوع الأسر الغالب وجودها في هذه المنطقة ؟
هل هي ممتدة ؟ أم نووية ؟
 - ما هو النشاط الذي يمارسه سكان هذه المنطقة ؟ . ما هي طبيعة هذه النشاطات ؟
 - هل يمكنك أن تكلمني قليلا عن نوع الأجهزة الموجودة في منازل هذه المنطقة ؟

● ما نوع و طبيعة العلاقة بين هؤلاء السكان ؟

● هل أنت من هذه المنطقة أم انك ساكن بها فقط ؟

● هل سكان هذه المنطقة من نفس العشيرة (أي أهل) ؟ أم هم خليط ؟

● كلمني قليلا عن علاقة الجيران ببعضهم البعض .

هل ترى سكان هذه المنطقة يتبادلون الزيارات و الهدايا ؟ و ما هي المناسبات التي تقدم فيه؟

المحور الثاني : اثر الهدية في التواصل الاجتماعي :

و الآن دعنا نتكلم تبادل الهدايا و التواصل الاجتماعي

● هل ترى أن في تبادل الهدايا اثر في توطيد أواصر المحبة و التواصل في هذه المنطقة السكانية ؟
كيف ذلك ؟

● كيف ترى أن للهدية دور في بناء علاقات اجتماعية جديدة بين الناس ؟

- و هل حقا ساهمت الهدية في خلق علاقات اجتماعية جديدة عندكم ؟
- حدثني قليلا كيف يمكن للهدية أن تقوي و تغذي العلاقات الاجتماعية
- في رأيك كيف تساهم الهدية في تحسين و ترقيع العلاقات الاجتماعية ؟
- المحور الثالث: اثرالنموذج الثقافي للمتفاعلين داخل المجال الاجتماعي في عملية التهادي .
- و الآن سنتكلم قليلا عن الثقافة و الاعتقاد السائد في تبادل الهدايا في هذه المنطقة.
- كيف يمكن للعادات و التقاليد أن تتحكم في عملية التهادي ؟

ما هي الأشياء المتبادلة عندكم كهدايا ؟

- من هم الأطراف المتهادون أو المعنيون بتبادل الهدايا ؟

- ما هي المناسبات التي تقدم فيها الهدايا عندكم ؟

- هل تحدثني قليلا عن الفئة المثقفة ، و ذات المراكز الاجتماعية ، و مدى تواجدها في هذه المنطقة ؟

- هل يوجد للتعليم مراكز في هذه المنطقة ؟ و ماهي طبيعة التعليم عندكم .هل هو قراني أم أكاديمي ؟كلمني عن ذلك

- هل تبادل الهدايا عندكم يأخذ بعين الاعتبار المركز الاجتماعي و الثقافي للفرد ؟

- أما الآن سوف نتكلم عن نوع الهدايا المتبادلة عندكم

- هل ترى أن للهدية المعنوية اثر كغيرها من الأنواع الأخرى من الهدايا ؟ لماذا ؟

- في رأيك ما هي الهدايا المعنوية التي يمكن أن يقدمها أو يتلقاها الفرد ؟

- هل تعتقد أن تقديم خدمة معينة هو نوع من الهدايا المعنوية ؟

- هل ترى أن للهدايا المعنوية دور فعال و سريع في تغيير و تحسين العلاقات الاجتماعية

- هل تعتبر النقود نوع من الهدايا ؟ لماذا ؟

المحور الرابع : مقارنة الهدية بين الماضي و الحاضر من حيث المعنى و المضمون .

- أما الآن فلنتقل إلى دلالة الهدية بين الماضي و الحاضر
- هل ترى أن دلالة الهدية تتغير بين الماضي و الحاضر ؟ حسب اعتقادك
- في رأيك هل هناك فرق في نوع و قيمة الهدايا بين الماضي و الحاضر ؟
- هل ترى أن الهدية إلزامية ؟
- هل تعتبر الهدية :
- *دين يجب رده.
- *واجب اجتماعي فرضته العادات و التقاليد ؟
- *أم أنها إرادية و من تلقاء النفس (حسب الحاجة)
- هل سبق لك و أن تلقيت هدية ؟ إذا كان نعم : ما هو نوعها و ماذا كانت تعني لك ؟
- و هل أنت تحتفظ بها ؟ لماذا ؟ و هل تفكر في ردها ؟

- هل سبق لك و أن أهديت هدية ما ؟

- إذا كان نعم ، هل اعتنيت بتغليفيها و جمالها الشكلي ؟ لماذا ؟ .

